الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــم العالـــي و البحث العلمـــي
جامعـــة قاصـدي مربـاح " ورقلـة "
كليـــة العلـوم الانسانيـة و الاجتماعيـة
قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا

رقم التسجيل :..../..../..../..../

عنوان الأطروحة :

بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري
دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

إعداد الطالب :
عطية قصي

إشراف الأستاذ الدكتور:
خليفة عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة **تاريخ المناقشة: 2020/03/15**

	الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
01	عمر حمداوي	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	رئيساً
02	أحمد رميتة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مناقشاً
03	عبد القادر خليفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
04	رحيمة شرقي	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مناقشاَ
05	عبد القادر لقجع	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشاَ
06	سعيد بلقيدوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة إكس مارساي فرنسا	مناقشا

الموسم الجامعي: 2020/2019

« ... فالأنثروبولوجيا تمسك بمـــرآة ضخمة أمـام الإنســان وتتيح له النظر إلى نفسه ، ليرى ما فيه من اختلافات لا حد لها ... »

كلايد كلوكهون

الاهداء ...

إلى روح والدي الطاهرة طيب الله ثراه ...

إلى أعز الناس أمي ، ثم أمي ، ثم أمي ، حفظها الله ...

إلى بناتي : ريفان ، دارين ، رزان ...

إلى زوجتي الغالية ..

إلى الحلم الذي يسكنني ...

قصي

شكرا وعرفان ...

يسعدني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل **الشكر** و العرفان إلى **أ.د خليفة عبد القادر** على إشرافه ومرافقته لهذا العمل المتواضع ، ارفاقاً منه بتوجيهاته القيمة ونصائحه الكثيرة ، كما أتقدم بجزيل **الشكر** و **العرفان** إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذا العمل المتواضع ...

الشكر موصول أيضاً بجبال من المودة **إلى** كل الأساتذة على نصائحهم و مساعداتهم المتنوعة ...

أشكر كذلك كل الذين وقفوا معي لاستكمال متطلبات هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد ....

امتناني و**شكري إلى** أصدقائي : عبد الرزاق عبيدي، بلال بوجراف، خير الدين عطية، بلال مناس، حميد رقية .....

قصي

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
فهرس الموضوعات :	(أ– هـ)
قائمة الخرائط التوضيحية :	(و)
قائمة الجداول :	(ز)
قائمة الملاحق :	(ز)
مقدمة عامة :	(ط– س)
الفصل الأول : الجانب المنهجي و المفاهيمي	
1. الإشكالية :	17
2. أسباب اختيار الموضوع :	21
3. أهمية الدراسة و أهدافها :	23
4. منهج البحث و تقنيات الدراسة :	24
5. حدود ميدان البحث :	34
6. تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة :	37
7. الجهود السابقة واهتمامها بموضوع الدراسة :	42
الفصل الثاني : ورقلة " دراسة مونوغرافية واجتماعية "	
تمهيد الفصل الثاني :	53
1. لمحة تاريخية عن مدينة ورقلة :	54
1.1. أصل التسمية :	54
2.1. تأسيس مدينة ورقلة :	56
3.1. الموقع الجغرافي :	59
2. مكونات الوسط الطبيعي (التضاريس ، المناخ ، الموارد المائية):	60
1.2. المناخ :	60

2.2. التضاريس : 62
3.2. الموارد المائية : 64
3.المجموعات الاجتماعية في حوض ورقلة : 66
1.3. مجموعة السكان المحليين (الوراقلة) :..... 68
2.3. مجموعة البدو المتمدنين : 70
3.3. مجموعة الوافدين الجدد : 74

الفصل الثالث :
تحـــــــولات بنية الأســـــرة

تمهيد الفصل الثالث : 78
1. البنيات الإجتماعية داخل مجتمع ورقلة : 79
1.1. الرباط الإجتماعي في المجتمعات الصحراوية التقليدية : 79
2.1. الرباط الإجتماعي في المجتمعات الصحراوية الحديثة : جدلية التحول أو البقاء : 85
3.1. رهانات الهوية و الانتماء : تشكل المجتمع الحضري الجديد : 88
2. نظام الزواج داخل المجموعات الاجتماعية الصحراوية : 93
1.2. الزواج بين الممارسات و الدلالات الرمزية : 94
1.1.2. الزواج عند السكان المحليين (الوراقلة) وتحدي الهوية : 96
2.1.2. تراجع الزواج الداخلي و تحلل الهوية لدى البدو المتمدنين : 102
2.2. القرابة و السكن و العلاقات السلالية : 106
3.2. الأسرة و الفضاء السكني : التفاعل داخل المجال الإقاماتي : 110
3. بدايات التمدن : من مسكن العائلة إلى المساكن " المستقلة " 114
1.4. نسق السكان المحليين "الوراقلة" من الأسر الممتدة إلى الأسر النووية : 116
2.4. نسق البدو المتمدنين من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية : 123
خلاصة الفصل : 127

الفصل الرابع :
تحول السكن وعلاقته ببنية الأسرة

تمهيد الفصل الرابع : 130

1. المدينة الكولونيالية وسياسة إعمار صحراء ورقلة : 131

1.1. استحداث وتنظيم المجال العمراني : سيطرة إستعمارية على الفضاء الصحراوي 131

2.1. الشكل الحضري للمدينة ، بعد سياسي واقتصادي : 132

2. أنماط السكن الصحراوي بين الخيارات الثقافية و الحتميات الإيكولوجية : 137

1.2. أنماط السكن في حوض ورقلة : 138

2.2. هندسة الفضاء السكني التقليدي : استراتيجيات الأسرة بين منطق المجال و المجتمع 146

3.2. القصور الصحراوية : فضاءات ثقافية و اجتماعية مميزة 153

4.2. أنثروبولوجيا المسكن : معاني ورموز 156

3. البعد الهوياتي للسكن في مدينة الواحات : 161

1.3. السكن الحديث رهان عقاري اجتماعي و ثقافي : 165

2.3. جدلية الأسرة و السكن : بداية التمايز الإجتماعي 167

3.3. المجال الحضري و المجتمع : رهانات اقتصادية واجتماعية 170

4.3. "العمارة" تحولات حتمية بين الرفض و القبول : 173

خلاصة الفصل : 181

الفصل الخامس :
تحول التساكن و أثره في أنظمة العلاقات الإجتماعية

تمهيد الفصل الخامس : 184

1. البنية المجالية تقاطعات تشكل الفضاء العام : 185

1.1. الملكية و الميراث و تقسيم الفضاء المادي في خطاب سكان ورقلة : 189

2.1. الحوافز الإقتصادية و تأثيرها على الحركية المجالية : 194

2. البنيات الإجتماعية وواقع التحضر في مدينة ورقلة : 197

1.2. تمثل المجموعات الاجتماعية للمجال : (السكن ، الحي ، علاقات الجيرة) 197

1.1.2. السكان المحليين "الوراقلة" وتمثلهم للمجال : 198

2.1.2. البدو المتمدنين وتمثلهم للفضاء الحضري الصحراوي : 201

2.2. السلطة العائلية احتواء وتنظيم للعلاقات : 204

1.2.2. تاجماعت بين روح الماضي ونبض الآتي : 205

فهرس الموضوعات

2.2.2. لالة منصورة : وعاء ثقافي واجتماعي مليء بالطقوس 209
3.2. مجتمع حضري بخلفية بدوي : (السكان المحليين ، البدو المتمدنين) 214
3. التساكن : استراتيجيات معقدة تطرحها المدينة الصحراوية 219
1.3. محددات التساكن لدى مجموعة السكان المحليين "الوراقلة" : 220
2.3. التساكن لدى البدو المتمدنين : أبعاد و غايات 225
3.3. الوافدون الجدد إلى المدينة : اندماج أم إعادة تنظيم 231
خلاصة الفصل : 237

الخلاصة و الاستنتاجات العامة

خلاصة الجانب الميداني : 240-244
المصادر و المراجع : 246-253
ملاحق الدراسة : 256-289
- ✓ **نموذج أسئلة المقابلة** : 256-261
- ✓ **نماذج بعض المحادثات الميدانية** : 262-265
- ✓ **صور من ميدان الدراسة** : 266-286
- ✓ **ملخص الأطروحة باللغة العربية و اللغات الأجنبية** : 287-289

قائمة الخرائط و الأشكال و الصور التوضيحية

الرقم	عناوين الخرائط و الأشكال التوضيحية في الدراسة	الصفحة
01	مخطط يوضح طريقة توزيع المقابلات على المبحوثين	31
02	موقع مدينة ورقلة (الجزائر)	35
03	مخطط الدراسة الميدانية	36
04	موقع ولاية ورقلة في الخريطة الجزائرية	59
05	طبوغرافيا مدينة ورقلة	63
06	مخطط تمفصل لمجرى مائي كبير يعود للزمن الرابع اليولوجي	65
07	قصر ورقلة العتيق	69
08	النسيج العمراني في القصر العتيق "ورقلة"	82
09	توضح عمليات التساكن خارج القصر العتيق منذ بداية الستينات (مدينة ورقلة)	122
10	استحداث شارع داخل النسيج العمراني للقصر في الفترة الكولونيالية	135
11	نموذج السكن التقليدي عند مجموعة السكان المحليين (القصر العتيق)	141
12	نموذج سكن تقليدي عند مجموعة البدو المتمدنين	142
13	سكن فردي فاخر ، منطقة الرويسات	145
14	وظائف أجزاء السكن الفردي التقليدي لدى المستقرين القدامى "الوراقلة"	152
15	توزع نمط العمارة في حي النصر (الخفجي)	180
16	مدينة ورقلة " توزع البنية المجالية للمجموعات الاجتماعية "	190
17	زحف النسيج العمراني على حساب غابات النخيل (مدينة ورقلة)	222
18	تحول السكن من التقليدي إلى المعاصر لدى البدو المتمدنين (الرويسات ، بني ثور)	230

قائمة الجداول

الرقم	عناوين الجداول	الصفحة
01	مجموعة الملاحظات الهامة التي تم تدوينها أثناء البحث الميداني	29- 30
02	توزيع المقابلات على عناصر المجموعات الاجتماعية لمدينة ورقلة	31
03	القبائل الأساسية وفروعها في مجتمع ورقلة (1880_1948م)	72- 73
04	نوع المهن و الوظائف لدى المجموعات الاجتماعية في مدينة ورقلة	119
05	وضعية قصر العتيق "ورقلة"	120
06	بنية الأسرة في مجالها السكني	124
07	توزيع الحضيرة السكنية في مدينة ورقلة	138
08	توضيح نوع السكن عند المجموعات الاجتماعية في مدينة ورقلة	139
09	يوضح سيرورة تحولات التساكن في مدينة ورقلة	220
10	محددات علاقات الجيرة في مدينة ورقلة	225
11	يوضح البرامج السكنية بمدينة ورقلة	228- 229

قائمة الملاحق

الرقم	عناوين الملاحق	الصفحة
01	نموذج الاستجواب الميداني حول موضوع الدراسة	261-256
02	بعض النماذج من عينات المحادثات الميدانية	265-262
03	صور من ميدان الدراسة	286-266

مقدمة عامة

مقدمة عامة

إن واقع الحضرية في مدن الجنوب الجزائري و ما ترتب عنها من تحولات في البنى الاجتماعية أصبح أمر يؤرق الكثير من الباحثين و المهتمين بالمجال الحضري ، كون هذه المجتمعات الإنسانية تعيش بوتقة من التحول في شكل مراحل زمنية متسارعة ، عملت على تغذيتها عوامل داخلية و أخرى خارجية تستلهم منها فكرة الانفتاح على العالم الخارجي و السعي نحو الاندماج في الحياة الحضرية الحديثة ، ولعلنا في هذا المقام نرصد بعين ثاقبة مدينة قيد التشكل من مدن جنوبنا الكبير ، إنها مدينة ورقلة مدينة الواحات التي تضرب بعمق في جذور التاريخ البشري ، نظراً لموقعها الاستراتيجي منذ القدم ، مناطق عبور ، قوافل تجارية ، حركة مجالية في شكل خارطة طريق ، من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب إلى غدامس بليبيا مروراً إلى صحراء إفريقيا ، هي شبكة من الطرقات يرويها لنا البدو الرحل بعد تمدنهم ، إنها صيرورة تاريخية و ثقافية توحي لنا أن الصحراء ليست فضاء جغرافياً فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى كيانات روحية تشغل هذا المجال وتضفي عليه رموز و دلالات تتفاعل في ما بينها لتكشف في الأخير على حلقة الإنسان وكيفية إعماره وشغله لهذا الفضاء الصحراوي ، فالتقدم الاجتماعي الذي طال انتظاره وهو يتحقق تدريجيا ليس كافيا لتحقيق الوسط المثالي "[1] .

يبدو أن هذا الفضاء الحضري في الصحراء الجزائرية يستدرج في مضامينه آليات بحث متنوعة ، تاريخية ثقافية ، اجتماعية ، اقتصادية ، يمكن من خلالها اقتحام المجال ونبش مخزون الذاكرة الجماعية ، وتفكيك هذه المجتمعات التقليدية بحثياً ، من خلال الاقتراب من الممارسات و التفاعلات التي ينسجها الفاعلون في هذا الفضاء الحضري ، إن هذا المشروع الذي هو بين أيدينا الآن هو جزء من هذه المضامين التي تستدعي البحث و التعمق ، **بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي** هو عنوان مغامرة بحثية أنثروبولوجية ، باعتبار أن علم الإنسان مؤهل أكثر من غيره في إحداث مقاربة يمكن لها أن تعالج جزئيات هذا الطرح ، ربما

[1] Maria Montessori , Pedagogical Anthropology , Translated From the Iitalian by Frederic Tabaer Cooper , Frederick A. Stokes Company , NEW YORK , 1913 , P471.

مقاربة الأنثروبولوجيا الحضرية استناداً إلى أبحاث وخبرات مدرسة شيكاغو ، و ما أفرزته من ميكانزمات يمكن تتبعها للوصول إلى استراتيجيات يسلكها الإنسان في تعامله مع الحضرية بشكل عام .

إن هذا الطرح يأخذ في حيثياته أبعاد عديدة تنطلق من الأسرة كخلية أولى في هذا المجتمع ، متسائلين عن كيفية تفاعلها مع المجال الصحراوي في دورة حياتها ، تتعايش في هذا الفضاء المميز مجموعات اجتماعية غير متجانسة تتوزع في شكل فسيفساء غير متضحة المعالم ، مترامية في جوانبها و متباينة في نسيجها العمراني يربطها الدين و التاريخ البشري ، عادات و تقاليد و أعراف تتناثر على هذه القبائل لترسم مجتمعات صحراوية يحدها المجال المشترك ، في شكل وحدات ثقافية و إثنيات تتفاعل في ما بينها ، تستمد قوّتها من موروثها المحلي ، يشير **ليفي ستروس** في هذا الصدد إلى أن البنى المجتمعية هي ركيزة اللاوعي للفكر و العلاقات الاجتماعية ، فهي بنى تحدد تجريبيا على شاكلة الجماعات أو الأفراد المختلفين ، الذين يعطون للمجتمع بنيته : مثل العشائر و الأنساب و كبار القوم ورجال الدين"[2] ، يبدو أن هذا الطرح يثير قضايا هامة في تفسير أنظمة العلاقات الاجتماعية لهذه المجموعات الاجتماعية بعد تحولها ، مستعينين في ذلك على خطاب الفاعلين (**إخباريين** ، **مبحوثين**) الذين ينتمون لهذا المجتمع ، من خلال فضاءاتهم وممارساتهم و طرائق عيشهم وتمثلهم للمجال الصحراوي الجديد ، وكذلك ارتباطهم بخزان الذاكرة القديمة وما تحمله من دلالات رمزية تتجاوز الفضاء المادي لتستقر في فضاء روحي تنسجه القبيلة و العشيرة في خيوط من الأنساق القرابية و الجماعية التي تحدد الانتماء للمجال عبر الهوية الجماعية.

[2] فيليب لا بورت تولرا ، جان بيار فارنييه ، إثنولوجيا أنثروبولوجيا ، تر : مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2004 ، ص 61 .

هي أنظمة من العلاقات تشكل لنا ثنائية (**القديم** ، **الحديث**) ، ما هو موروث متجذر في مجموعة القيم و المعايير الاجتماعية ، وما هو جديد يلبس حلة التقدم و الانفتاح ، يتساءل أيضاً الباحث خليفة عبد القادر حول هذا الاتجاه الحضري "...هل هو في اتجاه حضري أي مدينة حقيقية بالمقاييس المتعارف عليها دولياً ، أي بشروط العولمة أم مجرد إعادة التشكيل لنفس المجموعات الاجتماعية واستمرار التعايش و التجاور في المجال "[3] ، إنه بطبيعة الحال سؤال جوهري تطرقنا إلى تفاصيله الدقيقة بعد تفكيك الكثير من الخطابات التي ينتجها الأفراد في هذه الدراسة الإمبريقية ، نتيجة الاحتكاك الميداني وتفعيل الملاحظات المباشرة و الغير مباشرة ، حتى يتسنى لنا فهم الواقع الحضري في الصحراء وما يمنحه للأسرة و السكن من تحولات ، **إنها ثمرة بحثية متواضعة أنتجناها رغم الصعوبات الميدانية ، كون مدينة ورقلة بالذات تعيش حراك اجتماعي سياسي حال دون ذوباننا في الميدان بصورة أكثر** ، رغم هذه التحديات فقد استطعنا انتاج ثمرة معرفية حول قضايا هذا المجتمع ، بما يتماشى وعناصر الموضوع الذي هو بين أيدينا الآن ، حيث تتضمن هذه الأطروحة خمسة فصول تتنوع بين النظري و الميداني ، و التي نسعى من خلالها على الإحاطة بهذا الموضوع من كافة جوانبه ، مستعينين بعدد من الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب من الفضاء الصحراوي الجزائري .

[3] خليفة عبد القادر ، الحياة الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة ورقلة ، العدد الثامن ، 2012 ، ص 02.

✓ **الفصل الأول :**

يعتبر الفصل الأول و الذي يتضمن البناء المنهجي و البناء المفاهيمي من أهم الفصول التي تعطي للباحث رؤية معمقة حول الموضوع المراد دراسته ، خصوصاً في البحوث الأنثروبولوجية الحديثة التي أصبحت تعتني بالمنهج النوعي ، فقد تضمن هذا الفصل نقطة انطلاق تتمثل في لبنة أساسية عن طرق إرساء إشكالية تخدم الموضوع وتتحكم في مؤشراته ، عبر مجموعة من المناهج و الأدوات و التقنيات التي تخول لنا تبني مقاربة أنثروبولوجية نستطيع من خلالها معرفة بنية الأسرة واستراتيجياتها في التعامل مع التحولات التي حدثت و لازالت تحدث في مدينة ورقلة ، وما تمليه من تأثيرات على صيرورة السكن و التساكن في هذا الفضاء الحضري الصحراوي ، عن طريق بناء مقاربة أنثروبولوجية حضرية تمكننا أيضاً من فهم البنية الاجتماعية لهذا المجتمع ، وفق مجموعة من الدراسات السابقة التي عالجت نوعاً ما مثل هذا الطرح ، نظراً لقلة البحوث الأنثروبولوجية في هذا الجانب خصوصاً في هذه المدينة قيد التشكل .

✓ **الفصل الثاني :**

اعتمدنا في هذا الفصل على دراسة مونوغرافيا مدينة ورقلة ، وذلك لفهم مراحل تأسيسها و أصل تسميتها ، نظراً لتنوع التركيبة البشرية التي يتكون منها المجال و الذي نعبر عنه بالمجموعات الاجتماعية حيث قمنا بتخصيص جانب لتوضيحها في هذا الفصل ، فلا يمكن دراسة الفضاء الصحراوي الحديث دون بعده التاريخي الاجتماعي الذي شكل هذه الفسيفساء البشرية داخل هذه الرقة الجغرافية ، أيضاً دراسة المناخ و التضاريس ، و الموارد المائية التي لها دور هام في تشكل الواحات و المجموعات الاجتماعية ، التي تتعايش في ما بينها في شبكة من العلاقات و التفاعلات و الممارسات .

✓ **الفصل الثالث :**

قمنا في هذا الفصل المهم في بداية البحث الميداني من خلال معالجة جزء هام وركيزة أساسية لفهم التحولات التي تحث في بينة الأسرة وكيف أثرت على دورة حياتها ، وانتقالها من الأسرة الممتدة إلى أسرة نووية يفرضها الواقع الحضري ، مع الإشارة إلى مدى تأثر أنظمة العلاقات الاجتماعية بهذا التحول ، كذلك قمنا بمعالجة جزء لا يقل أهمية يتمثل في الزواج و العلاقات القرابية داخل هذه المجموعات الاجتماعية التي تعيش في هذا الفضاء الصحراوي المتحول ، إن اهتمامنا بهذه الجزئية في الأطروحة يأخذنا إلى نقاط أخرى منها تحول الرباط الاجتماعي التقليدي إلى الرباط الاجتماعي الحديث ، بعد تحول المجتمع الصحراوي من زراعي إلى صناعي .

✓ **الفصل الرابع :**

في هذا الفصل الميداني قمنا بالاقتراب من أنماط السكن وتنوعها داخل المجال الخاص بالسكان المحليين (**نموذج القصر العتيق**) و كذلك البدو المتمدنين ، ومعرفة أهم نقاط التحول في هذا البناء المادي وعلاقته بتحول بنية الأسرة ، رأينا أيضاً ملامسة وظائف أجزاء السكن التقليدي بين ما هو قدسي و ما هو اجتماعي باعتبار أن السكن هو كيان روحي قبل أن يكون كيان مادي ، حيث تضمن هذا الفصل معرفة استراتيجيات الأسرة في هذا الجانب ومدى توسع الخيارات الثقافية و البيئية في رسم النسيج العمراني الحديث في مدينة الواحات ، مع التطرق إلى معرفة حتمية هذه الخيارات المتعلقة بالسكن في ضوء الاصلاحات السياسية الخاصة بالتعبئة الحضرية الحديثة ، وما نتج عنها من تحول الفضاءات الخاصة بالعبور و الالتقاء إلى فضاءات اقتصادية تعزز وظائف العمران الجديدة في الصحراء .

✓ **الفصل الخامس :**

لقد حاولنا في هذا الفصل تتبع البنية المجالية (**الملكية** ، **الميراث**) الخاصة بالمجموعات الاجتماعية و التي يتم من خلالها توسيع دائرة النسيج العمراني ، وهو ما أثر على الحركية المجالية التي تنتهجها الأسرة الحديثة ، من خلال تحول التساكن إما في شكل قرارات ثقافية و اجتماعية اختيارية أو حتمية الخيارات التي تتيح للأسرة تغيير مقر إقامتها في ضوء الإصلاحات الاقتصادية و السياسية الحديثة في الجنوب الجزائري ، وكيف أثرت هذه الحركية المجالية المتمثلة في التساكن على أنظمة العلاقات الاجتماعية ، عبر الممارسات و التفاعلات داخل الأحياء الجديدة ، انطلاقا من مجموعة المستقرين القدامى و البدو المتمدنين و كذلك مجموعة الوافدين الجدد .

✓ **نتائج الراسة الميدانية :**

رأينا في هذا الجانب أن نلخص مجموعة من النتائج الميدانية المتعلقة بموضوع بينة الأسرة و تحولات السكن و التساكن في هذا الفضاء الصحراوي الجزائري ، من خلال الإجابة على الإشكالية بصفة عامة و أسئلتها المركزية التي تحرك فصول البحث بصفة خاصة ، لقد حاولنا جاهدين التعمق أكثر في هذا المجتمع الصحراوي الذي يزخر بالعديد من محطات البحث الأنثروبولوجي ، و التي تستدعي مقاربة أنثروبولوجية حضرية ترافق هذا التحول ومعرفة أثره على البناء الاجتماعي لهذا المجتمع بالخصوص ؟ ، لذلك قمنا بمعالجة جزئية بسيطة تتعلق بالأسرة و تأثرها بهذه التحولات من خلال استراتيجياتها المتعلقة بكل من السكن و التساكن ، آملين أن ترقى هذه الدراسة المتواضعة إلى مصاف البحث الأنثروبولوجي ، لتكون ضمن الدراسات القليلة التي وجهت أنظارها إلى هذا المجتمع ، لتقيم فائدة علمية يمكن أن تفتح المجال أمام مؤشرات بحثية أخرى ...

الفصل الأول

الفصل الأول :

الجانب المفهمي و المنهجي للدراسة

1. الإشكالية
2. أسباب اختيار الموضوع
3. أهمية الدراسة و أهدافها
4. منهج البحث و تقنيات الدراسة
5. حدود ميدان البحث
6. تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة
7. الجهود السابقة واهتمامها بموضوع الدراسة

1. بناء الإشكالية :

إن الصحراء الجزائرية كانت ولا تزال منبع هام وحقل خصب يستحق المغامرة البحثية ، خصوصا من الجانب الأنثروبولوجي ، الذي يسطر مجموعة من التقنيات و الأدوات و المناهج و المقاربات ، التي من شأنها أن تقربنا أكثر من موضوع اهتمامنا و المتمثل في بنية الأسرة وتحولات السكن و التساكن في هذا الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري ، سعياً منا إلى محاولة الإلمام به من كافة جوانبه الاجتماعية و الثقافية ، إن الغاية من هذا البحث هو الكشف عن جملة من الحقائق و المعارف ، التي تمنحنا رؤية معمقة عن استراتيجيات الأسرة في الصحراء وكيف تتعامل خلال دورة حياتها مع المجال الحضري الذي يفرض نفسه في هذه المدينة قيد التشكل ، هذا الواقع الصحراوي الذي يشهد بدوره الكثير من التحولات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و التي تمس بدورها بنى المجتمع ككل .

إن النمو الديمغرافي لسكان الواحات و كذلك تسارع وتيرة التحولات قياساً مع اضمحلال السكنات التقليدية (القصور المفتوحة) **للبدو المتمدنين** لأسباب عديدة ، وتراجع دور القصر العتيق في حماية قاطنيه " **السكان المحليين** " (**المستقرين القدامى**) ، بعد تصدع جدرانه وزحف سكانه نحو الخارج ، أدى إلى ظهور نسيج عمراني مخالف لما هو متوارث ، وقريب من النماذج الحديثة و ما تفرزه العولمة و التطور في الشكل الهندسي و الإقاماتي ، " ... لقد إستخدم Chombart de lauwe مفهوم الحاجة إلى السكن الذي يخص الفرد و الأسرة للحفاظ على استمرارية حياتهم "[4] ، هنا يكمن دور الأسرة في احداث هذا التحول من خلال استراتيجياتها داخل المجال الصحراوي ، خصوصاً بعد الانتقال من المجتمع التقليدي الزراعي إلى المجتمع الاستهلاكي الحديث ، التحول في بنيتها أيضاً نتيجة التأثيرات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية أثر بدوره على سيرورة تحول التساكن ، وبذلك

[4] دليلة زرقة ، سياسات السكن و الإسكان بين الخطاب و الواقع – دراسة ميدانية بمدينة وهران – ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع ، كلية العلوم الإجتماعية قسم علم الإجتماع ، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد ، الجزائر ، السنة الجامعية 2016/2015 ، ص 06 .

يمكن لنا بناء تساؤل قد يقودنا إلى فهم الممارسات و الاستراتيجيات الذي يحتويها هذا البناء الاجتماعي ، هل الأسرة هي التي غيرت في السكن أم أن السكن هو الذي غير في بنية الأسرة ؟ ، أم أن العلاقة جدلية بينهما ؟ ، كون السكن له دلالاته الرمزية من خلال اختيار الأسرة للفضاء الخارجي الذي يحتويه ، إما في شكل نسق قرابي يؤسس أنظمة علاقات الجيرة أو اختيار على أساس علاقات يمكن أن نقول عنها ثانوية ، فأهمية المسكن بالنسبة للأسرة يتطلع دائماً لمستوى طموحها و آمالها ، حيث " ...أن الاتجاه البنائي ل **M.Castells** يبين أن المسكن هو مركب مهم يضم مجموعة من المركبات الجزئية تشكل الفضاءات الداخلية أو المجالات أو الفراغات ، خصصت لأداء وظائف محددة على بعضها البعض اعتماداً متبادلاً "[5].

إن الصحراء اليوم حضرية بالدرجة الأولى ، هذا ما تكشفه كل الدراسات الإحصائية الحديثة ، **80%** من سكانها باتو حضريين ، يبدو هذا ملفتاً للنظر[6] ! ، أما بالنسبة لمدينة ورقلة باعتبارها جزء من الصحراء الجزائرية ونظراً لموقعها الاستراتيجي نجد أن معدل التحضر فيها يصل إلى نسبة **98.47 %** [7]، فالتحولات التي تحصل اليوم نتيجة الظروف الداخلية و أخرى الخارجية جعل ، من مدينة ورقلة تحاكي المدن الشمالية الأخرى في كل من العمران و التشييد و البناء و المشاريع الضخمة ، و الانفتاح على العالم الخارجي بعد ما كانت منعزلة ردحاً من الزمن على الاندماج في الواقع الحضري الذي تشهده المدن الشمالية منذ عقود خصوصاً في الفترة الكولونيالية ، يبدو أن مجموع الإحصائيات التي بين أيدينا تشير إلى توسع فوهة التحولات حسب ديناميكيات النمو الديمغرافي ، حيث بلغ عدد سكان بلدية ورقلة مع بلدية الرويسات سنة **2017** حوالي **225860** نسمة "[8] هي جملة

---

[5] المرجع السابق ، ص 07 .

[6] عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيوأنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم : في علم الإجتماع تخصص : أنثروبولوجيا اجتماعية و ثقافية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، السنة الجامعية 2010/2011 ، ص 23 .

[7] مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية ، احصائيات سنة 2017 ، ولاية ورقلة ، زيارة ميدانية (2018) .

[8] نفس المرجع .

النسيج العمراني ، وذلك بمجموع عدد أسر يصل إلى حوالي **34131** أسرة في نفس السنة ، هذه الإحصائيات تشير إلى انغماس مدينة الواحات في ميكانزمات التحولات الإجتماعية و الثقافية و الاقتصادية الحديثة .

إن جملة الاهتمامات التي نقوم بها جعلت من مدينة ورقلة محوراً استراتيجياً يغذي هذه الدراسة ، باعتبار أنها منطقة سكنية جديدة ذات طابع معاصر بترسانة مادية تقدر بنحو **217905** وحدة سكنية حضرية "[9] ، وذلك وفق ما نلاحظه من بنايات عصرية و مراكز حديثة ، و التنوع في التركيبة البشرية لمدينة الواحات التي تضم بدورها كل من مجموعة المستقرين القدامى (**الوراقلة**) و البدو المتمدنين و الوافدين الجدد في هيئة مجموعات اجتماعية تتفاعل مع المجال الحضري الجديد ، الذي يفرض وجود أنماط ثقافية عديدة تتعايش في ما بينها و تؤثر بذلك على النمط المعيشي للأسرة التقليدية في الصحراء ، كنوع من استراتيجيات إعادة التشكل وفق ما تمليه هذه التحولات ، و التي يظهر تأثيرها على بنية الأسرة الممتدة وانسياقها إلى أسر نووية حديثة ، مما أثر حركاتها المجالية التي يترتب عليها مجموعة من التحولات في كل من السكن و التساكن داخل المجموعات الإجتماعية الموزعة عبر هذا النسيج العمراني ، وبروز الهوية العمرانية الحديثة في الصحراء وما تمليه من تحولات في أنظمة العلاقات الإجتماعية التقليدية التي يحتويها التكويني البنائي التكوين البنائي (Structure Formation) لهذا المجتمع ، ولمعرفة هذه التكوينات ينطلق الباحث عن طريق التحليل وكذلك تقليص المسافة بينه و بين هذا المجتمع [10].

هذا ما يجعل من هذه الدراسة بنية حتمية في المقاربة الأنثروبولوجية الحضرية معبرة عن التساؤل الرئيسي التالي :

ما هي التحولات في بينة الأسرة و ما علاقتها بتغير السكن و التساكن في هذا الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري من خلال الممارسات و التمثلات ؟

[9] المرجع السابق .

[10] Claude Levi Strauss , Structural Anthropology , Translated from the French by Claire Jacobson and Brooke Grundfest Schepf , New York , 1963 , P 378 .

وقصد الإجابة على هذا التساؤل المركزي الرئيسي ، رأينا أن نجيب على مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تخدم هذا الموضوع بشكل مباشر وهي كالتالي :

أولا: ما هي أهم التحولات في بنية الأسرة ؟.

ثانياً: كيف تحول السكن وما علاقته ببنية الأسرة ؟.

ثالثاً: كيف تحول التساكن ، و كيف أثر في أنظمة العلاقات الإجتماعية من خلال الممارسات و التمثلات ؟.

2. أسباب اختيار الموضوع :

إن التطور السريع الذي تشهده مدن الجنوب الجزائري اليوم ، خصوصا في كل من التشييد و البناء و البعث على إعادة التشكل من جديد ، جعل منها محوراً هاماً يستهوي رغبة الكثير من الباحثين و المهتمين بالجانب الحضري وتوسع النسيج العمراني ، و أيضاً الاهتمام بالتحول الظروف الاجتماعية والسياسية حتى نستطيع ممارسة بحث أنثروبولوجي [11] ، في هذا الفضاء الحضري الصحراوي و ماله من خصوصيات تميزه عن باقي المدن الشمالية الأخرى ، و سعيا منا إلى التطرق لأهم التحولات التي تحدث داخل هذا المجتمع التقليدي و البدوي في مدينة الواحات ، ولعل الموضوع المتعلق ببنية الأسرة وتحولات السكن و التساكن من بين الموضوعات الهامة و التي تستدعي دق جرس البحث الانثروبولوجي بأسرع ما يمكن ، حيث يمثل هذا الموضوع حقلاً خصباً ، ومادة دسمة تجر أقلام الأنثروبولوجيين إلى المغامرة البحثية في هذا الجانب ، وهو كذلك بمثابة كنز ضائع وجب البحث عنه في خبايا ومتاهات المعرفة العلمية .

من المعروف لدى الكثير من الباحثين في مجال علم الإجتماع و الأنثروبولوجيا أن المجتمعات التي تعيش في الصحراء خصوصاً مجتمع مدينة ورقلة الذي كان يتصف بالعزلة و الإنطواء داخل حلقة العادات و التقاليد و العرف الذي يسير المجموعات الاجتماعية داخل النظام الإجتماعي ككل ، حيث ضلت تعيش على هذا المنوال عقود من الزمن لا يستهان بها من التاريخ الإنساني في الصحراء ، فالملاحظ هنا للقصور التي مازالت شاهدة على تلك الحقبة من الزمن ، تروي شواهد حية وتحكي قصص الإنسان الذي كان ولا يزال يعيش فيها ، كل هذه الحقائق غذت في نفسي الشعور رغبة في تنقيب خبايا هذه المجموعة الاجتماعية ، إلى جانب مجموعة البدو المتمدنين المستقرين الآن في مدينة الواحات ويتوزعون في هذا المجال الصحراوي ، فسيفساء بشرية تستدعي التأمل في نمط عيشها وتفاعلاتها وسلوكياتها داخل هذا الفضاء الحضري في ضوء التحولات التي تشهدها و لازالت

[11] Chris Hann , Teach Yourself Social Anthropology, London, 2000,P13

تشهدها المدينة قيد التشكل لغاية الآن ، وذلك وفق المعطيات الحديثة التي تفرضها العولمة و الإنفتاح على الأخر ، و العمل على استيراد مجموعة من الثقافات الجديدة ، و استحداث أنماط حياتية مختلفة تستصيغها الجماعات الاجتماعية في ممارساتها و تفاعلاتها مع الواقع الحضري .

إن اختياري لهذا الموضوع بالتحديد حرك في نفسي شغف المغامرة البحثية الأنثروبولوجية نحو السعي إلى محاولة تفسير هذه المعطيات و الأحداث المتسارعة في ظل التحولات التي يشهدها حوض ورقلة ، و أيضاً اللّهفة إلى محاولة تبني مقاربة أنثروبولوجية حضرية وتفعيل آلياتها في فهم تحولات هذا المجتمع قيد التشكل كباحث أنثروبولوجي ، كذلك تتبع تحول بنية الأسر و أهم سماتها ، وصولا إلى " ... التحولات و التغيرات المجالية الاجتماعية العميقة التي مست أساس البنيات الاجتماعية لمجتمعات الصحراء التي بدأت منذ الفترة الإستعمارية و المستمرة إلى اليوم "[12] ، و التي تشمل كل من السكن في حد ذاته و التساكن و تأثيرهما على أنظمة العلاقات الإجتماعية داخل البنيات الاجتماعية ككل .

[12] خليفة عبد القادر ، من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد الأول ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2010 ، ص 127.

3. أهمية الدراسة و أهدافها :

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات القليلة التي تناولت تحولات بينة الأسرة و أثرها على أنظمة المجال العمراني في الصحراء ، واختلاف التفاعلات و استراتيجيات المتبعة من خلالها كوحدة أساسية في كيان كل مجتمع ، ومراقبة مسار هذا التطور و التحول عن قرب ، **باعتبارها مشروع متكامل في الطور الثالث أنثروبولوجيا موضوعه البحث في تحولات المدينة الصحراوية الجزائرية** ، و بالتالي تبرز أهمية هذه الدراسة كبحث علمي أنثروبولوجي يسعى جاهداً إلى محاولة الإقتراب من هذا الموضوع المهم و الإلمام به بقدر الإمكان منهجياً و معرفياً ، وهذا في حد ذاته يمثل لنا لبنة أساسية يمكن الانطلاق منها لتوسيع دائرة هذا العمل الأنثروبولوجي في هذا الجانب من المقاربة الأنثروبولوجية الحضرية التي تهتم بالمجتمعات التي تعيش في الصحراء الجزائرية ، اهتماماً اجتماعياً و ثقافياً .

و هناك أيضاً عدة أهداف نذكر منها ما يلي :

أ. تحديد التحولات العامة في بنية الأسرة من خلال تأثرها بالجانب الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في المجال الحضري الحديث .

ب. معرفة خصائص هذه المجتمعات الاجتماعية و الثقافية ، و التي ساهمت في تشكيل النمط المعيشي الحالي .

ج. فهم تحولات البنى الاجتماعية الجديدة و الاستراتيجيات و التمثيلات و الممارسات التي تندرج ضمنها في شكل سلوكيات و تفاعلات مع الفضاء الحضري الجديد في الصحراء .

د. فهم تحولات السكن و التساكن ، ومعرفة الميكانزمات المتحكمة في هذا المجال ، و علاقتها بأنظمة العلاقات الاجتماعية ، وذلك من خلال تتبع المراحل التي مر بها هذا المجتمع الصحراوي من العمران التقليدي إلى المدينة الكولونيالية ، ثم إلى المدينة الحالية قيد التشكل .

4. منهج البحث وتقنيات الدراسة الميدانية :

إن الوصول لحياة الآخرين ومحاولة التعرف على أوضاعهم و أفكارهم وتمثلاتهم ، هو بالضبط ما يشكل صعوبة في البحث الميداني ذلك أن الباحث الأنثروبولوجي لما يقرر دراسة موضوع آني و حديث كالذي أقوم بدراسته الآن فلا شك أن أول ما يستحضره هو كيفية الوصول إلى الفاعلين الاجتماعيين الذين تتجسد فيهم تلك الظاهرة ، ذلك أن العوائق التي تواجه الباحث في هذا المجال ليست كلها من طبيعة علمية أو معرفية ، بل هي أولا وقبل كل شيء عوائق اجتماعية ، هذا ما حفزنا على ليونة استخدام مناهج و أدوات معينة تمكننا من الاقتراب من ميدان بسلاسة ومرونة شبه تامة ، فعملية استقصاء المعلومات من حقلها المعرفي أمر جد صعب يحتاج كل من الجهد و الوقت و الذكاء وكذلك تطوير أسلوب البحث شيئا فشيئا تماشياً مع اكتساب المعارف و الخبرات .

1.4. منهج الدراسة :

من بين المسائل الأساسية التي تعترض الباحث الأنثروبولوجي في دراساته المتنوعة و التي تقتضي بموجبها الذوبان منهجياً وميدانياً في المجتمع المدروس ، نجد أن هناك مسألة ضرورية هامة وهي المنهج و المنهجية ، هذا و أن الباحث لما يحاول خوض المغامرة البحثية في موضوع أنثروبولوجي معين ، لا يجد نفسه أمام وقائع تعطيه نفسها بسهولة أو تمنحه إمكانية النفاذ إلى مكوناتها و أسرارها بشكل مباشر ، لذلك يجد نفسه في حاجة ماسة لاستعمال أدوات متعددة لكي يتمكن من تحقيق ما يطمح إليه ، و الذي يتجلى في محاولة إكتشاف الوحدة وراء التعدد و البساطة وراء التعقيد ، و الخفي وراء الظاهر ، و العام وراء الخاص ، وذلك بقصد إعطاء معنى أعم و أعمق و أكثر تنسيقاً وعقلانية لما يدركه الناس في حياتهم و تفاعلاتهم اليومية و يعتبرونها أشياء عادية ومباشرة ، وبالنسبة لمسألة المنهج هناك من جهة تقنيات البحث الميداني ، وهناك من جهة أخرى مسألة نظرية المنهج أي ما بعد المنهج أو ما بعد التقنيات وهذا ما يمكن الاتفاق على تسميته بعلم المنهج أو الميتودولوجيا ، حيث يمكن لنا

أن نتساءل عن مدى نجاعته لمقاربة الواقعة الإجتماعية التي تم اختيارها في الموضوع الذي بين أيدينا الآن ، بناء على هذا يمكن لنا الموائمة بين مجموعة من المناهج في دراستنا هذه و ذلك بالقدر الذي يخدم أهداف هذا الموضوع .

لقد فرضت الدراسة الميدانية و الحقلية أسلوبها الكيفي (**النوعي**) الذي لا يحتاج إلى لتبريره في مثل هذه المجالات ، لأن هذا الموضوع الذي نعالج فيه ظاهرة حديثة العهد في المجتمعات الإنسانية التي تعيش في الصحراء وذلك باقتحام فكري منهجي يخول لنا التعمق في هذه الممارسات و التمثلات التي لها أثر واضح يتجلى في كل من السكن و التساكن و بينة الأسرة داخل هذا الفضاء الحضري ، و تتبع أنماط انتشارهم وتنوعهم داخل هذا المجال الحضري الحديث بشكل غير متجانس التجانس أمر ملفت للانتباه ! يستدعي الاحتراف الأنثروبولوجي ، حيث استطعنا أن نقوم ب **80** مقابلة ، إضافة إلى الكثير من الملاحظات و المحادثات المباشرة و الغير مباشرة و كذلك الدراسات السابقة .

إن استخدامنا أيضاً للإثنوغرافيا نظراً لما تقدمه لنا هذه القنية من وصف مكثف لهذا الموضوع الذي يعالج التحولات في بينة الأسرة و أثرها على تحول كل من السكن و التساكن وذلك اعتماداً على الوصف و التحليل ، باستخدام الكلمة و العبارة و المعنى ، هو المنهج الذي يساعدنا في ضبط المتغيرات و جعلها محاور صارمة للأسئلة التي تقودنا إلى بحث أنثروبولوجي موضوعي ينافي الذاتية جذراً ، بل ويتيح لنا فرصة التمتع بمرونة البحث وطرق التحليل الإثنوميتودولوجي ، حيث يسعى البحث الإثنوغرافي إلى التبصير و الفهم ، و الإستكشاف ، ودراسة السلوك الإنساني من خلال التفاعل بين الباحث و المبحوثين[13] ، من حيث إمكانية التفاعل مع خطاب الفاعلين (**الإخباري** ، **المبحوث**) في استنطاق الواقع بشكل لين مرن يتيح لنا تفرعات بحثية جديدة أو مختلفة ربما نراها

[13] فهد بن سلطان السلطان ، المنهج الإثنوغرافي – رؤية بحثية تجديدية لتطور واقع العمل التربوي ، مجلة المعرفة ، وزارة التربية و التعليم بالمملكة العربية السعودية ، عدد 150 ، 2007 ، ص 15.

أكثر أهمية مما كانت عليه قبل دخولنا للميدان ، وهو ما حصل في مجريات البحث إذ لم تكن لدينا دراية كافية و رؤية محددة وواضحة منذ البداية ، ربما لأسباب عديدة كون المجتمع المنوط بالدراسة لا نملك عنه معلومات كثيرة ، ولكننا كنا على ثقة أن الميدان كفيل بالإجابة عن الكثير من الأسئلة التي استحوذت على اهتمامنا حول هذا خبايا هذا الموضوع .

2.4. أدوات و تقنيات العمل الميداني :

إن الانتقال إلى الميدان ومحاولة اقتحامه لاستجلاء العلاقات بين مكوناته ليست مسألة سهلة ، خصوصا لما يتعلق الأمر بالبحث الأنثروبولوجي ، حيث يحاول الباحث أن يعتبر نفسه دائما كائنا ككل الناس لأن ذلك هو ما سيمكنه من النفاذ لحياة الآخرين ، في رحلته الطويلة نحو استنطاق هذا الميدان تتطلب الولوج إلى الكثير من **المحادثات** و **الملاحظات** ، ما الذي يهدف إليه من إجرائه لهذه الدراسة[14] ؟ ، حتى نستطيع من خلالها بناء أرضية متينة تمكننا من صقل معرفة جيدة تنحاز أكثر إلى الموضوعية بطرق عقلانية تنافي الميتافيزيقيا و الخيال الغير منطقي ، الذي يشوه البحث العلمي الأنثروبولوجي و المصداقية المتعارف عليها أكاديمياً ، ولتجنب الوقوع في هذا الفخ قمنا بالاستعانة ببعض **الإخباريين** الذي لهم دراية واسعة بسكان هذه المنطقة ، حيث اجتمعنا معهم بشكل ممنهج يقتضي التفرقة بينهم عن طريق مجالات الإهتمام أولاً ثم الإنتماء إلى مجتمع الدراسة ، كذلك توجيهات بعض الباحثين و المهتمين بالجانب الحضري وصولا إلى **مقاربة** شاملة تتمخض في **الأنثروبولوجيا الحضرية** و ما أثمرته مدرسة شيكاغو من مقاربات تسعى إلى فهم المجتمعات في مجالها الحضري استنادا إلى مفاهيم ثنائية التحضر و الهجرة .

[14] أحمد عبد المنعم حسن ، أصول البحث العلمي ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ،ج1، ط1 ، 1996 ، ص 43-42.

هذا الواقع الاجتماعي الذي بين أيدينا الآن يحتوي الكثير من المجموعات الإجتماعية التي تختلف في ما بينها في كل من الأعراف و العادات و التقاليد و أنماط العيش وغيرها ... ، هي جزء لا يتجزأ من هذه الحواضر الصحراوية ، تأثر و تتأثر بعوامل داخلية و أخرى خارجية ، بين ما هو موجود أصلا و متعارف عليه ، وما هو جديد وكيف تم تقبله ، هل نحن بصدد معرفة مدى سرعة هذا الإندماج في الواقع الحضري أم هي ضرورة حتمية تمر بها كافة المجموعات الإنسانية المختلفة وفق ما يعرف **بالتحولات** ؟ ، كل هذا وذاك يفتح لنا مجالاً للمناقشة الآنية في شكل **محادثات** (مقابلات) مع العديد من شرائح هذا المجتمع ، و هناك " ... طرق تزودنا عموما ببيانات كيفية ومنها مثلا طريقة التاريخ الشفهي ، وطريقة المقابلة المتعمقة ، وطريقة البحث الإثنوغرافي " [15] .

✓ الملاحظة المباشرة :

لم يكن من السهل التوغل في مجتمع الدراسة ومعرفة خباياه وفهم تحولاته من أول وهلة ، مع العلم أنني غريب عن هذا المجتمع و لا أنتمي إليه ، لقد كانت رحلة بحث شاقة للغاية خصوصا أن مجتمع مدينة ورقلة له طابع خاص فهو مجتمع غير متجانس في تركيبته البشرية يتنوع في شكل فسيفساء بشرية غير مترامية الجوانب ، مجموعة المستقرين القدامى (يقطنون الآن في قصر ورقلة العتيق وكذلك بجانب القصر في الامتداد الخاص بهم) ، و مجموعة البدو المتمدنين (المستقرين حديثاً) ، و مجموعة الوافدين الجدد ، وقد تطلب منا فهم هذه التركيبة البشرية وطريقة توزعها في هذا الفضاء الصحراوي مجموعة من المراحل التي تمثل في حد ذاتها صعوبات لا يمكن لنا اغفالها في هذا الجانب البحثي الهام و الذي يعالج موضوع الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي ، فالملاحظة هي عملية مراقبة أو مشاهدة للسلوك الظاهر و المشكلات و الأحداث ومكوناتها المادية و البيئية و متابعة سيرها "[16] ، لقد حاولنا تفعيل تقنية الملاحظة المباشرة في ميدان الدراسة منذ

---

[15] شارلين هس ، بيبر باتريشيا ليفي ، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ، تر : هناء الجوهري ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2011 ، ص 66 .

[16] مصطفى العليان ، مناهج و أساليب البحث العلمي ، دار صفاء للنشر ، عمان ، ط1 ، 2000 ، ص 112 .

أول وهلة في عملية البحث الأنثروبولوجي ، و ذلك لانسياقنا إلى علماء الأنثروبولوجيا وتوظيفهم لهذه التقنية في بحوثهم و أعمالهم ، فقد رافقتنا في محطاتنا الميدانية في مجتمع مدينة ورقلة ، وذلك في تتبع الممارسات و الأنشطة الاجتماعية التي تنتجها المجموعات الاجتماعية على اختلاف تصوراتها وسلوكياتها في التعامل مع الواقع الحضري من جهة ، و النسيج العمراني التقليدي و الحديث ، أي مراقبة أنماط السكن و التساكن لدى هذه المجموعات من جهة أخرى.

في هذا الجدول سوف نوضح مجموعة من أهم الملاحظات التي قمنا بتدوينها طلية فترة وجودنا في ميدان الدراسة و المتعلق بمجتمع مدينة ورقلة في ضوء المؤشرات التي تخدم ديناميكية البحث الأنثروبولوجي ، وكذلك السعي نحو ربط مجموعة الملاحظات المتحصل عليها في عملية التحليل و التفسير للمعطيات ، التي تعالج الموضوع الذي بين أيدينا بشكل عام .

جدول (01) : مجموعة الملاحظات الهامة التي تم تدوينها أثناء البحث الميداني

الملاحظات	المستقرين القدامى "الوراقلة"	البدو المتمدنين	الوافدين الجدد
التركيبة البشرية	هم ثلاث قبائل : بني واقين ، بني ابراهيم ، بني سيسين	هم قبائل : المخادمة ، الشعانبة ، بني ثور ، الرويسات ، سعيد عتبة .	تركيبة متنوعة
أصولهم العرقية	أمازيغ	عرب (قبائل عربية)	عرب ، أمازيغ
أماكن استقرارهم و توزعهم	مستقرين في القصر العتيق و الإمتداد الذي بجانب القصر ، وبعض الأحياء الجديدة مثل حي النصر (الخفجي)	مستقرين في كل من ، المخادمة ، بني ثور ، الرويسات ، سعيد عتبة ، وبعض الأحياء الجديدة مثل حي النصر (الخفجي)	يتوزعون عبر أماكن استقرار البدو المتمدنين بكثرة مثل منطقة سكرة ، وعدد قليل منهم يتوزع عبر أماكن استقرار الوراقلة ، نسبة كبيرة منهم تستقر في الأحياء الجديدة مثل حي النصر (الخفجي)
بنية الأسرة	أسر ممتدة + أسر نووية	أسر ممتدة + أسر نووية	أسر نووية
أنماط السكن	نمط السكن التقليدي (القصر العتيق) + نمط السكن الحديث ، نمط السكن الفاخر (الفيلات) + نمط السكن الجماعي (العمارة)	نمط السكن الحديث + نمط السكن الفاخر (الفيلات) + نمط السكن الجماعي (العمارة)	نمط السكن الحديث + نمط السكن الفاخر (الفيلات) + نمط السكن الجماعي (العمارة)
النسيج العمراني	تطور النسيج العمراني وظهور أحياء جديدة ، زحف النسيج العمراني على حساب غابات النخيل	تطور النسيج العمراني وظهور أحياء جديدة ، زحف النسيج العمراني على حساب غابات النخيل	تطور النسيج العمراني وظهور أحياء جديدة
	علاقات الجيرة مبنية على القرابة خصوصاً داخل	هناك قرابة تربط علاقات الجيرة في كل من أحياء	هناك قرابة نسبية في علاقات الجيرة خصوصاً في حي سكرة ،

محددات علاقات الجيرة	القصر العتيق و الامتداد الخاص باستقرارهم بجانب القصر عبر الأراضي الخاصة بهم .	المخادمة و سعيد عتبة ، إلا أنها تقل في أحياء بني ثور و الرويسات .	أما باقي الأحياء الحديثة لا وجود لعلاقات القرابة بينهم
نوع العمل	مهن متنوعة + العمل في القطاعات الحكومية و الخاصة	التجارة الحرة + مهن متنوعة + العمل في القطاعات الحكومية و الخاصة	التجارة الحرة + مهن متنوعة + الأغلبية يشتغلون في القطاعات الحكومية و الخاصة

✓ المقابلات (مع المبحوث) :

بعد ضبط الأسئلة الفرعية التي رأينا أنها تخدم التساؤل الرئيسي للموضوع ، قمنا بزيارة محطات بحثية متعددة حسب ما تمليه طرق البحث الأنثروبولوجي التي تعتمد على تفعيل الملاحظة المباشرة لكل من التفاعلات و الممارسات التي تنتهجها المجموعات الإجتماعية كنمط عيش في الوسط الحضري الحديث و كان ذلك في بداية سنة 2017 ، قمنا خلالها بتدوين الكثير من الملاحظات حتى يتسنى لنا فهم الشرائح الإجتماعية من خلال تتبع أنماط السكن الخاص بالبدو المتمدنين و المستقرين القدامى و كذلك مجموعة الوافدين الجدد ، للوصول إلى مرحلة أساسية يتم خلالها تحديد العينة الخاضعة للمساءلة ، يقول Levi Strauss غالبا ما يتم اختيار المجموعات لأسباب نظرية وعملية متعلقة بطبيعة البحث يمكن اعتبارها كيانات فردية خاضعة للتحليل " [17] ، وذلك عبر استراتيجيات تمكننا من الاقتراب من المبحوثين ، بعد أن واجهتنا الكثير من الصعوبات و الارهاصات باعتبار أن الباحث لا ينتمي إلى مجتمع البحث من جهة ، وصعوبة الوصول إلى المبحوثين من جهة أخرى ،كون هذا المجتمع متحفظ نوعا ما في هذا الجزء من البحث ، خصوصاً ما يتعلق بالأسرة واستراتيجياتها في التعامل مع الواقع الحضري ، إلا أن إصرار الباحث على مواصلة التقدم أتاح لنا تكوين الكثير من العلاقات التي أخذت تتطور شيئاً

[17] Claude Levi Strauss ,Op.cit. P13 .

فشيئاً إلى أن استطعنا إجراء مجموعة معتبرة من المقابلات مع الكثير من **الأسر** ، تتنوع حسب انتمائها للمجموعات الاجتماعية ، حيث وضعناها في خانة الترتيب كما هو موضح في الجدول التالي :

جدول (02) : توزيع المقابلات على عناصر المجموعات الاجتماعية لمدينة ورقلة

المجموعات الاجتماعية	عدد الأسر	العينة الخاضعة للمسائلة
السكان المحليين (الوراقلة)	30	30
البدو المتمدنين	40	40
الوافدين الجدد	10	10
المجموع	**80**	**80**

المصدر : إنجاز الباحث

المخطط (01) : طريقة توزيع المقابلات على المبحوثين

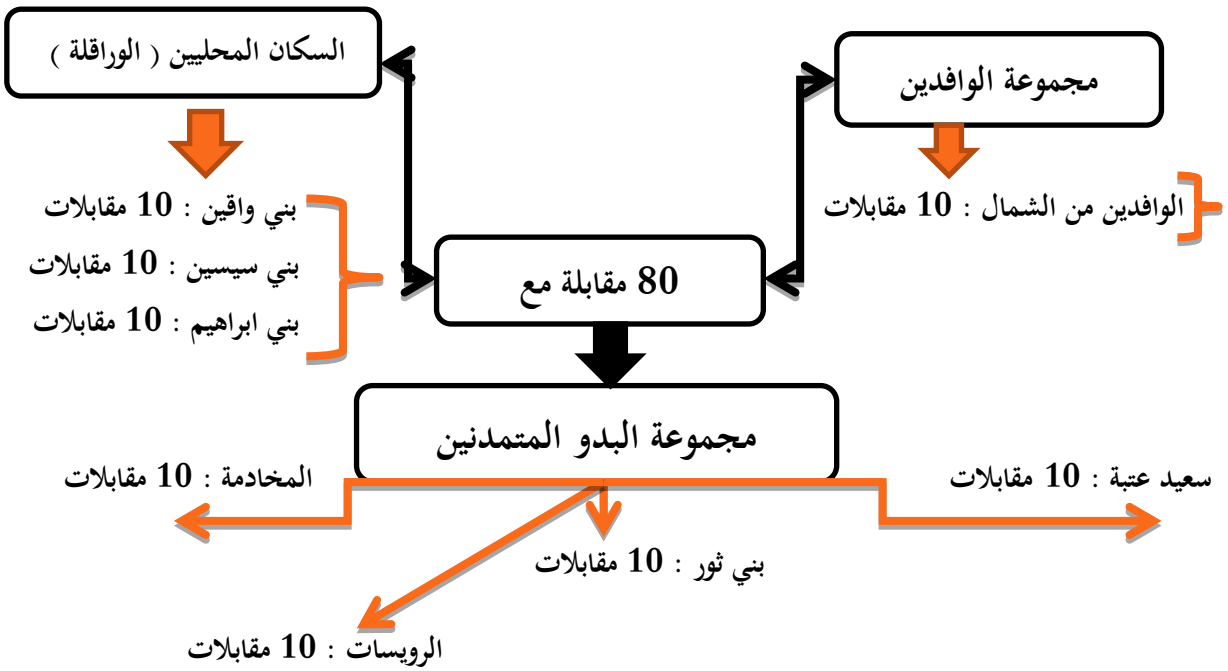

المصدر : من انجاز الباحث اعتماداً على توزيع المجموعات الاجتماعية

✓ المقابلات (مع الإخباري) :

لا يمكن فهم البنيات الإجتماعية دون التطرق إلى مجموعة المخبرين ، وهي أداة من أدوات البحث الأنثروبولوجي الميداني ، و التي تعطي للباحث الكثير من المعلومات و الخبرات التي تنقلها أفواه المنتمون لهذه الجماعات الاجتماعية الصحراوية (إخباريين) وتحليل خطاب الفاعلين في المجتمع الحضري المراد دراسته ، "... ومن هذه الزاوية يجب أن يصور دور المساعدين المحليين (الإخباريون) على أنهم يعاونون الباحث بشكل إيجابي فعّال ، على أن يقوم بتعريف مهمة العالم الخارجي بحياة أفراد هذا المجتمع و ثقافتهم "[18] ، حيث لا ننكر توجيهات المشرف على هذا العمل **أ.د خليفة عبد القادر** ، من خلال تسهيل قنوات الاتصال و التواصل مع عدد لا بأس به من الإخباريين المحليين في بداية التنقيب الامبريقي ، الذين كان لهم الفضل في فهم البنيات الإجتماعية كل حسب انتمائه ومعرفته بجوانب هذا المجتمع الثقافية ، و الاجتماعية ، و الاقتصادية ، و التاريخية .

✓ الاستبيان :

يعد الاستقصاء أو الاستبيان من بين التقنيات المستخدمة في البحث الأنثروبولوجي ، وهي بمثابة مذكرة يدوية قمنا خلالها برصد مجموعة من الأسئلة التي غابت عنا سهواً أثناء اجرائنا للمقابلات ، وهي بمثابة تكملة لعمليات الاستقصاء حيث قمنا باستخدامها لأجل توضيح بعض المعلومات بدقة ، و ذلك بعد اجراء المقابلات مع المبحوثين قمنا بتفعيل هذه التقنية ميدانياً ، عن طريق توزيع 70 استمارة على أغلب المجموعات الاجتماعية التي ندرسها و نهتم بممارساتها و استراتيجياتها في هذا الموضوع الذي هو بين أيدينا الآن ، إن الاستمارة تجيب على بعض الأسئلة التي غفلنا عنها أثناء اجراء المقابلات ، كذلك لها الفضل في توسيع دائرة البحث و لتزويدنا بمعلومات احصائية يمكن من خلالها بناء تحليل كيفي يعبر على عينة من هذا المجتمع قيد الدراسة .

[18] روبرت إيمرسون و آخرون ، البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية ، تر: هناء الجوهري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2010 ، ص 89 .

✓ التصوير الفوتوغرافي :

لقد استخدمنا هذه التقنية التي ترافق دائماً كبار علماء الأنثروبولوجيا في نزولهم للميدان ، فالتصوير الفوتوغرافي في البحوث الأنثروبولوجية يعطيها طابعا تسجيليا مرتبطة بتقنيتها وتظهر كوسيلة للنقل من الواقع ، أكثر أمانة و أكثر ارتباطاً بالحياة الاجتماعية " [19] ، فقمنا بتجسيد مجموع الملاحظات المتعلقة بالنسيج العمراني و تركيبة أجزائه (الشوارع ، السكن ، التجمعات السكنية) في كل من نماذج السكنات التقليدية في القصر العتيق و أيضاً أنماط السكن الأخرى الموزعة عبر هذا المجال الخاص بالمجموعات الاجتماعية المستقرة في هذا الفضاء الصحراوي .

✓ التسجيل الصوتي :

قمنا كذلك بتفعيل هذه التقنية من تقنيات العمل الميداني ، و التي أثبتت نجاعتها لدى الكثير من الباحثين نظراً لأهميتها في استرجاع المحادثات لدى الباحث ، أي أنها خزان معرفي يعود إليه الباحث عند الحاجة إليه ، خصوصاً أثناء المقابلات مع مجموعة الإخباريين حيث تطول مدة المحادثة في هذا الجانب من البحث ، حيث يشير كل من **روبرت إيمرسون** و **راشيل فريتز** بقوله " ... قد يؤدي التدوين كذلك إلى صرف انتباه الباحث نفسه عن الإهتمام الدقيق بما يدور حوله من أحاديث و أنشطة ، ففي مثل هذه الأحوال سوف يفوت الباحث حتماً الإنتباه إلى التعبيرات الخاطفة و الحركات الدقيقة غير الملحوظة " [20]، لذلك استخدمنا تقنية التسجيل الصوتي لبعض المحادثات الهامة التي يمكن أن نعود إليها أثناء التحليل و التفسير .

---

[19] جيزيل فروند ، التصوير الفوتوغرافي و المجتمع ، تر: وسام مهنا ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010 ، ص 11

[20] روبرت إيمرسون و آخرون ، المرجع السابق ، ص 93 .

5. حدود ميدان البحث :

مدينة ورقلة تتربع على مساحة قدرها حوالي **163.233كلم2** ، تقع في الجنوب الشرقي وتعتبر بوابة الصحراء الكبرى من الجهة الشرقية للجزائرية ، تمثل إحدى أهم مدن الجنوب الجزائري لما تمتلكه من ثروات هامة اقتصادية و بشرية متنوعة (**أنظر الخريطة 01**) ، حيث يتمثل ميدان الدراسة داخل بلدية ورقلة التي بها مقر الولاية ، وتشمل الدراسة الميدانية على نقاط مركزية هامة تتمثل في كل من مناطق توزع البدو المتمدنين (الرويسات ، المخادمة ، بني ثور ، سعيد عتبة) ، و مناطق تواجد الوراقلة السكان المحليين (القصر العتيق ، و النسيج العمراني الذي حوله) ، و كذلك مجموعة الوافدين الجدد المتواجدون الآن في الكثير من أحياء المدينة ولعل اختيارنا لبعض هذه الأحياء (حي النصر ، سكرة) يمثل لنا نقطة انطلاقة رئيسية يمكن من خلالها فهم مساراتهم الثقافية ، وتحديد مدى اندماجهم في الفضاء الصحراوي عبر تحليل وتفكيك المعطيات التي يقدمونها في استراتيجيات ممارساتهم وتفاعلاتهم مع النمط الحضري الصحراوي .

يجب أن أوضح أيضاً بعض الأمور التي من شأنها أن تبين مسار هذا العمل واتجاهاته ، يقول **شارلين** "... يتوقف البحث الميداني على ما لدى الباحث من بصيرة ، ووعي ، و ما يدور في ذهنه من شكوك وما يطرحه من تساؤلات ، فهو ينظر إلى المبحوثين و إلى الاحداث من زوايا مختلفة "[21] ، من هذا المنطلق يمكن لنا تبني مقاربات سوسيوأنثروبولوجية حضرية تمكننا من الاحاطة ببعض الاجابات المختلفة باختلاف رؤيتنا للموضوع كباحثين في مجال علم الانسان ، لذلك نرى أن نأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الإيكولوجية ، و السيكولوجية ، و السوسيوثقافية لهذا المجتمع قيد التشكل و التمدن ، تقاطعات سوسيومجالية ، تعدد الهويات ، إثنيات تتفاعل في ما بينها داخل الوسط الحضري .

[21] شارلين هس ، بيبر باتريشيا ليفي ، المرجع السابق ، ص 135 .

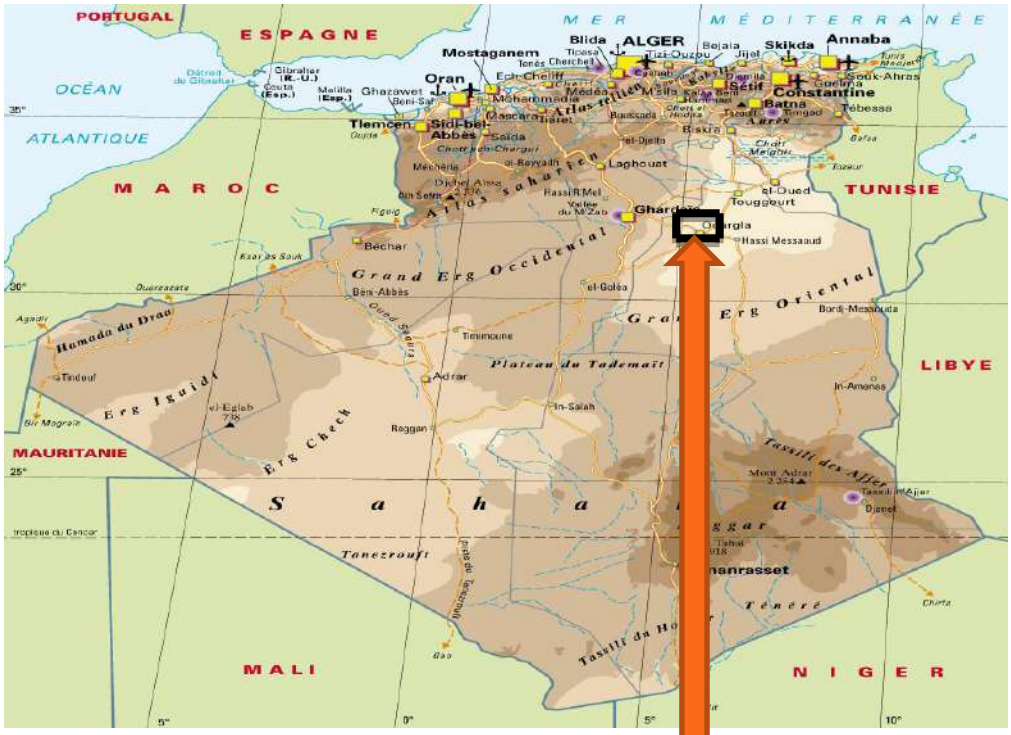

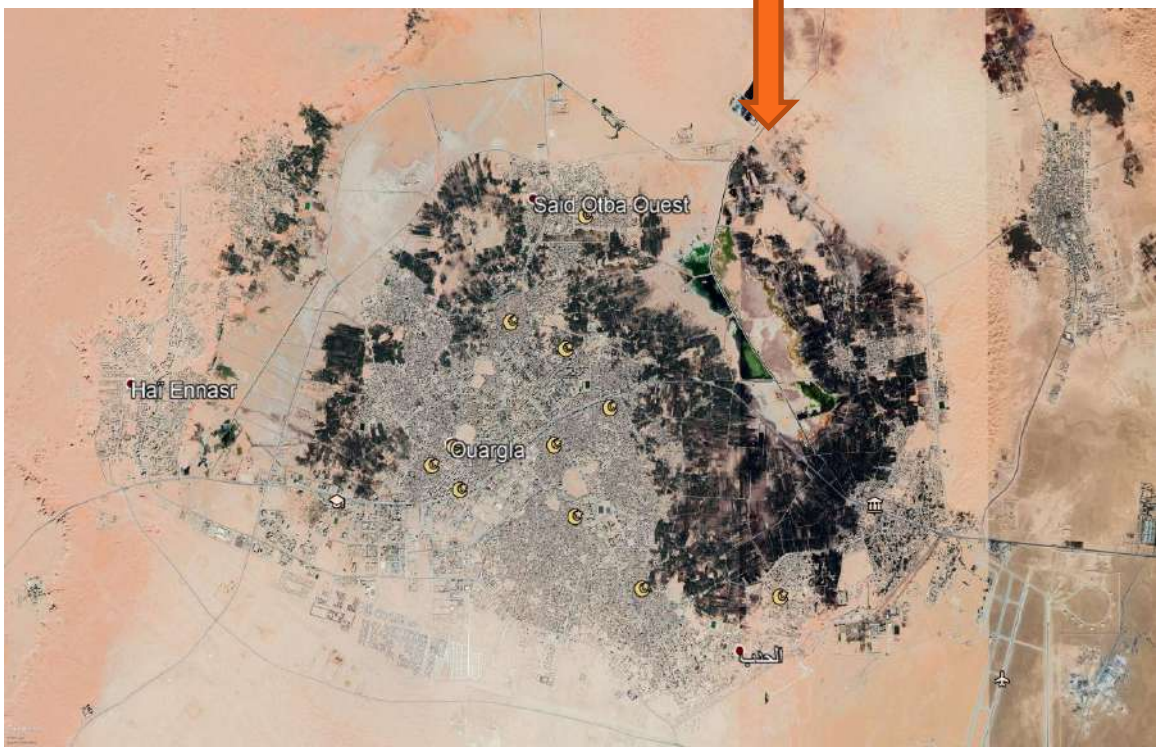

خريطة (01) : موقع مدينة ورقلة

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2019/04/05)

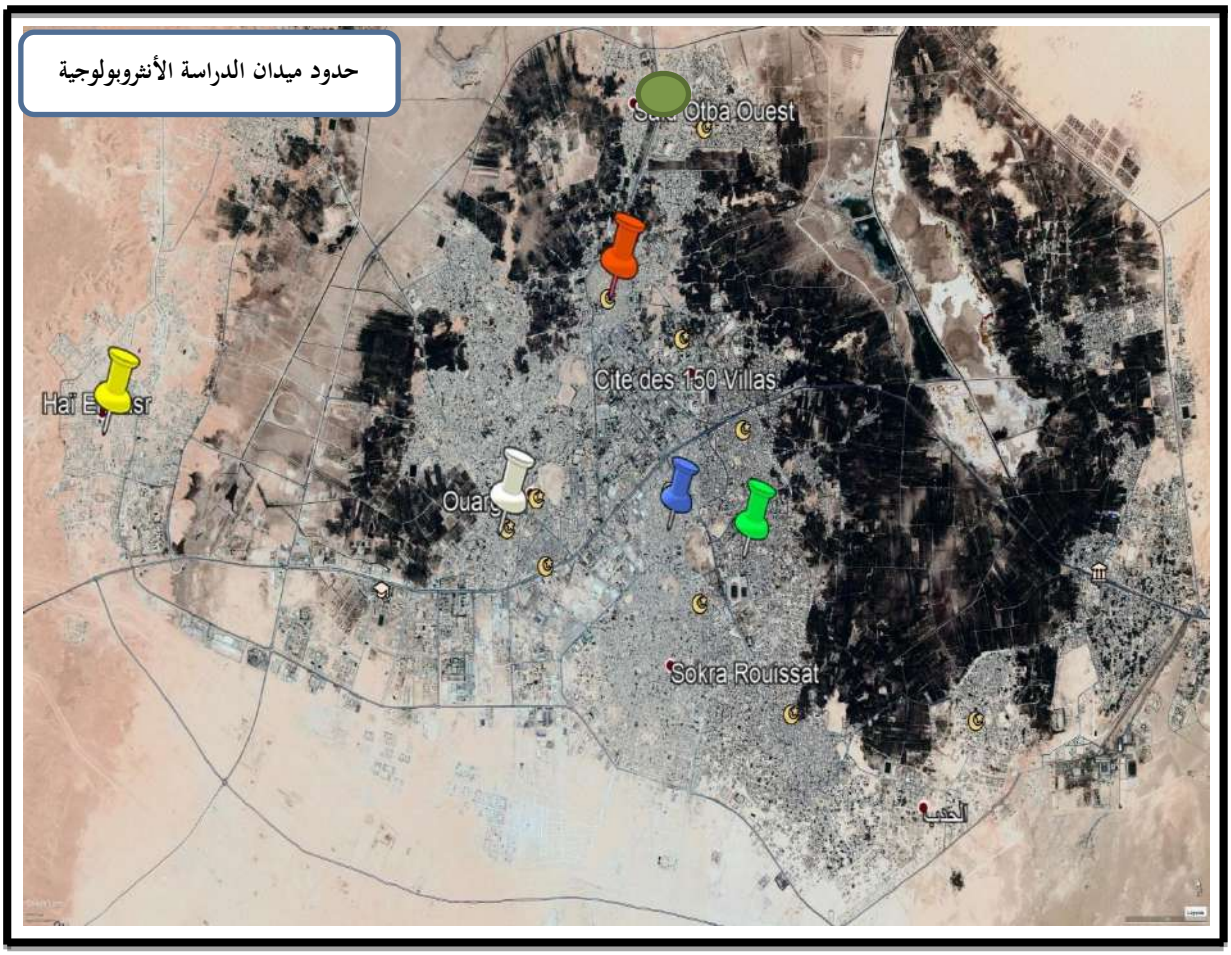

المخطط (02) : مخطط الدراسة الميدانية

المخادمة : **البدو المتمدنين**

حي النصر : **الوافدين الجدد**

بني ثور : **البدو المتمدنين**

القصر العتيق : **المستقرين القدامى**

الرويسات : **البدو المتمدنين**

سعيد عتبة : **البدو المتمدنين**

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2018/11/23)

6. تعاريف إجرائية لمصطلحات الدراسة :

إن مصطلحات و مفاهيم الدراسة هي بحد ذاتها مفاتيح متعددة نستخدمها بين الحين و الآخر للولوج إلى جوانب الموضوع المختلفة حيث ساهمت في تباين نوع الإهتمام ، في أطر علمية محددة و متميزة ، و التي تحتاج منا التمعن أكثر في دقتها وتكييفها اجرائياً لما يتناسب وموقعها الاستراتيجي و الإبستيمولوجي في هذا البحث الأنثروبولوجي الذي هو بين أيدينا الآن ، وسوف نعرض هذه المفاهيم الأساسية وكذا دلالاتها المنهجية و المعرفية في هذا الموضوع .

✓ الأسرة :

غالبا ما تشترك الدراسات الإنسانية و القانونية و الإقتصادية و الإجتماعية ، في التطرق إلى الأسرة بشكل مباشر أو غير مباشر باعتبارها المحور الأساسي الذي تنطلق منه الكثير من الدراسات و الظواهر الإجتماعية المختلفة ، لذلك تنوعت التعريفات حسب وجهة نظر الباحثين ، كل حسب زاويته الخاصة ، وبما أن هذا المصطلح وجب علينا توضيحه من زاوية علم الإجتماع عامة ، و الأنثروبولوجية خاصة ، سوف نقدم مجموعة من التعريفات الأقرب إلى مفهومنا لهذا المصطلح الواسع :

* الإتحاد القائم بين الرجل و المرأة بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة ، فالزواج هو مرحلة وشرط ضروري لقيام الأسرة ، وهي نتاج التفاعل الزواجي [22].

* هي جماعة تتميز بالإقامة المشتركة وتعاون البالغين من الجنسين ، و الأبناء بالولادة أو التبني [23].

[22] محمد عاطف غيث ، دراسات في علم الإجتماع القروي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 196.
[23] Rymond boudon , Philippe Besnard et autres , Dictionnaire de sociologie , larouse , Paris , 1999 , P 97 .

* يعتبر بعض العلماء أن الأسرة هي جماعة اجتماعية تربطها علاقات تأتي عن طريق الزواج و القرابة أو التبني ، وإن أعضاءها يعيشون معا [24].

* الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، وهي التي تحفظ للمجتمع تراثه ، وهي التي تلقن الطفل مبادئ الحياة الإجتماعية ، وفيها يتعلم أيضاً معنى المسئولية ، وهي التي تربي لديه الوعي الإجتماعي ، وعنها مبادئ السلوك الإجتماعي [25].

* هيئة إجتماعية ذات طابع قانوني و أخلاقي ، ويلتزم أفرادها من زوج و زوجة و أبناء بجملة من الواجبات ، و التي من بينها تحمل الآباء شؤون أبنائهم و التكفل بهم [26].

وفي معاجم اللغة الإنجليزية "الأسرة" العائلة family بمعنى كل الناس الذين يعيشون في نفس المنزل حيث يوجد الأبوان و الأبناء ويكون بينهم رابطة الدم و القرابة [27] ، و الأسرة بمفهومها الإجتماعي تعمل على استمرار بقائها ورسوخها و استقرارها عن طريق استمرار العلاقات الإجتماعية و الثقافية ، ومن خلال التعليم و التدريب ، وتنظم الأسرة سلوك النشء وتراقب علاقاته بغيره من أفراد المجتمع [28].

---

[24] محمد الجوهري ، عليا شكري ، علم الإجتماع الريفي الحضري ، مكتبة نهضة الشروق ، القاهرة ، (د ، ط) ، 1980، ص 48.

[25] محمد بيومي خليل ، سيكولوجية العلاقات الأسرية ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، (د. ط) ، 2000 ، ص13.

[26] Alain Beitone , Sciences Sociales , 2 eme édition Dalloz édition , Paris , 2000 , P 173 .

[27] عبد المجيد سيد منصور ، زكريا أحمد الشربيني ، الأسرة على مشارف القرن21 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2000 ، ص 16.

[28] مهدي محمد القصاص ، علم الإجتماع العائلي ، القاهرة ، (د . ط) ، 2008 ، ص 05.

كل هذه التعريفات تبين أن الأسرة هي اللبنة الأساسية الأولى في بناء المجتمع الإنساني ، وفي تعريفنا لها إجرائيا أنها نواة المجتمع و الوحدة الإجتماعية التي تتكون من عدد من الأفراد تربط بينهم علاقات وثيقة تتمثل في الزواج ورابطة الدم و القرابة ، يحددها المعيار الإجتماعي و الثقافي لذلك المجتمع ، تساهم في المحافظة على النوع البشري ، وتعمل على استمراره كوحدة منتجة للأفراد ، انطلاقاً من التربية ، و التنشئة ، و التوجيه ، وزرع قيم معرفية ، و دينية ، وثقافية ، تساعد على الإندماج في ذات المجتمع الذي تعيش فيه .

- ✓ **السكن :**

اعتبر المسكن على أنه مكان يوفر الراحة ووظائف مهمة ، فهو نمط تنظيمي لحياة الناس في الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ، فالمسكن هو خلق مساحة يومية للعديد من العلاقات الأسرية [29] ، فالمسكن هو وحدة سكنية في عمارة أو منزل من النموذج الفردي تشغله أسرة يمكن ان تضم عائلة واحدة أو عدة عائلات [30] ، و المسكن هو المنزل الذي تسوده العلاقات الإنسانية و الذي يكفل تماسك الأسرة و رقيها وفيه يبلور كل فرد ذاته وكيانه الإجتماعي ويحمي حياته الخاصة بشكل وبذلك هو من أهم حاجيات حياة الفرد و الأسرة وشكل من أشكال ثقافتها المادية ويعرف بيار جورج المسكن بأنه عنصر أساسي للارتباط بين الفرد و الأسرة و الوسط الإجتماعي [31] ، حيث يشير اسماعيل ابراهيم إلى أن المفهوم الضيق الذي ينصرف إلى المسكن باعتباره المأوى الذي يقيم فيه الأفراد ، أو البناء المادي الذي يتألف من الحيطان و السقف الذي تقع عليه عين الإنسان ، المفهوم الواسع وهو الذي لا يقتصر على مجموعة الجدران الأربعة وما يعلوها من السقف ، بل على ما يشتمل عليه من الخدمات المساعدة و التسهيلات التي يقدمها المجتمع له لكي يقبل الإنسان على العيش في هذا المبنى بكل راحة

[29] غاستون باشلار ، جمالية المكان ، تر: غالبا ماسا ، دار المجد ، بيروت ، (د ، ط) ، 1987 ، ص 42.

[30] بوشعور الغازي رضية ، بوزيان محمد ، النموذج السكني المرغوب من الجماهير الجزائرية ، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 33 ، لبنان ، جويلية 2017 ، ص 09.

[31] محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 80.

واستقرار [32] ، المسكن هو ذلك الحيز المكاني الذي تأوي إليه الأسرة وتمارس فيه نشاطاتها و تفاعلاتها وفق مجموعة من العادات و التقاليد ، فهو بالنسبة لهم مكان له أهمية نفسية ، ثقافية ، اقتصادية ، واجتماعية ، يتميز بخصوصية تحفظ أفراد الأسرة بما يتناسب وطريقة عيشهم داخل هذا المسكن ، فهو مصمم لتلبية حاجياتها المتنوعة باعتباره الفضاء الخاص بالنسبة لأفرادها .

✓ التساكن :

مصطلح التساكن له العديد من المفاهيم و التعبيرات المختلفة حسب اختلاف التوجهات و الإختصاصات ، فلقد قال ابن خلدون بوجوب اتخاذ الإجتماع الإنساني موضوعا لعلم مستقل وسمي هذا العلم باسم **علم العمران** وبما أنه قصد من كلمة العمران الإجتماع بوجه عام بدليل تعريفه للعمران بقوله : هو التساكن و التنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش[33] ، ونقصد بهذا المفهوم إجرائياً التعايش داخل الفضاء السكني ، حيث ينتج عن هذا التعايش أو التساكن التغير في أماكن إقامة الأسرة ويتمثل أيضاً في الحركية المجالية التي تتخذها الأسرة في دورة حياتها بما يتماشى و الاستراتيجيات التي تعتمدها في شكل خيارات ثقافية و أخرى حتمية ، كما نشير بهذا المصطلح إلى علاقات الجيرة أي التحول الذي يحدث في علاقات الجيرة من خلال التساكن حيث يمكننا أن نحدد طبيعة هذه العلاقات .

[32] اسماعيل ابراهيم الشيخ دره ، اقتصاديات الإسكان ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د ، ط) ، 1988 ، ص 13.

[33] أحمد العجلان ، التوظيف السياسي لنظرية البيئة الطبيعية بين ابن خلدون ومونتسكيو ، دار ومؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2008 ، ص 58.

✓ التحولات الاجتماعية :

تعرف التحولات الإجتماعية بأنها : كل تحول يقع في التنظيم الإجتماعي سواء في بنائه أو وظائفه خلال فترة زمنية .. وهو كل تغيير في التركيبة السكانية للمجتمع ، أو البناء الطبقي ، أو النظم الإجتماعية ، أو في أنماط العلاقات الإجتماعية ، أو في مختلف المؤسسات الإجتماعية [34] ، هي ذاك التحول الذي يطرأ على التركيبة السكانية و المجالات العامة الحضرية للمجتمع ، وكذا سلوك الأفراد وممارساتهم و تحولات العلاقات و الروابط الإجتماعية ، و الهوية الإجتماعية و الثقافية ، انطلاقاً من الأسرة وصولا إلى النسيج العمراني .

[34] إبراهيم إسماعيل عبده محمد ، التحولات الإجتماعية ما بعد الربيع العربي وانعكاساتها على الشباب من منظور علم الإحتماع السياسي : جراسة حالة مصر خلال الفترة من 2011 م 2018م ، مركز جيل البحث العلمي ، مجلة جيل الدراسات السياسية و العلاقات الدولية ، العدد 14 ، لبنان ، يناير 2018 ، ص 118.

7. الجهود السابقة واهتمامها بموضوع الدراسة :

الدراسات السابقة هي بمثابة الجسر المعرفي الذي يربط بين الباحث ومجتمع البحث ، لما لها من أهمية واضحة في كل من البحوث الإجتماعية و الأنثروبولوجية ، تتيح لنا الدخول إلى الميدان بسهولة و مرونة ، ناهيك عن التوجيهات و الخبرات التي يمكن أن تقدمها من خلال اكتسابنا لنظرة ثاقبة لهذا المجتمع المراد دراسته و البحث عن اجابة لهذه التساؤلات القائمة في ذهن الباحث ، فهي خزان معرفي متنوع لبعض من الباحثين و المهتمين بالجانب الحضري في حواضر الصحراء الجزائرية .

كما تعلمون أن مدينة ورقلة تمثل مجال لا يستهان به في دائرة بحثنا الأنثروبولوجي الآني وهذه التحولات التي تحدث لأسباب داخلية و أخرى خارجية تصاحب كل من الأسرة و السكن و التساكن في هذا المجال الشاسع الذي يحتوي على مجموعات اجتماعية متنوعة و غير متجانسة مشكلة الحياة الحضرية الحديثة كل هذا التسارع في التغيير الاجتماعي للمنظومة الاجتماعية ككل يدعوا إلى التساؤل من جهة و ضرورة استحداث آليات جديدة للبحث الأنثروبولوجي لجدارته في اقتحام مضمار هذا التحول من جهة أخرى ، باعتبارها ظاهرة يمكن من خلالها كشف الصورة الحقيقية للمجتمع كيف تحول من مجتمع تقليدي بسيط إلى مجتمع حديث معاصر ، كيف تفكك هذا الرابط الذي استمر لعقود زمنية بعيدة مدمجا في كل من الثقافة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية لمجتمع مدينة ورقلة ، انطلاقاً من سكان القصر العتيق ، إلى كل من البدو الرحل و البدو المتمدنين ، و الوافدين الجدد الموزعين عبر هذا النسيج العمراني و الاجتماعي ، في تكتلات اجتماعية تشغل كل من الرويسات ، و المخادمة ، و بني ثور، أو مجموعة المستقرين القدامى لمدينة ورقلة الذين يسكنون القصور قديما و نموذج القصر العتيق إلى يومنا هذا ، و أيضا مجموعة الوافدين الجدد في منطقة الخفجي (**حي النصر**) ، غير أن الإهتمام بهذه التحولات ما زال في بدايته ، حيث وجدنا القليل من الدراسات التي تعنى بهذه الظاهرة خصوصاً من الجانب الأنثروبولوجي ، نتيجة لعوامل عدة نجهل أسبابها ؟

1.7. الدراسات الأجنبية :

✓ **دراسة كل من (Said Belguidoum, Aines Boudinar) :**

وهي عبارة عن مقال يعالج في مضمونه موضوع مدن الصحراء السفلى عناصر التاريخ الحضري (**Les cités du bas-Sahara Eléments d'histoire urbaine**)[35]، حيث اعتمدوا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المناطق الأساسية المدونة في هذا المقال و هي كل من بسكرة و واد ريغ ورقلة ، و واد ميا ورقلة ، حيث استندوا إلى دراسات التاريخية العربية لكل من بن حوقل و البكري وابن خلدون و الادريسي كمصادر رئيسية مستخدمة ، وكان اهتمامنا بهذه الدراسة كونها تعطي أبعاد أخرى حول الموضوع الذي هو بين أيدينا الآن ، خصوصاً أنهما يعالجان الكثير من المؤشرات الهامة في مدينة ورقلة وذلك وفق الطرح الذي أشاروا إليه حول المعايير النوعية للمدينة (**Les critéres qualitatifs dela cité**) ، حيث شهدت مدينة ورقلة لحظات من العظمة و الانحطاط يمزقون باستمرار بين الحياة البدوية و حياة المدينة ، ويحافظون على علاقات ثابتة و إلزامية مع المناطق الأخرى و كذلك بساتين النخيل و حدائهم .

أيضاً مجموعة العلاقات الاجتماعية التي يشير إليها كل من سعيد بلقيدوم و أنيس بودينار حول علاقة السكان المحليين مع مجموعة القبائل البدوية قبل تمدنهم وبعد تمدنهم ، فالمعيار الأساسي للتشكل المدينة هو التكتل البشري الذي يتميز بسمات نوعية قوية عبر النسيج العمراني و مجموعة الأنشطة التي تختلف اختلافاً جوهرياً عن الانشطة التقليدية التي كانت تميز الطابع المعيشي في الصحراء عموماً ومدينة الواحات خصوصاً ، أي ما تحدده المدينة بعد بداية تشكلها و ما توفره من الأنشطة و الوظائف لأفرادها ، فهي تمثل قوة جذب لحركات الهجرة من القرى و الأماكن القريبة وصولاً إلى الأماكن البعيدة ، إضافة إلى وجود البعد السياسي أي نماذج السلطة السياسية الحكومية

[35] Said Belguidoum, Aines Boudinar , Les cités du bas-Sahara Eléments d'histoire urbaine , https://www.academia.edu/33190417/Les_cit%C3%A9s_du_Bas-Sahara._El%C3%A9ments_dhistoire_urbaine , 10/04/2019 , 02 :18.

التي تقود في الغالب مراحل تشكل المدينة في الصحراء ، بعد تراجع دور السلطة التقليدية نتيجة تحول بنية الأسرة الممتدة التي كانت تمارس شرعيتها السلطوية في تنظيم العلاقات الإجتماعية داخل البناء الاجتماعي لكل مجموعة اجتماعية ، حيث اعتمدوا على عنصر هام يتمثل في وظائف المدينة (Les fonctions de la ville) ، باعتبار المدينة مركز للتبادل و الهوة و الهندسة المعمارية ، هي علامات حضرية تنظم المساحات العامة و الخاصة وهي بدورها تعتمد على كل من السياسة و الدين و القانون و التعليم و التجارة ، كذلك تطرقوا إلى Groupes sociaux, citadinité et modes de vie ، أي دراسات الفئات الإجتماعية وتتبع مسار التحولات و تأثيرها في العادات والتقاليد و أساليب الحياة والتاريخ والذاكرة الجماعية ، لقد إهتم كل منهما بالكثير من المؤشرات التي أنا بصدد البحث في خباياها ، حيث تمثل مثل هذه الدراسات وعاء معرفي لا يستهان به في دراسات علم الإنسان لمعرفة نمط حياة المجتمعات الصحراوية في مدينة ورقلة بالخصوص .

✓ **دراسة مارك كوت (Mark Cote) :**

تعتبر الدراسة التي قام بها Mark Cote من الدراسات الهامة في الجانب الحضري السوسيولوجي و الأنثروبولوجي لأنها قدمت الكثير من مؤشرات البحثية قبل انطلاقنا في ملامسة موضوع الأسرة و تحولات السكن و التساكن في هذا الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري ، حيث نجد أن اهتمام **مارك كوت** يصب في ثلاث نقاط أساسية مركزية (الواد ، بسكرة ، ورقلة) في كتابه **La ville et le désert le Bas-Sahara algérien** ، موضحاً في هذا الكتاب أن فترة ما بعد الاستقلال بدأ نمو النسيج العمراني الأفقي بشكل متسارع في مدينة ورقلة و ذلك بعد سنة **1967** ، هذا التسارع في النمو أدى إلى التطور الغير رسمي في كل من السكن و التساكن ولقد وضح ذلك في الاشارة إلى حي كل من بني ثور و سكرة التابعة لمنطقة الرويسات " [36]، كما أن اتساع حجم أفراد الأسرة ساهم في بناء سكنات اضافية بالقرب من سكناتهم الأصلية ، وذلك باستخدام الادوات التقليدية في البناء (الطوب ، الجبس ، الحجر أو الآجر الترابي) وهو ما أحدث طفرة في النسيج العمراني بين التقليدي و المعاصر ،

حيث يقول " ... هذه الحقائق الاستمرارية التاريخية بين التحضر القديم و الحاضر "[37] ، و قد تطرق أيضاً إلى تطور الأنشطة في الوسط الحضري و كذلك الانفتاح على الأسواق الخاصة (**Le marché Foncier prive toujours actif**) ، بدل تلك الأنشطة التقليدية التي كان يعتمدها الوراقلة عن طريق بيع التمور و نظام المقايضة و التبادل بينهم وبين البدو الرحل سابقاً ، هذا النمط الجديد من العيش الذي تفرضها التحولات عبر آلياتها المتنوعة في الصحراء أثرت على بينة الأسرة سواء لدى مجموعة المستقرين القدامى أو البدو المتمدنين ، وهذا ما نلاحظه من خلال الميدان الذي يثبت أن السكن قد تحول من نمطه التقليدي إلى النمط المعاصر و كذلك

[36] Mark Cote , La ville et le désert le Bas-Sahara algérien ,Editions Karthala et Iremam , Paris , 2005, P172.
[37] IBID , P 15.

تحولات التساكن التي كانت مبنية على دعائم الأنساق القرابية و الجماعية ، وهي تتجسد في أحياء الرويسات و المخادمة و بني ثور ، غير أن الإمتداد و الزحف العمراني من القصر العتيق حول غابات النخيل الخاصة بالوراقلة بقي محافظاً على علاقات الجيرة المبنية على الأنساق القرابية و الروابط المتينة بين المجموعة الاجتماعية .

2.7. الدراسات الجزائرية :

✓ دراسة عبد القادر خليفة :

من بين هذه الدراسات نجد دراسة الباحث عبد القادر خليفة في جانب الأنثروبولوجيا الثقافية و الإجتماعية وذلك في رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم سنة **2011** ، حيث يعالج فيها **تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو_أنثروبولوجية لمدينة تقرت (واد ريغ)**[38] ، التابعة إقليميا وإداريا لمدينة ورقلة ، وهذا النتاج الفكري من قبل الباحث هو تكملة لرسالة الماجستير ، و التي كانت حول **إشكالية الهياكل الإجتماعية ونوع علاقتها بمجالها الإقاماتي و السكني من خلال استراتيجياتها الإجتماعية وممارساتها و تمثلاتها في النزلة مدينة تقرت** [39] .

ومن هنا يتبين لنا أن الباحث قد خاض كثيراً في هذه الدراسة التي تشبه إلى حد بعيد الدراسة التي بين أيدينا الآن و الإختلاف يكمن فقط في الميدان المقصود للدراسة ، حيث حاول الباحث تتبع مراحل التحولات الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدينة من مدن الصحراء الجزائرية ، وكذا العمل على تفسير العلاقات الإجتماعية الجديدة من خلال التمثلات و الممارسات التي ينتهجها أفراد هذا المجتمع دون التغافل على الإنتماء

---

[38] عبد القادر خليفة : تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو أنثروبولوجية لمدينة تقرت (واد ريغ) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في علم الإجتماع تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية و ثقافية ، جامعة بسكرة ، الجزائر، السنة الجامعية 2011/2010 .

[39] عبد القادر خليفة ، الهياكل الإجتماعية و التحولات المجالية في النزلة – تقرت – مقاربة أنثروبولوجية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2005 .

القبلي الذي يمثل القبس المعتمد لديهم في كل من السلوكيات و الأعراف و التقاليد و المعتقدات الدينية ، طبعا كان لنسق الرموز و دلالاتها اهتمام كبير من قبل الباحث وذلك للكشف عن هذا الواقع و مجموعة الممارسات التي تحدث هنا و هناك ، ولعل التحول في بنية الأسرة و السكن من بين الممارسات و الإستراتيجيات الإجتماعية التي تحدث نتيجة للاتصال و التواصل و الاندماج الاجتماعي خصوصا في السنوات الأخيرة ، وما صاحبها من تدهور النسيج العمراني القديم و التقليدي الذي يتمثل في مجموعة القصور وغيرها من السكنات التقليدية الاخرى ذات النمط الصحراوي ، و الذي هو بمثابة الهوية العمرانية في الصحراء ، و الانتقال بها إلى مجموعة أنماط جديدة تواكب الحياة الحضرية الحديثة ، نتيجة لعوامل عدة منها تزايد النمو الديمغرافي و الهجرة إليها من المدن الأخرى ، وأيضا تمدن البدو الرحل لعوامل عديدة ولا ننسى الاحتياجات الحديثة للأفراد وتلبية رغباتهم وسط ما تمليه عليهم الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية .

وقد اهتم الباحث بتتبع نشأة القصور و المدن التاريخية و تطورها في مجال دراسته ، ومعرفة البعد التاريخي الذي من خلاله يمكن لنا فهم هذه التحولات الاجتماعية لهذه المنطقة ، وذلك بالتركيز على أهم المعطيات التي تمثلت في تطور المدينة و البعث على وظائف اقتصادية جديدة ساهمت في تحول هيكل النشاطات المتنوعة وامتهان الحرف و التجارة بدل زراعة النخيل ، وبذلك تغيرت البنى الإجتماعية ككل ومن بينها بنية الاسرة التي تمثل محوراً هاماً لهذه الدراسات ، وقد تم تقسيم عمل هذه الأطروحة من قبل الباحث إلى سبع فصول منها ما هو نظري و ما هو ميداني ، و الذي أثار فضولنا في هذه الدراسة هو ما جاء في الفصل السابع وهو موضوع الزواج و البنية الأسرية و السكن ، باعتبار الأسرة و السكن هما النواة التي تحدد من خلالهما الإستراتيجيات الإجتماعية الجديدة .

✓ **دراسة شاوش مريم (Chaouche Benchrif Meriama) :**

وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم علوم مقدمة باللغة الفرنسية حول الاهتمام بالصحراء الجزائرية وسط هذه التحولات التي تمس كل مدن الجنوب الجزائري وقد ركزت في بحثها بالخصوص على مدينة ورقلة باعتبارها نموذج قائم على بوادر آثار هذا التحول الذي أصبح يتسارع عبر وتيرة ديناميكية في تشكل المدينة ، عنوان أطروحتها هي :

La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones " arides pour une ville saharienne durable CAS du Bas-Sahara[40]

حيث اشتملت هذه الدراسة على إحدى عشرة فصل ، كلها تسلط الضوء على أهم التحولات التي تحدث في المجتمع الصحراوي خصوصا في مدينة الواحات الجزائرية ، وكيف تأثر البدو المتمدنين بعد استقرارهم بالحياة الاجتماعية الحديثة ، نتيجة ظهور العمل المأجور و تنوع الوظائف وازدهار التجارة و المبادلات التجارية الحديثة ، التي أدت إلى تراجع النشاطات التقليدية الممتدة من حقول النخيل كنمط عيش تقليدي ، أيضاً ذهبت إلى دراسة حالة القصر العتيق و خروجه عن أسواره بعد تحولات السكن و التساكن الحتمية و الخيارية الثقافية ، التي تعتمدها الأسرة كنوع من استراتيجياتها داخل الفضاء العمراني الجديد ، أيضاً اهتمت التحضر و علاقته بالبيئة الصحراوية ، أي هي العلاقة الجديدة التي ينتجها البدوي المتمدن و المستقرين القدامى في التعامل مع الواقع الحضري الجديد ، وكذلك مجموعة الوافدين الجدد القادمين من ولايات قريبة و بعيدة إلى مدينة ورقلة باعتبارها مركز جذب للمجموعات الاجتماعية ، هذا التحضر أفرز آليات تغذي توسع النسيج العمراني بعد تبني النماذج السكنية من الشمال ، نموذج (**العمارة ، بنايات فردية ذات طوابق ، ... إلخ**) ، أدت هذه التحولات إلى خلق

[40] Chaouche Benchrif Meriama , La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable CAS du Bas-Sahara , Mémoire De Doctorat En Sciences Option Urbanisme, Universite Mentouri , Constantine , Année Universitaire 2005-2006 .

أنشطة و فئات اجتماعية جديدة ، وكيف أثرت بدورها على أنظمة العلاقات الاجتماعية داهل البناء الاجتماعي ككل .

✓ **دراسة كل من قويدر سيكوك و نافجة عبد المالك :**

يعتبر المقال الذي أنجز من طرف الباحثين حول التحول في الفضاءات العمومية و الخاصة و تأثيرها على العلاقات المجتمعية في المدينة الصحراوية بمثابة لبنة أساسية تمكننا من معرفة الممارسات الثقافية و الحضرية و العلاقات الإجتماعية في تشكل الهوية الحديثة للمدينة الصحراوية ، باعتبارها نسقاً وظيفيا متكاملاً تحول إلى فضاء مخالف لما كان سابقاً من فضاء هوياتي خاص إلى عدم الشعور بالإنتماء لهذا النسق المعماري الحديث ، كما مست هذه التحولات بينة الأسرة و أثرت على الروابط و النسق القرابي لها ، و أدت إلى ضعف العلاقات الإجتماعية و تفككها [41] .

وتمثل اهتمام هذا المقال العلمي في الإحاطة بجوانب عدة بشكل مختصر تنطلق من المدينة و ماضيها في الصحراء باعتبار أن المدينة تشغل أماكن لتجمع الحرفيين و المهنيين وتمثل أيضاً موقع استراتيجي للمبادلات التجارية مع المدن الأخرى و الزراعة التي تلبي حاجيات سكانها ، وسط سلطة مركزية تنظم العلاقات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية لذلك المجتمع ، وصولا إلى تحول الفضاءات وتمثل الصحراوي لها ودور العالم الصناعي واندماج الصحراويين في سوق العمل المتنوع الذي كان يعتبر دخيل بالنسبة لديهم ، ساهم إلى حد كبير في تفتيت تلك اللحمة الإجتماعية التي كانت تربط افراد المجتمع الواحد في ما بينهم ، أما عن موضوع السكن فقد كان له من هذه الدراسة نصيب فالسكن هو المأوى الذي يسكن إليه الفرد فهو جزء من مخياله الإجتماعي ، ومحور حياته يمارس فيه كل خصوصياته مع أفراد أسرته ، أما الآن في زخم هذه التحولات فقط تحولت الأسرة من الممتدة إلى

[41] قويدر سيكوك ، نافجة عبد المالك ، التحول في الفضاءات العمومية و الخاصة و تأثرها على العلاقات المجتمعية في المدينة الصحراوية ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، عدد خاص بلملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية – تقاطع مقاربات حول التحول الإجتماعي و الممارسات الحضرية ، جامعة ورقلة ، 2014 ، ص 71 .

الأسرة النووية عند الكثير من المجموعات الإجتماعية التي تقطن في الصحراء ، لقد أدى تغير بنية الأسرة إلى تغير الإلتزامات و الحقوق و الواجبات [42]، كان لها أثر واضح في تحول وظائف السكن التقليدي لما يمتلكه من عادات و تقاليد تمارس فيه بشكل مباشر و غير مباشر ، انطلاقا من هندسته المعمارية التي تضرب بعمق في التراث المعماري الإسلامي في الصحراء ، هذا الفضاء قد تغير ولم تعد أجزائه تؤدي وظائفها كما كانت سابقاً ، المطبخ ، السقيفة ، غرفة الضيوف... إلخ ، ناهيك عن أدواره الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و الأخلاقية ، ولعل الكثير من الرموز و الدلالات لازالت شاهدة إلى يومنا هذا .

[42] المرجع السابق ، ص 77.

الفصل الثانـي

الفصل الثاني :

ورقلة " دراسة مونوغرافية واجتماعية "

تمهيد الفصل الثاني

1. لمحة تاريخية عن مدينة ورقلة

2. مكونات الوسط الطبيعي (التضاريس ، المناخ ، الموارد المائية)

3. المجموعات الإجتماعية في حوض ورقلة

الخلاصة

تمهيد الفصل الثاني :

لابد لنا من المرور في دراستنا هذه إلى منعرج هام من البحث ، و المتعلق بالدراسة المونوغرافية لهذه المدينة الصحراوية لما لها من خصوصية استراتيجية تميزها عن باقي المدن الجنوبية الأخرى ، هذا ما جعل من حوض ورقلة ميداناً خصباً يستحق المغامرة الأنثروبولوجية ، تخول للباحث الدخول في مضمار الميدان وتقصي جملة من الحقائق التي تمكنه من معرفة هذه المجموعات الاجتماعية في أنماطها الحياتية الإيكولوجية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية وحتى السياسية ، ولا يمكن لنا معرفة هذه الحقائق إلا من خلال الدراسات المونوغرافية للمدينة و معرفة خصوصية مناخها و تضاريسها و مواردها المائية ، و كذلك الاقتراب من فهم الهيكل البنيوي لهذه القبائل و العشائر لتسهل علينا تحديد العينة قصد استقصاء معلومات متنوعة يمكن لها إثراء البحث .

1. لمحة عن تاريخ مدينة ورقلة :

تمثل مدينة ورقلة أحد أهم مدن الجنوب الجزائري فهي من المدن المتجذرة في التاريخ الإنساني منذ القدم ، ولعل موقعها الاستراتيجي جعل منها مدينة تحاكي أحرف المؤرخين و الباحثين و أسالت حبر الكثير منهم في مواقع عديدة تشغلها مدينة الواحات الجزائرية ، حيث نجد إبن خلدون في كتابه "العبر وديوان المبتدأ و الخبر" والعياشي في كتابه "ماء الموائد" ، و مارك كوت (**Marc Cote**) في كتابه " لو روى لي واد ميّا قصته ... الجغرافيا المصغّرة لمنطقة ورقلة " ، و ألان رومي (**A.Romey**) في كتابه "سعيد عتبة أصحاب أنقوسة " ونجد أيضاً الباحث الفرنسي جون ليتو (**J.Lethieux**) صاحب كتاب " ورقلة مدينة صحراوية من القديم إلى مطلع القرن العشرين " بحيث تمثلت كتاباتهم في تتبع تاريخ هذه المدينة ومكونات وسطها الطبيعي (المناخ ، التضاريس ، الموارد المائية) من جهة ، ومعرفة الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية لهذا المجتمع من جهة أخرى ، نظراً لأهمية موقعها الجغرافي بين واحات الجنوب الجزائري الأخرى . فمجموع الحفريات و الرواسب التاريخية للوجود البشري يدل على أن هذه المدينة يعود تأسيسها إلى ما قبل التاريخ .

1.1. أصل التسمية :

إختلف الباحثون و المؤرخون حول أصل تسمية مدينة ورقلة ، فمنهم من يذهب إلى واركلان و وراجلان ومعناها في اللهجة الأمازيغية **الأولاد السمر** أو الأطفال ذوي البشرة السمراء ، حيث يقول ابن خلدون " بنو واركلا أحد بطون زناتة من ولد فرني بن جانا ، إخوانهم يزمرتن ومنجص ، ونملاته ، كانت فئتهم قليلة وموطنهم قبلة بلاد الزاب " [43] ، ومن هنا نلاحظ الإختلاف في أصل تسمية المدينة من طرف الباحثين و الرحالة و غيرهم من الضباط الفرنسيين ، وكذلك مجموع الروايات الشفوية لأهالي المنطقة لم تحدد أصل تسمية هذه المدينة بهذا الإسم " ورقلة " ، وقد أعطى الأب ليتيليو في كتاباته هامشاً كبيراً لأصل كلمة ورقلة ، " ... حيث يرى أن نطقها

[43] ابن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، دار الكتاب اللبناني ، ج12 ، 1961 ، ص106

يختلف حتى ما بين مواطني المدينة وجيرانهم ، الوارقليون سكان القصر العتيق يسمونها وارقرن Wargren ، أما النقوسيون وهم سكان قصر نقوسة الذي يقع إلى الشمال من ورقلة على مسافة 22كلم يطلقون عليها اسم وارقرة Wargra "[44] ، كما أن المؤرخ المستشرق مارمول فيقول في دراسته لمدينة ورقلة و أصل تسميتها أنها تعود إلى " ... بني البرابرة هذه المدينة العتيقة في صحراء نوميديا ، و أحاطوها بالأسوار ، وشيدوا فيه منازل جميلة ، يوجد بضواحيها كثير من النخل ، تتخلله القصور المنيعة "[45] ، و أيضاً نجد أن ليتيليو يشير إلى تنوع واختلاف تسمية المدينة فيقول : " ... أما المزابيون فيسمونها وارجلن Wardjlan ، أما الطوارق فيسمونها إوارقلن Iwarglen ، بينما البدو الرحل من العرب القاطنين على أطراف المدينة وهم آخر من حل بالجهة فيطلقون عليها اسم ورقلة Ouargla "[46]، وبقي هذا الاسم على حاله بعد تداول الإستعمار الفرنسي له في السجلات الإدارية الخاصة بالمناطق الصحراوية ، بحيث سادة تلك التسمية إلى يومنا هذا .

[44] أحمد ذكار ، مدينة ورقلة التسمية و التأسيس (دراسة تاريخية) ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد 17، 2014 ، ص 162.

[45] مارمول كرباخال ، إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار المعرفة ، ، الرابط ، المغرب ، ج3 ، 1989 ، ص 122

[46] أحمد ذكار، نفس المرجع ، ص 162.

2.1. تأسيس مدينة ورقلة :

من خلال تتبع مسار تأسيس مدينة ورقلة من بين الحواضر الصحراوية ، نجد أن هناك الكثير من التأويلات و الترجيحات من طرف المؤرخين و الباحثين و المستكشفين وغيرهم من علماء الآثار ، التي تأخذ أبعاد زمنية متعددة إبتداءاً من العصر الحجري ، من خلال الرواسب المادية مثل الأدوات الحجرية المتمثلة في مجموعة من الأواني و الرماح ، التي صنعها الإنسان القديم الذي مر على هذا المكان وترك مخلفاته ، ومثالاً على ذلك أيضاً تم العثور على بعض الكهوف و المغارات للإنسان القديم و التي بقيت شاهدة على تلك الحقبة من الزمن ليومنا هذا في أعالي مدينة الواحات ، وصولاً إلى الحضارات التي تعاقبت عليها مثل القرطاجية و النوميدية .

وهناك أيضاً من ربط تأسيس هذه المدينة بفجر الإسلام أي من خلال الفترة الإسلامية وامتدادها إلى شمال إفريقيا قديماً ، ولعل نمط العمران الإسلامي الذي يزخر به القصر العتيق هو الشاهد من قولهم هذا ، لذاك سوف نمر على بعض من كتابات المؤرخين و الباحثين و المستكشفين للكشف عن هذا اللبس الذي يشوب تأسيس مدينة الواحات ، بينما يقول في هذا الصدد الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان " ... ورقلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا لها صور من الحجر الني ودور جميلة ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى "[47] ، رغم أن مجموعة المصادر التي درست تاريخ مدينة ورقلة قليلة للغاية ، حيث يقول عبد الرحمان ابن خلدون "... أنها بنيت من طرف قبائل بني واركلا القادمين من زناته ، أي أنهم زحزحوا من طرف الرومان إلى هذه المنطقة "[48] ، ويرجح ابن خلدون إلى وجود بني واركلا في هذه المنطقة وقاموا بتأسيس القصور على امتداد من بسكرة إلى قصر النقرين التابع إلى مدينة تبسة وصولاً إلى مدينة ورقلة و تأسيس عدد من القصور في منخفض واد ميّة ، منها قصر النقوسة في مدينة توقرت و القصر العتيق وسط مدينة ورقلة ، ويرى جون ليتيليو (**Jean**

[47] الحسن ابن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ج2 ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 136

[48] أحمد ذكار ، المرجع السابق ، ص 165.

(Lethielleux) " ... أن تأسيس ورقلة لم يكن إلا سنة 108هـ – 726م على يد الشيخ حادور Hadour القادم من الزنجبار مع جماعته أين استقروا وأسسوا المدينة الجديدة أقام فيها مع العبيد الذين جلبهم معه "[49] .

رجح بعض الرحالة و المستكشفين المستشرقين أن مدينة ورقلة لم تتأسس إلا من بعد قدوم العرب الفاتحين سنة 666 م وتعزيز نفوذهم في شمال إفريقيا آن ذاك ، ومن بينهم الرحالة لارجو Largeau ، فبعد الفتح الإسلامي هاجر الكثير من البرابرة إلى هذه المنطقة و استوطنوا حوض واد ميّة و أسسوا العمران و مارسوا زراعة النخيل وأصبحت منذ ذلك الوقت موطناً لهم ، يشير مارك كوت (Marc Cote) أن " ... وارجلان تكون قد تأسست سنة 726 م من قبل مهاجرين تعود أصولهم إلى زنجبار ... وفي القرن ال 13 بني حصن حول واجلان لحمايتها ، الامر الذي مكنها من الصمود و النجاة من الخراب الذي طال سدراته ، وقد ورثت عن سدراته تقاليدها الإباضية هذه الشعيرة الدينية التي مورست لمدة 6 قرون في هذا الجزء من الصحراء " [50]، كما أن قصورها بقيت شاهدة على تلك الحقب الزمنية التي تعود إلى القرون الوسطى ، فقصر ورقلة العتيق المتواجد حالياً وسط المدينة يدل على تجذرها و أصالتها عبر العصور ، يقول البكري " ... وارجلان هي سبع حصون للبربر أكبرها يسمى اغرام يكامن "[51] .

[49] المرجع نفسه ، ص 165.

[50] Marc Cote , si l'oued m'était conté … Petite géographie de Ouargla , tr: dadéne hadi , 2016 , P10.

[51] عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري ، المسالك و الممالك ، دار العربية للكتاب ، ، تونس ، ج1، 1992 ، 182.

تشير كلمة اغرام في اللغة الأمازيغية إلى التجمع السكاني ، فقصر ورقلة هو من المباني الأولى التي شيدها الإنسان البربري القديم وساهم في خلق هذا النموذج من السكنات التي تبدو متراصة في ما بينها بشكل نسيج عمراني متكامل و مترابط في أجزائه يقبع داخل واحات النخيل ، نتيجة ارتباط سكانها بعالم الزراعة آن ذاك ، غير أن المدينة شهدت نوع من التعبئة السياسية بعد الاستقلال ومنذ بداية سنة 1962 ، و التي ساهمت في الكثير من القرارات المهمة في تاريخ مدينة الواحات ، بحيث تم تشييد البنايات و الطرقات ، و تطوير النسيج الاستعماري ، وكذلك خلق المدينة الإدارية الحديثة ، بعد التقسيم الإداري وتعيينها مركز ولاية ، خصوصاً بعد اكتشاف حقول النفط في منطقة حاسي مسعود حيث يقول مارك كوت **(Marc Cote)** " ... لقد ساهم القرن العشرين بشكل معتبر في توسع رقعة هذا البلد في اتجاه الجنوب ، وهذا بسبب اكتشاف حوض بترولي كبير ، أرادت له الجيولوجيا أن يتخذ من مركز جنوب منطقة وادي ميّا موقعا " [52] .

[52] IBID , P 07.

3.1. الموقع الجغرافي :

تقع ولاية ورقلة في الجنوب الشرقي للجزائر ، تتربع على مساحة إجمالية تقدر ب: 163233 كلم2 ، يحدها من الشرق الحدود التونسية ، ومن الشمال الشرقي وادي ريغ وبسكرة والوادي ، ومن الشمال الغربي غرداية و الجلفة و المنيعة ، ومن الجنوب الغربي إيليزي و تمنراست ، (**أنظر الشكل رقم 01**) تبعد على العاصمة الجزائر بحوالي 900 كلم2 ، تعتبر من أكبر التجمعات الإدارية في الجنوب الجزائري نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجي بين المناطق الصحراوية الأخرى ، تتكون الولاية من (08) ثمانية دوائر و (21) واحد وعشرون بلدية وهي جزء من المنخفض الصحراوي بين خطي عرض 28° و 32° شمالاً ، وخطي طول 4°و 8° شرقاً .

الخريطة (2) : موقع ولاية ورقلة في الخريطة الجزائرية[53]

[53] خرائط مدينة ورقلة : https://www.google.com/search? ، تاريخ زيارة الموقع ، 2019/3/16 ، 21:20سا

2. مكونات الوسط الطبيعي (التضاريس ، المناخ ، الموارد المائية) :

1.2. المناخ :

إن ارتباط مدينة ورقلة بالبنية التضاريسية ومستوى ارتفاعها على سطح البحر و تأثير كل من الإرتفاع و الإنخفاض في سطحها على نوع الغطاء النباتي وخصوصية التربة ، يجعل مناخها يمتاز بالجفاف نظراً لطبيعتها الصحراوية القاحلة ، كما أن درجات الحرارة جد مرتفعة خصوصاً في فصل الصيف لتصل درجات الحرارة المسجلة في هذا الفصل من 40° إلى 50° [54]، و كذلك شدة البرودة في فصل الشتاء ليلاً ، فالطابع الصحراوي العام للمدينة قاصي جداً نظراً لهوائها الجاف .

1.1.2. الرياح :

طبيعة المناخ القاصي و الجاف لمدينة ورقلة يأثر على نوعية الرياح التي تكون في الغالب رياح ساخنة محملة بالأتربة خصوصاً في أواخر شهر فيفري إلى غاية شهر أفريل ، تتمثل في نوعين من الرياح :

- **رياح ساخنة :**

هي رياح موسمية رملية في شكل عواصف تسمى عند أهالي المنطقة باسم "الشهيلي القبلي" تبلغ حدها الأقصى في نهاية شهر مارس و بداية شهر أفريل بسرعة 22كلم /سا [55]، تأثر بشكل واضح على الغطاء النباتي الذي لا يتميز في مدينة ورقلة عن بقية المناطق الصحراوية الأخرى ، فالغالب من الغطاء النباتي التي تميز هذه المدينة نجد النخيل بكثرة و كذلك بعض النباتات الشوكية ، والأشجار المقاومة للمناخ الصحراوي المتميز بالجفاف حيث نجد الصبار، الرمث ، الرتم ، الضمران ، العلندة ،...إلخ ، وأيضاً لها تأثير على المساكن من جهة و النشاطات السكان من جهة أخرى ، ذات اتجاه جنوب و جنوب غرب .

[54] مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء ، الدليل الإحصائي لولاية ورقلة ، زيارة ميدانية سنة 2018.

[55] المرجع نفسه .

- **رياح باردة :**

هي رياح شمالية شرقية تسمى عند أهل المنطقة "رياح البحري " تمتاز بالرطوبة تبدأ من شهر سبتمبر يرحب بها سكان المنطقة لما لها من فوائد عديدة منها المساعدة على تلقيح أشجار النخيل ، و كذلك تلطف الجو و تأثر بذلك على أنواع الغطاء النباتي .

2.1.2. تساقط الأمطار :

يبدو أن الغطاء النباتي وطبيعة المنطقة الصحراوية يأثران على كمية الأمطار المتساقطة في مدينة ورقلة ، بحيث تمتد فترة تساقط الأمطار بكميات محتشمة بداية منذ شهر أكتوبر غلى غاية شهر فيفري بنسبة تصل إلى 28.0 ملم [56]، إلا أن هناك بعض الإضطرابات الجوية التي تكون فيها نسبة التساقط أكثر من القيمة المعتادة حيث تتجاوز 50 ملم مثلما حدث سنة 2002 م وكذلك سنة 2018 م .

[56] المرجع السابق .

2.2. التضاريس :

تبدو تضاريس مدينة ورقلة من خلال مجموع الخرائط و الدراسات الجيولوجية أنها جزء من المنخفض الصحراوي الكبير ، يبلغ طوله 30 كلم وعرضهما بين 12 و 13 كلم ، وارتفاعه بين 103 و 105 فوق مستوى سطح البحر ، يمتد بين هضبتين الأولى تحدها من الغرب وارتفاعها 203 م ، و الثانية تحدها من الشرق بارتفاع يناهز 160م ، وهي متصلة برمال العرق الشرقي الكبير [57] (**أنظر الشكل 02**) ، وهو على شكل طولي من الشمال إلى الجنوب بحيث تظهر الجهة الغربية اليمنى أكثر ارتفاعاً من الجهة الشرقية الوسطى ، والملاحظ أن مدينة ورقلة لها سطح شبه منبسط في الجهة الشرقية تحتوي على مجموعة كبيرة من التكوينات الرملية ، وكذلك بعض الانحدارات الشديدة تظهر في الجهة الغربية بحيث تتشكل بلدية ورقلة في مساحتها بمناطق رعوية صحراوية ومجموع من الأودية و السهول و الكثبان الرملية تصل نسبتها من المساحة الإجمالية إلى 98.35% ، أما باقي المساحة فتتوزع على كل من التجمعات السكنية و غابات النخيل بنسبة تقدر ب 1.65% [58].

[57] عبد الله السايح ، صفحات من تاريخ ورقلة ، دار هومة ، الجزائر ، (د ، ط) ، 2010 ، ص 22 .
[58] المرجع السابق .

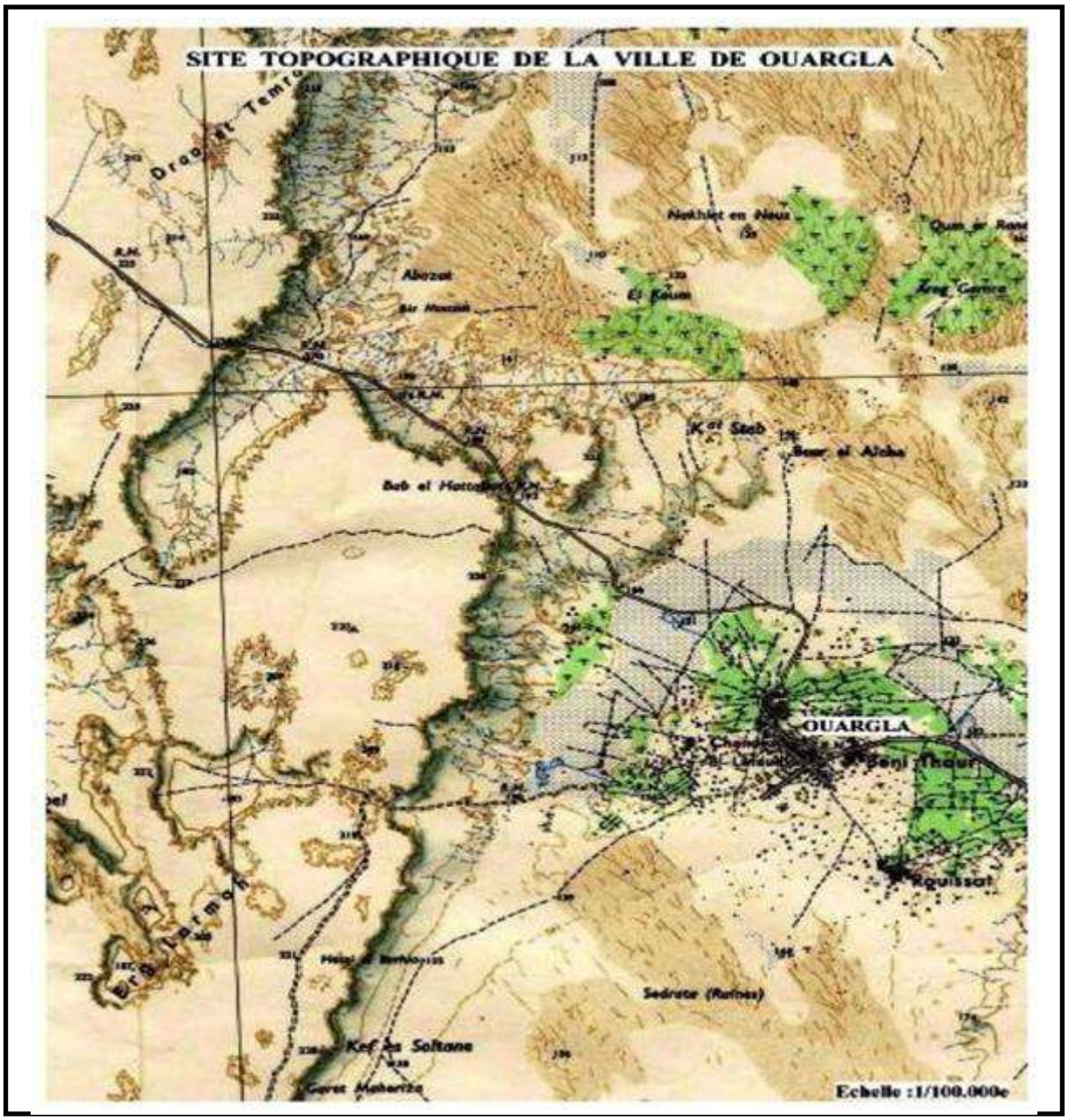

الشكل (1) : طبوغرافيا مدينة ورقلة [59]

[59] دراسة مناخية و عمرانية واقتصادية واجتماعية لمدينة ورقلة : https://www.google.com/search? ،تاريخ زيارة الموقع ، 2019/3/10 ، 22:30سا

3.2. الموارد المائية :

تزخر مدينة ورقلة بمجموعة من الأودية من أشهرها واد ميزاب في الشمال وهضبة واد ميّة (**تاميت**) ، و أيضاً الهضبة المعروفة (**تهرت**) ، هذا المورد المائي الذي يحتوي على المياه السطحية و المياه الباطنية جعلت من المدينة مكاناً خصبا صالحاً للزراعة و العيش ، كما أن وفرة المياه في هذا الوادي عبر العصور جعلت منها منطقة مقصودة للسكن و العيش وممارسة النشاطات الزراعية ، ولعل غابات النخيل الشاسعة المحيطة بالقصر العتيق وتمتد إلى غابات النخيل (**البور**) ، التي يمتلكها البدو المتمدنين ، حيث أن هذه النخيل تزرع مباشرة لوفرة المياه السطحية في هذا الحيز الجغرافي ، وصعود مياه الأمطار إلى السطح عن طريق الخاصية الشعرية التي تعتمد على الانتقال من الوسط الأعلى تركيز إلى الوسط الأقل تركيز ، تتنوع فيها طبقات المياه .

حيث نجد طبقة المياه الكلسية حسب ما تفرزه الدراسات الهيدروجيولوجية يتجاوز عمقها 150 م ، وطبقة المياه الرملية بحيث يتجاوز عمقها 100 م يستغلها الأهالي في عمليات الفلاحة ، كما أن هناك طبقة المياه الساخنة أو ما يطلق عليها (**القارية العميقة**) يتجاوز عمقها 900 م ، يستغلها السكان بشكل يومي ، حيث يقول مارك كوت (**Marc Cote**) " ... منطقة واد ميا لا تظهر على شكل نجع ، ولكن بالأحرى على صفة ممّر واسع ممتد على مسافة 100 كلم من الجنوب نحو الشمال ، وهو محفوف من ناحية الغرب بجرف عظيم (باطن) هضبة تعود للزمن البليوسيني " [60] ، إن المجرى المتمثل في المنخفض الصحراوي لواد مية جعل من المياه الباطنية مكاناً للأراضي الخصبة (**أنظر الشكل 3**) .

[60] المرجع السابق ، ص 19

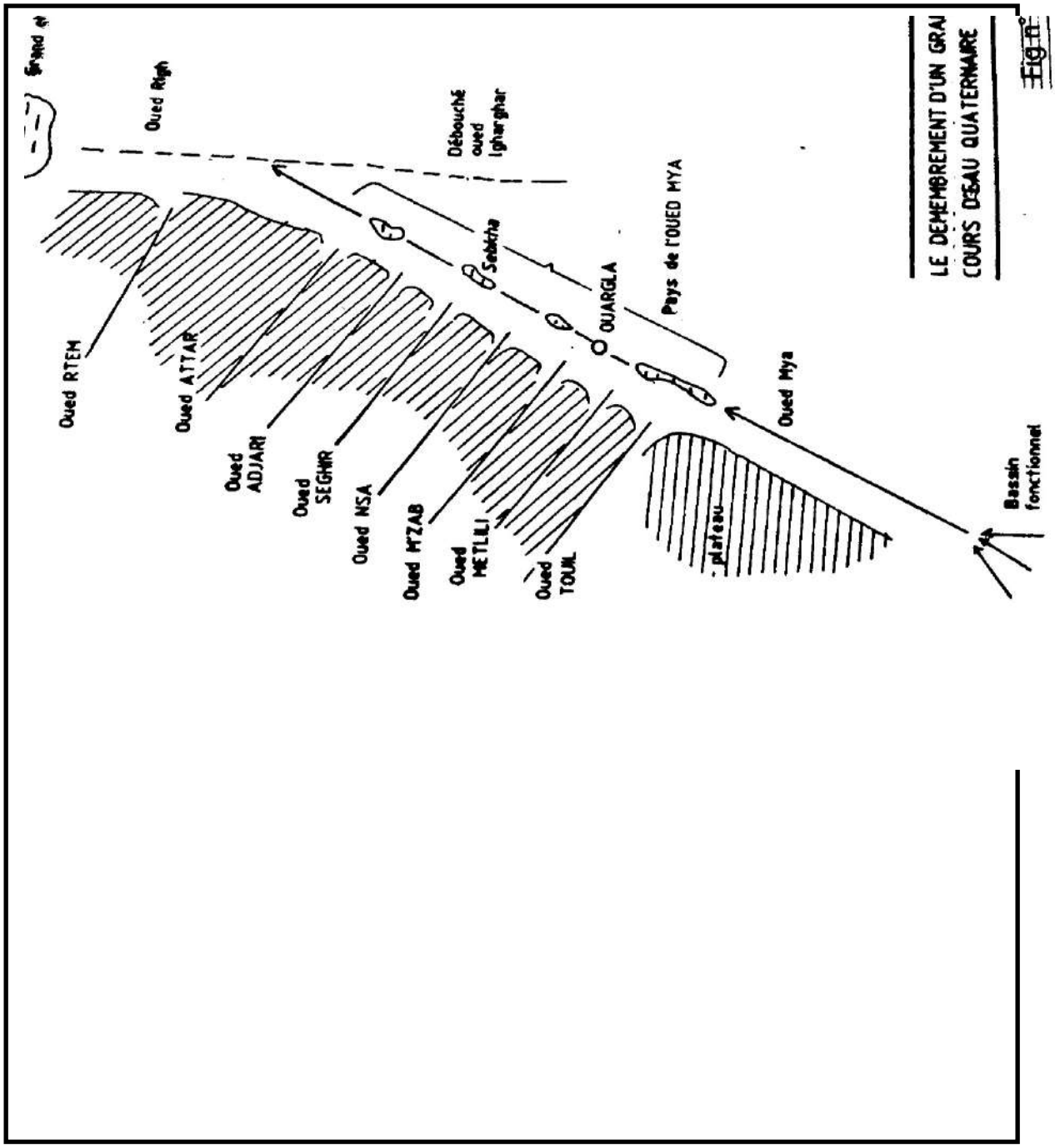

الشكل (**02**) : تمفصل لمجرى مائي كبير يعود للزمن الرابع اليولوجي[61]

[61] المرجع السابق ، ص 18

3. المجموعات الإجتماعية في حوض ورقلة :

يبدو أن هذا الفضاء الحضري في الصحراء الجزائرية يستدرج في مضامينه آليات بحثية متنوعة ، تاريخية ، ثقافية ، اجتماعية ، اقتصادية ، يمكن من خلالها اقتحام المجال ونبش مخزون الذاكرة الجماعية ، وتفكيك هذه المجتمعات التقليدية بحثياً ، من خلال الاقتراب من الممارسات و التفاعلات التي ينسجها الفاعلون في مدينة من مدن جنوبنا الكبير ، يقول (سليمان ، **إخباري**) :

" ... مدينة ورقلة هي ملتقى الحضارات منذ القدم ، لأنها تمثل نقطة عبور هامة ومركز يضم الكثير من المجموعات البشرية القادمة من الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب "[62]

إن هذا المشروع الذي هو بين أيدينا الآن هو جزء من هذه المضامين التي تستدعي البحث الآني ، و التعمق الجذري في استراتيجيات الزواج و القرابة و السكن في المجال العمراني التقليدي و المعاصر في هذا الفضاء الصحراوي المميز ، باعتبار أن علم الإنسان مؤهل أكثر من غيره في إحداث مقاربة يمكن لها أن تعالج جزئيات هذا الطرح ، ربما مقاربة الأنثروبولوجيا الحضرية استناداً إلى أبحاث وخبرات مدرسة شيكاغو ، و ما أفرزته من ميكانزمات يمكن تتبعها للوصول إلى استراتيجيات يسلكها الإنسان في تعامله مع الحضرية بشكل عام ، إن الاتصال بين المجتمعات له دور بالغ الأهمية في تنشيط العمليات الاجتماعية ، وبالتالي يضفي بعداً دينامياً على البناء الاجتماعي القائم ، إذ يتأثر هذا البناء بلا شك بالأفكار المستحدثة التي ترد إليه من الخارج ، وتدفعه إلى وقفة تأمل ليتخذ بعدها قراره بالقبول أو الرفض"[63] ، لذلك نرى أن المرور عبر هذه البنيات الاجتماعية في استراتيجياتنا التنقيبية البحثية ، يمكن أن يصبح إرث إمبريقي ضخم يمكننا من الوصول إلى نقاط أكثر عمق في تحليلنا لهذا المجتمع ، من هنا نبيّن المسعى الأنثروبولوجي في تفكيك التركيبة السكانية لمجتمع مدينة ورقلة حتى

[62] مقابلة مع إخباري ، ماي 2018

[63] دلال ملحس أستيتية ، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل للنشر و التوزيع ، ، الأردن ، ط2، 2008 ، ص 50.

نستطيع فهم و تتبع ديناميات التحولات الإجتماعية ، و الثقافية ، و الإقتصادية ، ومعرفة مساراتها و تأثيراتها على البيئة الإجتماعية للمجتمعات التقليدية الصحراوية ، التي تتخذ من حوض ورقلة فضاءات خاصة للعيش و الإستقرار في تقاطعاتهم المجالية المختلفة ، مستعينين في ذلك على جملة الملاحظات المباشرة و الغير مباشرة و عمليات الاستقصاء الميداني من خلال المقابلات مع المخبرين و المبحوثين في تحليلنا لخطاب الفاعلين المنتمين لهذه المجموعات الاجتماعية :

- ✓ **مجموعة البدو المتمدنين** : الرويسات ، المخادمة ، بني ثور ، سعيد عتبة .
- ✓ **مجموعة السكان المحليين** : بني سيسين ، بني ابراهيم ، بني واقين (القصر العتيق) .
- ✓ **مجموعة الوافدين الجدد** : المتواجدون في منطقتي سكرة و حي النصر .

1.3. مجموعة السكان المحليين (الوراقلة) :

عندما نتكلم عن مجموعة السكان المحليين القاطنين في مدينة ورقلة فنحن إذاً نتكلم على البنية السكانية المتواجدة في القصر العتيق وكذلك الامتداد الخاص بهم في وسط المدينة (**الشكل 4**) ، فهم يتكونون من ثلاث عروش كبرى كل عرش له مجموعة من الألقاب تتعايش في ما بينها في هذا المجال السكني (**Ksar**) ، وهم كل من بني سيسين ، وبني واقين ، و بني ابراهيم ، يعود نسلهم إلى القبائل البربرية التي استوطنت حوض مدينة ورقة قديماً ، حيث نجد من بينها قبائل بنو مغراوة و بنو يفرن وهم بطن من بطون الزناتة البربرية ، حسب ما جادت به أفواه المبحوثين الذين ينتمون لهذه الجماعة الاجتماعية ، ومن خلال زيارتنا للقصر العتيق تبين لنا أنهم ليومنا هذا لازالوا يحافظون على هويتهم و ثقافتهم الأمازيغية ، رغم اختلاطهم بقبائل البدو العربية وتقاسم المجال في ما بينهم إلا أنهم يتكلمون باللهجة الورقلية التي تسمى تقارقرنت قريبة في مفرداتها من اللهجة الشلحية المشتقة من اللهجة الأم الأمازيغية إلى جانب نطقهم للّغة العربية ، منهم من يعتنق المذهب الإباضي و منهم من يعتنق المذهب المالكي ، إن البينة السكانية للقصر العتيق تنقسم إلى ثلاث مجالات ! بني ابراهيم في الجهة الشمالية و بني واقين في الجهة الشمالية الشرقية ، أما بني سيسين يتمركزون في الجهة الجنوبية الغربية من القصر ، " ... و من المنطقي أن لا تفكر الشعوب ببناء المساكن الدائمة إلا إذا استقرت في مكان معين ، كي تمارس الزراعة ، لذلك استطاعت الشعوب الزراعية دون غيرها بناء مساكن مستقرة بمفهومها المعاصر"[64]، إن هذا النسيج العمراني التقليدي يتشكل من وحدات سكانية متراصة و متماسكة لها نفس الهيكل المادي الذي يستمد خصوصيته من مكونات بسيطة تمنحها لهم البيئة الصحراوية ، تتفرع داخل القصر ممرات ملتوية تؤدي إلى التجمعات العمرانية لهذه القبائل الثلاث يطلق عليها إسم الحارة ، يرى علي حسن الصغير أن هذه التكتلات العمرانية المتماسكة و

[64] يوليوس ليبس ، أصل الأشياء بدايات الثقافة الانسانية ، ترجمة: كامل اسماعيل ، دار المدى للثقافة و النشر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 2006 ، ص 14

المتشابكة تأخذ أبعادا أعمق من كونها كيانات مادية فقط بل تتعدى ذلك إلى كونها فضاءات حميمية نلاحظ في تصميماتها " ... أهمية مراعاة الأنساق القرابية في عملية التخطيط العمراني ، وهو ما تجسد واقعاً في القصر على النحو التالي[65] :

- ✓ **حي بني ابراهيم** : حارة (لالة منصورة ، الكيوت ، كيربا ، الميزاب ، توراست ، بايدير ، عزي).
- ✓ **حي بني وقين** : حارة (باعياد ، دقيش ، باب رابعة ، باب الربيع ، باهداج ، بوسهال ، زنزلة ، بابا حرزي ، لالة شيخة ، بالغلان) .
- ✓ **حي بني سيسين** : حارة (عروسة ، سيدي بلوفا ، تيسكفين ، سيدي حفيان ، بوعمران ، الموكف ، بوسحاك ، أكضي) .

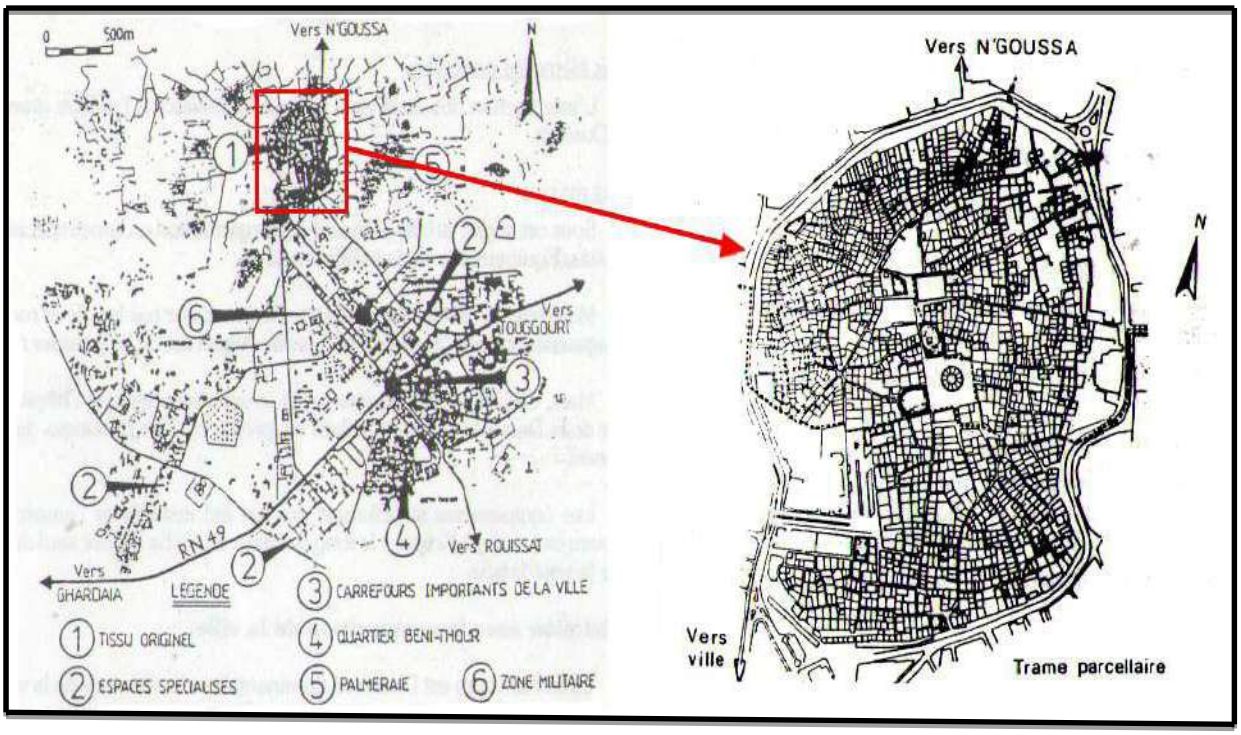

الشكل (3) : قصر ورقلة العتيق[66]

[65] علي حسن الصغير ، التوافق البنيوي بين النسق القرابي و المجال العمراني قصر ورقلة ، الأشرف للكتاب العربي ، الجزائر ، ط1 ، 2018 ، ص 128 .

2.3. مجموعة البدو المتمدنين :

يرجع أصل البدو المتمدنين في حوض مدينة ورقلة إلى أصول عربية ، هذه القبائل العربية المتوزعة الآن في فضاء مدينة ورقلة يرجع إمتدادهم إلى بني هلال وبني سليم ، و استقر الكثير منهم في حوض مدينة ورقلة ، وتعود الحادثة التاريخية في تواجدهم لأجل تقوية وتثبيت حكم الهلاليين خصوصاً بعد ما قويت شوكتهم في مصر آن ذاك ، يقول كذلك عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمته " أن العرب لم يكن لهم المغرب في الأيام السابقة بمستقر و إنما انتقلوا إليه في القرن الخامس هجري"[67] ، ولم يندمجوا مع مجموعة السكان المحليين "**الوراقلة**" آن ذاك و إنما كانت مضاربهم في حوض ورقلة في فضاءات بعيدة عن النسيج العمراني للقصر العتيق ، نظراً لخصوصية هذه المجموعات الاجتماعية الثقافية و الإجتماعية و الإقتصادية ، هذه القبائل البدوية انقسمت في مجال مدينة ورقلة إلى قسمين بدو متمدنين اختارو زراعة النخيل إلى جانب تربية الابل و ممارسة التجارة ، وأنصاف البدو وهم قبائل يمارسون الترحال عبر هوامش الصحراء على امتداد واسع بحثاً عن الماء و الكلأ ، ثم تعود هذه القبائل إلى الاستقرار في فضاءاتهم الصحراوية عبر التقاطعات المجالية للمدينة في نهاية فصل الصيف لجني محاصيل التمور ، يذكر السكان المحليين أن هناك نوع من المبادلات التجارية على شكل مقايضة البضائع بينهم وبين هذه القبائل بالقرب من القصر العتيق قبل عودتها إلى الصحراء مرة أخرى ، حيث قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع فلاحي الواحات ، وقبائل البدو في الصحراء على أساس تكاملي يظهر في تقاسم العمل و المقايضة و المبادلات و الحماية[68] ، من هذه القبائل الكبرى نجد قبيلة المخادمة و قبيلة سعيد عتبة و قبيلة الشعانبة (**أنظر الجدول 03**) ،

---

[66] دراسة مناخية و عمرانية واقتصادية واجتماعية لمدينة ورقلة : https://www.google.com/search? ،تاريخ زيارة الموقع ، 2019/03/10 ، 22:48سا .

[67] ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص 07-08

[68] عبد القادر خليفة ، من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة ، مرجع سبق ذكره ، ص 131 .

و الملاحظ هنا أن كل قبيلة كان لها اسم يذكرها في أحياء مدينة ورقلة إلا قبيلة الشعانبة لا يوجد تجمع سكني باسم هذه القبيلة ، إلا أنها تتوزع في كل من الرويسات و عين البيضة ، وتعد القبائل الأربع التي دخلت واد ميّة آن ذاك في القرن الخامس هجري على شكل فترات و مراحل زمنية ، يخبرنا أيضاً الباحث في تاريخ مدينة ورقلة (سليمان ، إخباري) " أن أول قبيلة استقرت في مدينة ورقلة هي قبيلة بني ثور ، و أول قبيلة أطلت على حوض ورقلة هي قبيلة سعيد في بداية القرن الثاني عشر ميلادي حسب ما تفضلت به أفواه المخبرين المهتمين بتاريخ المجموعات الإجتماعية ، يعود نسلهم إلى الأثبج ورياح وهي آخر قبيلة استقرت بشكل نهائي في مدينة ورقلة وذلك منذ بداية السبعينات من القرن العشرين [69] .

[69] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018

جدول رقم(03) : القبائل الأساسية وفروعها بورقلة (1880_1948م)[70]

القبيلة	الأعراش	عدد السكان
سعيد عتبة	العمرات	1365
	أولاد اطا	
	مرزاق	
	أولاد فدول	
	الخرافة	2240
	فطناسة	
	أولاد زنينة	
	أولاد زيد	
الشعانبة بوسعيد	أولاد سعيد	385
	أولاد بن قاسم	2750
	أولاد ابراهيم	
	أولاد بن اسماعيل	945
	الدوي	/

[70] رضوان شافو ، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجاً 1844-1962م ، دار المحابر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د ، ط) ، 2015 ، ص71 .

الشعانبة القبالة	أولاد علي بن عبد الله	**2900**
	أولاد فرج	
	أولاد نصير	
	أولاد زيد	
المخادمة	أولاد تمان	**3240**
	بني حسن	
	أولاد خميس	
	الفوارس	
	أولاد نصير	**865**
	أولاد أحمد	**795**
بني ثور	أولاد عرينة و بني مرزوق	**2825**
	جنادة و أولاد جانا	
	الرويسات	
	أولاد ساسي	

71

[71] المرجع السابق ، ص 72

3.3. مجموعة "الوافدين الجدد" :

إن بداية تشكل الميكالوبول الحضري الجديد وتوسع دائرة العمران البشري عبر نسيج أفقي نتيجة التحولات الإقتصادية و الاجتماعية المتسارعة في حوض مدينة ورقلة ، كان لها أثر بالغ الأهمية في هجرة اليد العاملة من القرى و المناطق القريبة من المدينة باعتبارها قطب جاذب للأفراد و الجماعات ، كاستجابة لتنوع المهن و الوظائف الحكومية و الخاصة التي تقدمها المدينة في شكل حوافز اقتصادية واجتماعية ، بعد انفتاحها على باقي المدن الجزائرية الأخرى ، فمسايرة المدينة الصحراوية لوتيرة التحضر جعلها تنتقل طواعية من ماض اجتماعي منغلق ، إلى حاضر يتفاعل مع مفهوم العصرنة التي أكسبت المجتمع نمطية مغايرة في الحياة[72] ، حيث تمثلت الفترة ما قبل سنة 1962 م كفترة انتقالية هامة في بداية تعمير صحراء ورقلة عبر الاستراتيجيات الكلونيالية في تجسيدها للعديد من المشاريع التنموية ، إنطلاقاً من توسيع شبكة الطرقات و السكك الحديدية ضمن مشروع ربط الشمال بالجنوب الجزائري ، تقول عميراوي أحميدة " ... لقد بدأ الفرنسيون يعطون أهمية كبرى للصحراء بعد اكتشاف المعادن و خاصة البترول و الغاز الطبيعي ، واعتبر الفرنسيون في الخمسينيات من القرن 20م أن المعجزة ستكون من الصحراء"[73] ، باعتبار أن مدينة ورقلة ذات بعد استراتيجي ايكولوجي له أهمية كبيرة في توسيع النفوذ الفرنسي لباقي المدن الجنوبية الأخرى الغنية بالمعادن و الثروات الطبيعية ، والملاحظ للنسيج العمراني للمدينة الآن يجد حي لاسيليس كأول نسيج عمراني حديث في المدينة ، يحتوي على نماذج من السكنات العمودية (العمارة) في الصحراء ، سمي هذا المشروع الكولونيالي بزهرة الرمال .

---

[72] عبد الرؤوف مشري ، آمنة بودن ، مظاهر التغيير الاجتماعي للأسرة الجزائرية بالمدينة الصحراوية في ظل راهن التحضر ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة ورقلة ، عدد خاص بالملتقى الدولي تحول المدينة الصحراوية – تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي و الممارسات الحضرية- 03،04 مارس 2015 ، ص 101 .

[73] عميراوي أحميدة و آخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916) ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، (د، ط) ، 2009 ، ص 23.

بعد مرحلة الإستقلال أخذت الدولة الجزائرية على عاتقها الإهتمام بالمناطق الصحراوية ، خصوصا بعد تطور القطاع الصناعي وتعدد الأنوية الإقتصادية ، وظهور الرأسمالية كنظام عالمي جديد له مغرياته في اقصاد السوق وتوسيع دائرة العرض و الطلب للثروات الطبيعية ، هذه التحولات المتسارعة أدت إلى تحول الأنماط الحياتية الإقتصادية التقليدية في المدن الصحراوية تمهيداً لظهور مجتمع حضري استهلاكي له مميزاته الاجتماعية و تجاذباته الثقافية ، وتفرعاته الإقتصادية ، هذا الإستقطاب لليد العاملة الداخلية و الخارجية أدى إلى وجود بنية سكانية لها وزنها في الفضاء الصحراوي لمدينة ورقلة ، إن ردود الأفعال التي تقوم بها المجتمعات جراء التغيرات الاجتماعية ، و الاقتصادية ، و السياسية المتواصلة التي تصيب المجتمعات بشكل عام تختلف آثارها بحسب قدرة هذه المجتمعات على التعامل مع تلك التغيرات بصورة عملية وبقدرة فائقة على استيعابها بشكل حضاري[74] .

[74] عبد الله بن ناصر السدحان ، الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني المدينة الخليجية أنموذجاً ، سلسلة كتاب الأمة ، قطر، العدد 132 ، 2010 ، ص 27

الفصل الثالث

الفصل الثالث :
تحـولات بنية الأســرة

تمهيد الفصل الثالث

1. البنيات الاجتماعية داخل مجتمع ورقلة

2. نظام الزواج داخل المجموعات الاجتماعية الصحراوية

3. بدايات التمدن : من مسكن العائلة إلى المساكن " المستقلة "

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل الثالث :

لا تنفك الأنثروبولوجيا في دراستها للإنسان وعلاقته بالإنسان و السعي إلى معرفة الحقائق المرتبطة بحياته كيف يؤثر و يتأثر بها ، انطلاقا من محيطه وواقعه إن كان ذلك في الزمن القديم أو الآني الحديث ، التطرق إلى هذه المواضيع الضخمة باعتبار الإنسان المحرك الأساسي لها ، وذلك من خلال الأهداف التي نرصدها في مجمل بحثنا الأنثروبولوجي و السعي منا للوصول إلى الدلالات الأساسية للظواهر من أجل فهما منهجياً وميدانياً ، أي الاقتراب أكثر من الآخر الذي يمثل بدوره الوجه الحقيقي الذي يمكننا من استقصاء المعلومات من خلال تجاربه وخبراته ومشاركته لهذا المجتمع في الممارسات و التفاعلات المختلفة ، مصطلحات تتعلق بطبيعة الارتباطات المختلفة بين خطوط التحديد الداخلية و الخارجية ، وهو ما تطلق عليه اسم الشبكة أو الجماعة [75] ، التي تعتمد بالأساس على روابط نوعية داخل هذه المجموعات الاجتماعية التي تتمركز في مدينة ورقلة بكافة أطيافها و أشكالها وحيازتها للمجال العمراني و الهوياتي ، حقاً إنها تحولات تستدعي التأمل وما تلبث أن تصبح ضرورة ملحة لمواصلة البحث لمعرفة مدى تأثيرها على المجتمعات التقليدية في الصحراء .

[75] ميشيل فوكو وآخرون ، التحليل الثقافي ، تر : فاروق احمد مصطفى وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2008 ، ص 168 .

1. البنيات الإجتماعية داخل مجتمع ورقلة :

إن الإنغماس في ثنايا البحث الأنثروبولوجي الميداني يتيح لنا كباحثين ومهتمين ببنية الأسرة في هذا الفضاء الصحراوي المميز ، معرفة مدى فاعلية الرباط الإجتماعي في التركيبة الاجتماعية لهذا المجتمع قيد التشكل ، و الذي يحيلنا بدوره إلى الإقتراب من معرفة روابط العلاقات الإجتماعية القائمة بين الأفراد الذين ينتمون إلى هذه المجموعات الإجتماعية الصحراوية ، إنها ببساطة براديكمات تنقيبية ابستيمولوجية قد تمكننا من فهم صواميل هذه التفاعلات الاجتماعية ، لتفكيكها وتحليلها وفق معطيات الفاعلين في هذا المجتمع الإنساني و المعبرة عن الهوية المجالية الصحراوية في نفس الوقت ، التي تمثل لنا "شبكة من ثقافة ، بما في ذلك المؤسسات الإجتماعية و التنظيمات التي لا يكف البشر عن بنائها" [76]، لقد أثمرت جهود الدراسة الميدانية في مجتمع مدينة ورقلة على الكثير من الملاحظات الهامة التي يمكن من خلالها بناء مجموعة من التصورات الخاصة بالأنماط الثقافية و أشكال العلاقات الاجتماعية المفسرة للفعل الاجتماعي .

1.1. الرباط الإجتماعي في المجتمعات الصحراوية التقليدية :

إن الهياكل القبلية لهذه المجموعات الاجتماعية و التي نلاحظها في التركيبة البشرية لكل من البدو المتمدنين و السكان المحليين وتعايشهم مع الفضاء الصحراوي من خلال تقاطعاته السوسيومجالية ، و السوسيوثقافية ، من الشواهد التي يمكن الارتكاز على تنظيراتها الابستيمولوجية في فهمنا وتحليلنا للعلاقات الاجتماعية التي تحدد مضامين كل من الأسرة و الزواج و القرابة والسكن داخل الواحة ، هذه الهيكلة الاجتماعية لاتزال فاعلة عند المجموعات الاجتماعية [77] ، إن المرور من خلال البراديغم البنائي كنموذج يمكننا من فهم المجتمع الصحراوي الورقلي ، عبر العديد من المحطات الإبستيمية التي يمنحنا إيّاها الميدان بشكل مباشر و غير مباشر في ترتيبنا و

[76] برتي السوتارى ، النظرية الإجتماعية و الواقع الإنساني ، تر: علي فرغلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2015 ، ص 31 .

[77] ميشيل فوكو و آخرون ، المرجع السابق ، ص 168 .

تحليلنا لهذه الأنظمة الثقافية المختلفة ، نجد أيضاً أن هذه المحطات تحيلنا قصراً إلى ضرورة التفكيك المفهمي لهذه الوحدات الاجتماعية المتباينة عرقياً و لغوياً (**عربية ، أمازيغية**) ، إنها فسيفساء بشرية تظم العديد من القبائل و العشائر نلاحظها في التركيبة الاجتماعية الموزعة في هذا المجال الصحراوي ، سكان محليين و بدو متمدنين و وافدين جدد ... ! ، تربط بينهم علاقات اجتماعية وثيقة يبنيها الحس الإنساني و المصير المشترك الذي يساهم في اتحاد الأفراد داخل القبيلة و العشيرة ، يرى Kingsley Palmer أن كل مجتمع يتكون من مجموعة من العلاقات تتحول عبر الزمن ، فوجود العلاقات بين الأشخاص الذي يدركون القواسم المشتركة بينهم يعزز انتمائهم للمكان الذي يعيشون فيه "[78] ، هذا الرباط الاجتماعي المتين هو نتيجة تلك التراكمات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية الموجودة في البنيات الاجتماعية لهذه القبائل و العشائر ، إن أواصر هذه العلاقات الاجتماعية المتشابكة هي بالفعل ترجمة لمدى تشابك الروابط القرابية الدموية بينهم ، حيث يؤكد لنا المخبرون أهمية هذه العلاقات و الروابط الاجتماعية في هذه البنيات التقليدية معبرة عن نمط حياتهم ؛ لما لها من أثر بالغ في صقل هذا المفاهيم في ذهنية الأفراد (التضامن الآلي ، التعاون ، الإتحاد ، اللحمة ، التماسك ...إلخ) ، ولعل من البديهي إحالة هذه البنيات الإجتماعية إلى محطات كرونولوجية هامّة في الحياة لاجتماعية للمجتمع الورقلي ، قصد بناء مجموعة من التصورات و الطروحات حول هذا المجتمع من خلال هذه التراكمات .

[78] Kingsley Palmer , Australian Native Title Anrhropology Strategic Practicr , The Law And The State , Published by ANU Press The Australian National University , Australian , 2018 , P 37

إن مدينة الواحات (ورقلة) هي نتاج مرحلة ثقافية و إقتصادية ضخمة بين الإنسان و الأرض و البيئة الصحراوية ، و التي بقيت شاهدة إلى يومنا هذا (**قصر ورقلة العتيق ، واحات النخيل ، أنظمة السقي "الفقارة"**) ، حيث ارتبط وجود الإنسان الورقلي بهذه الحقول منذ القدم واستطاع بخبرته أن يستغل هذا الكم الهائل من المياه السطحية ليحوّل هذه الصحراء القاحلة إلى واحات من النخيل الكثيف كلوحة فنية تتوسطها التجمعات السكنية توحي للملاحظ وجود علاقات تفاعلية مشتركة بين الواحة و التجمع السكني التقليدي ، كثيراً ما يدهشنا سماع مطلح زراعة النخيل أثناء تجاذب الحوار مع المبحوثين لنطرح في أذهاننا مجموعة من التصورات المفسرة لهذا الغموض ،كيف يمكن أن تحدث هذه العملية في هذه البيئة الصحراوية الصعبة ؟ ، إلا أن الإجابة عن هذا السؤال لم تكن بقدر من الصعوبة فقد أدلى بعض المبحوثين عن مجموعة من الحقائق و المعارف تفيد أن استخدام مصطلح زراعة النخيل هو دليل واضح على وفرة المياه السطحية لواد مية هذا الواد الذي ينتمي إلى العرق الشرقي الكبير ، وقد نال هذا الواد اهتمام الكثير من الباحثين و المهتمين أمثال **مارك كوت** و **سعيد بلقيدوم** في العديد من المحطات البحثية لمدن الجنوب الجزائري (**الواد ، بسكرة ، ورقلة**) .

لا يمكن تناول مواضيع مدينة ورقلة دون الخوض في موضوع واد مية الذي يعتبره الأهالي شريان الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في هذه المدينة ، ولعل قصر ورقلة العتيق أكبر دليل على نموذج استقرار الانسان في الصحراء ، و الذي بقي شاهداً على حضارة تضرب بعمق في جذور التاريخ البشري لهذه المنطقة ، فوجود الماء شجع هؤلاء القبائل و العشائر (**بني واقين ، بني سيسين ، بني ابراهيم**) على الإستقرار و العمل على احتواء الأرض وامتلاكها عبر ممارسة مهنة زراعة النخيل التي تميز البيئة الصحراوية باعتبارها رمز من رموزها و دلالة من دلالاتها فعند ذكر الصحراء يتراءى في مخيلتنا صور نمطية لواحات النخيل فهي أيضاً تقاسم الإنسان الحياة القاسية و الظروف البيئية الصعبة ؛ إنها ببساطة ثنائية الانسان و الأرض التي تعبر لنا عن كيانه و هويته .

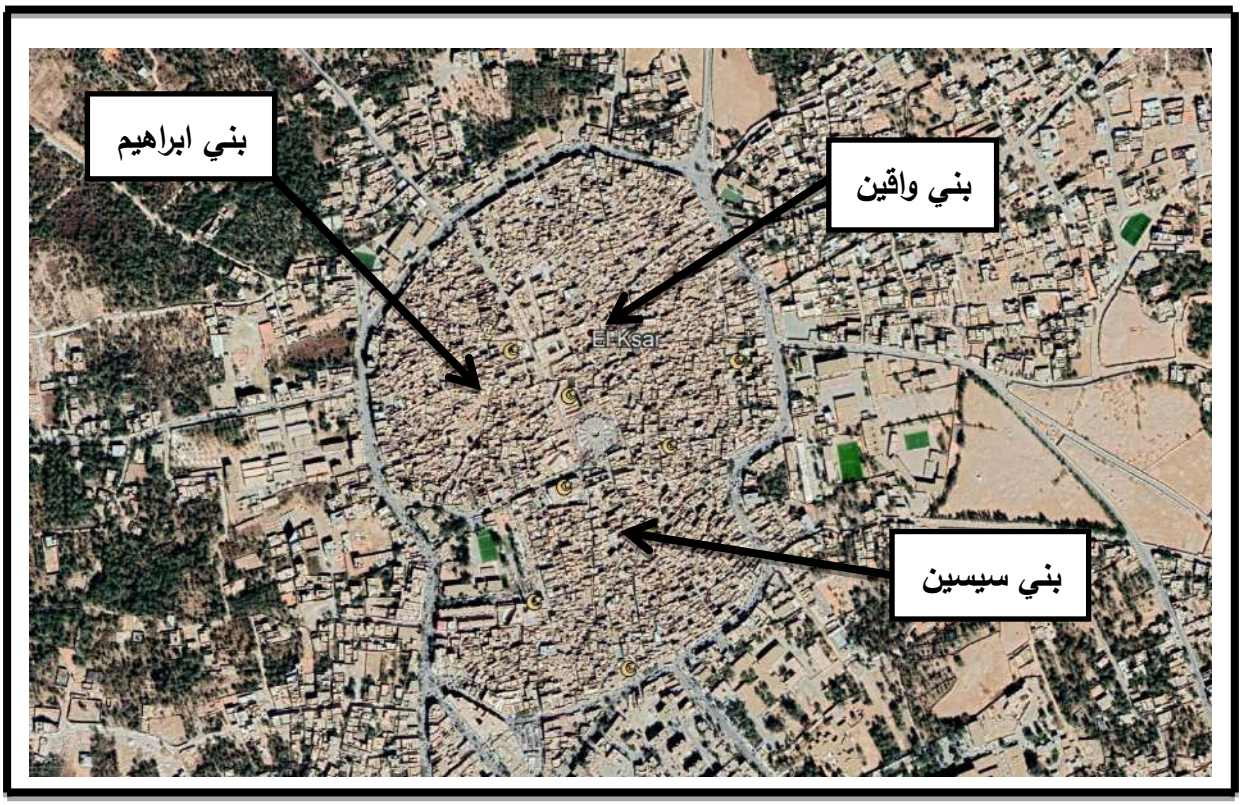

المخطط رقم (3) : النسيج العمراني في القصر العتيق "ورقلة"

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2019/04/03)

إن هذا النشاط الزراعي التقليدي آن ذاك ساهم بدور كبير في خلق ما يعرف بالتبادل و الإنتاج و التضامن بين الأفراد كما أشار في ذلك **إميل دوركهايم** حيث يقول " ... الفكر البشري ليس خاصية أفراد بل تقبع تلك القدرة أساساً في اللغة و الثقافة و الشبكات الاجتماعية الأمر الذي يتيح التنسيق و التعاون بين الأفراد و الجماعات "[79] ، لذلك لا يمكن أن نغفل على هذا الجانب المهم في هذه المجتمعات الصحراوية التقليدية فوجود التضامن الآلي بينهم هو أحد مميزات هذا المجتمع ، حيث نلامس من خلال الزيارات الميدانية المتكررة لمواقع البحث المختلفة في فضاء مدينة ورقلة وجود هذه العلاقات القوية التي تربط الفرد بالجماعة الإجتماعية باعتبارها هوية عائلية مشتركة ، وهي في نفس الوقت إعلان الولاء و الإنتماء و البعث على روح الجماعة في أكثر من موضع حول تقاسم المصير المشترك بينهم .

ننتقل أيضاً في دراستنا هذه إلى مجموعات اجتماعية أخرى تعيش في هذا الفضاء الصحراوي وهم البدو المتمدنين ، " يعود جذور هذه القبائل كلها إلى نسل بني هلال وبني سليم و القبائل العربية الأخرى التي نزحت واستقرت في بلاد المغرب الإسلامي من برقا شرقاً مروراً ببلاد الجريد و الصحراء الجزائرية " [80]، هذه القبائل العربية **المخادمة ، بني ثور ، الرويسات ، سعيد عتبة** تملك أنماط حياتية مميزة وختلفة تماماً على نمط الحياة الاجتماعية للسكان المحليين (المستقرين القدامى) ، تمارس هذه القبائل الترحال المستمر ويقتاتون من الأنشطة الإقتصادية التقليدية المتعلقة بتربية الابل ، و المواشي ، و امتهان التجارة مع القبائل الأخرى في هوامش الصحراء ، إنها سيرورة الانسان الصحراوي الذي رسم خطاً للعبور يمتد من الشمال إلى غدامس ثم إلى إفريقيا السوداء ، إلا أن مجموع التطورات السياسية و التحولات الإجتماعية أجبرت هذه القبائل على الإستقرار في حوض ورقلة ثم التمدن شيئاً فشيئاً ، عبر مواقع استراتيجية في فضاء المدينة بالقرب من موقع القصر العتيق ، في هذه المرحلة بدأت هذه القبائل

[79] برتي السوتارى ، المرجع السابق ، ص 34 .

[80] عبد الله السايح ، صفحات من تاريخ ورقلة ، دار هومة ، الجزائر، (د ، ط) ، 2010 ، ص 69 .

في توسيع نوعية نشاطها الإقتصادي من التجارة و تربية الحيوانات إلى ممارسة زراعة النخيل ، لذلك نرى ونلاحظ أن هناك الكثير من التشابه في نمط الحياة الاجتماعية بين هذه القبائل بعد تمدنها ، نظراً لتقاسم طبيعة هذا المجال الصحراوي في ظل نماذج السلطة التقليدية التي تستمد شرعيتها وقوّتها من التعاليم الدينية و العادات و التقاليد و الأعراف و القيم و الموروثات الشعبية التي بقيت حية في مخيال هذه الجماعات الإجتماعية ، تقول **زينب (إخبارية)** في مقابلة أجريناها معها بخصوص علاقة التبادل التجاري بين السكان المحليين و البدو الرحل قبل تمدنهم آن ذاك :

" ...كانت مبادلات تجي في فصل الصيف وبداية فصل الخريف وهو وقت جني محصول التمر ، وكانوا يجو البدو في الوقت هذاك لأسباب منها التبادل التجاري وهو الي يتمثل في مقايضة القمح بالتمر و الملح و الحلي و الذهب و الأقمشة و المنسوجات الصوفية و غيرها ، و السبب الثاني هو استقرارهم بجانب الواحة و الهروب من حر الصيف والقرب من الماء لندرته في ذلك الفصل ، وأيضاً الاحتفالات و المناسبات مثل الزواج فهو أنسب وقت لذلك وبعد دخول الخريف يعود البدو إلى الصحراء راهم ميحبوش الاستقرار في مكان واحد " [81].

إن المراقب و الملاحظ و المتتبع لمجالات استقرار البدو في فضاءات المدينة يطرح العديد من التساؤلات ، لماذا اختارت هذه القبائل مدينة ورقلة بالذات كمرحلة أولية لعمليات الاستقرار وحيازة المجال ؟ ، من الجانب الآخر لماذا لم نقرأ أو نسمع عن حدوث نزاعات بين السكان المحليين وهذه القبائل البدوية رغم استقرارهم في مناطق قريبة ومحيطة بالقصر العتيق و الواحة ؟ ، كل هذه التساؤلات هي بداية لتفكيك الكثير من المعطيات المفسرة للرباط الاجتماعي بين هذه الجماعات الاجتماعية الصحراوية ، ففي قلب هذا المجتمع تتعايش تعددية من

[81] مقابلة مع إخباري ، مارس 2018.

الأشكال ، و العدة الثقافية لأعضائه تختلف بحسب الوضعية الاجتماعية (العمر ، الجنس ، التربية ، الثروة ، المهنة ، القناعات السياسية ، الانتماء الديني .. إلخ)[82].

2.1. الرباط الإجتماعي في المجتمعات الصحراوية الحديثة : جدلية التحول أو البقاء

إن السيرورة نحو التقدم و الاندماج في الحياة الحضرية الحديثة و ما تفرزه من آليات جديدة ، يظهر تأثيرها على كل من البناء الاجتماعي لهذه المجموعات الاجتماعية ، و التي تثير لدى الباحث العديد من النقاط البحثية المركزية الهامّة و المفسرة في نفس الوقت لجدلية التحول و البقاء في هذا المجتمع قيد التشكل ، ولعل اقترابنا من بنية الأسرة و مجموع التحولات التي أثرت في بنيتها وتركيبتها وربما دورها داخل النظام الاجتماعي ككل ، من هنا يمكن لنا ملامسة حقائق أخرى أكثر عمقاً لمفهوم هذه التحولات ، كيف أثرت هذه التحولات في بنية الأسرة ؟ وهل حقاً تراجعت أنظمة العلاقات الاجتماعية في مجتمع مدينة ورقلة ؟ ، هل يمكن أن نرى أشكال الفردانية في هذا المجتمع الصحراوي ؟.

إن هذه التساؤلات تحلينا دائماً إلى فهم وتتبع مسار التحولات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و حتى السياسية ، فتحول الرباط الاجتماعي من التقليدي المبني على السلطة التقليدية " **سلطة الجماعة** " ، إلى وجود سلطة مركزية حكومية تسير حياة الأفراد في ضوء قوانين محددة تكفل كل من الحقوق و الواجبات عبر مؤسسات رسمية وهيئات إدارية ، كلها مؤشرات واقعية وملموسة تدل على التحول من الجماعة المحلية إلى المجتمع في مدينة ورقلة ، بعد هذه الطروحات هل يمكننا إسقاط دراسات كل من **بيار كلاستر** و **إميل دوركاهيم** و **جون جاك روسو** ، و أيضاً **فرديناند تونيز** على مجتمع مدينة ورقلة الذي يختلف في تركيبته و خصوصيته على المجتمعات المحلية الشمالية ، وربما تتجاوز هذه التساؤلات الرئيسية في صميم البنيات الاجتماعية حدود الاختلاف حتى مع

[82] مارك أوجيه ، جان بول كولاين ، الأنثروبولوجيا ، تر : جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، (د ، ط) ، 2008 ، ص 21

المجتمعات الأوروبية و أثر التحولات على أنظمة علاقاتها الاجتماعية ؛ إنه أمر مثير للجدل ...؟ ، يقول **راد كليف براون** " فبينما يشير البناء الاجتماعي إلى التنظيمات الثابتة للمجتمع ، فإن التنظيم الاجتماعي هو الانسياب الفعلي للحياة الاجتماعية " [83]، فالملاحظ هنا أن تركيبة المجتمع الصحراوي في مدينة ورقلة رغم التطور و التحول و آليات تشكل الحضرية ، واتساع بوتقة الانفتاح على العالم الخارجي و الثقافة الخارجية ، وتطور تكنولوجيات الاتصال و التواصل وبروز المدينة على هيئتها الحديثة ، إلاّ أن هناك بقايا أنظمة القبلية و نماذج سلطتها التقليدية ، التي لا زالت تتحكم في الحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات داخل التجمعات الحضرية الجديدة سواء ما تعلق بالبدو المتمدنين أو السكان المحليين ، هي حقاً مفارقات تستحق التأمل وتمعين النظر بعدسة أنثروبولوجية يمكن من خلالها معرفة الميكانزمات المتحكمة في صيرورة أنظمة العلاقات الاجتماعية في ظل هذه التحولات الأخيرة المتسارعة .

إن تحول المجتمع الزراعي التقليدي إلى المجتمع الحضري الاستهلاكي ما قبل الصناعي الحداثي ، يضفي العديد من التغيرات التي تمس كل من الأسرة و أيضاً السكن داخل هذا المجال الصحراوي الجديد ، فهي علاقة جدلية بين ثنائية الأسرة و السكن ، تتأثر بالسوق الاقتصادية الليبيرالية هذا ما ينعكس على الحياة الاجتماعية للأفراد ، من خلال اندماجهم في الوظائف الحديثة و ما يوفره سوق العمل من إمكانيات تتعلق بارتفاع الدخل وتوسيع القدرات الاقتصادية و الاجتماعية للأفراد وشغلهم أدوار جديدة تحتضنها الحضرية بامتياز ، فالأسرة تسعى دائماً إلى خلق التغيير في دورة حياتها ، فهي وحدة اجتماعية ديناميكية تنتج الأفراد وتمهد اندماجهم في الحياة الاجتماعية بما تمليه العادات و التقاليد و الأعراف و القيم المتوارثة عبر الأجيال بما يتناسب والمحيط الإجتماعي ، أي أنها وحدة ثقافية بامتياز ، " ... وهي ملتقى نهري الممارسة الفردية و الممارسة الجماعية ، حيث

[83] توماس هيلاند إريكسن ، فين سيفرت نيلسن ، تاريخ الأنثروبولوجيا ، تر: عبده الريس ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1، 2014 ، ص 161.

تقوم الاثنتان معاً بتشكيل أو بالشغل على نفس الطينة لإعادة تشكيل ممارسة الفرد ، و التي كانت عملت على سلوكه وسلوك الجماعة "[84] ، فرغم التطورات المادية في أشكال التعبئة الحضرية و اندماج المجموعات الاجتماعية في الحياة الحديثة ، إلا أن الرباط الاجتماعي لازال يلبس ثوبه التقليدي في هذا المجتمع رغم سنوات من التمدن و التحضر ، فوجود القبيلة في المدينة من خلال الممارسات و التفاعلات و التمثلات (Representations) التي يحتضنها المجال الصحراوي بشكل عام يدل على ذلك ، حيث يقول **بول كوليير** " ... من الناحية التاريخية كانت القبيلة بمنزلة الأساس ، الأكثر انتشاراً للنظام الاجتماعي ، وفي الكثير من البلدان الفقيرة تبقى القبيلة تؤدي هذا الدور" [85] .

أي أن الأفراد يعيدون إنتاج تلك الروابط التقليدية المبنية في الأساس على الأنساق القرابية و الاجتماعية ، فالهوية المجالية المشتركة في تقاسم الفضاء الاقاماتي لهذه المجموعات ، لازال يغذي روح الانتماء و المصير المشترك ، فلا يمكن الجزم أن القبيلة قد اضمحلت في الحياة الحضرية الحديثة في مدينة ورقلة ، بل لازالت أيقونة اجتماعية و ثقافية تسير حياة المنتمين إليها ، رغم الحضور الضاغط للوافدين من أماكن أخرى و توسع الحركات المجالية وتنوع أماكن إقامة الأسرة سواء ما كان اختياري أو حتمي (**تغير علاقات الجيرة**) ، إلا أن الانتماء القبلي لازال موجود إلى يومنا هذا في مدينة الواحات ، وسوف نشير إلى هذا الطرح في العديد من المحطات البحث الأكثر نضجاً في تفسير هذه الروابط الاجتماعية ، التي تؤثر بوضوح في سلوكيات الأسرة و استراتيجياتها المتبعة في السكن و التساكن و كذلك أنظمة العلاقات الاجتماعية داخل المجموعات الاجتماعية الصحراوية .

[84] أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 ، ص 191 .
[85] بول كولير ، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا ، تر: مصطفى ناصر ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د. ط) ، 2016 ، ص 71 .

3.1. رهانات الهوية و الانتماء : تشكل المجتمع الحضري الجديد

لم تكن مدينة الواحات معزولة اقتصاديا عن المدن الجزائرية الأخرى منذ القدم ، بل كانت شريان الحياة الاقتصادية التقليدية ونقطة مركزية فاصلة بين الشمال و الجنوب ؛ إن ارتباط هذه المدينة بالتجارة و القوافل التجارية التي كانت تعبر هوامش الصحراء إلى طرق أكثر عمقاً وصولا إلى بلدان إفريقية في خط يسمى خط الذهب و الحرير ، الذي يأخذ من موقع مدينة الواحات مكاناً استراتيجياً لعبور هذه القوافل إلى الشمال ، هذا الحراك النوعي في طرق التجارة و التبادل بكافة أنواعه ، جعل من المدينة قطب جاذب للعديد من الأنشطة الاقتصادية بين مدن الشمال و الجنوب في شكل حلقة يمتد تأثيرها إلى نقاط بعيدة داخل العمق الإفريقي ، حيث يضفي هذا النشاط على مجالها نوعاً من التعايش بين المجموعات الاجتماعية عبر العديد من الاتفاقيات العرفية المبرمة بين القبائل البدوية و السكان المحليين في شكل أنماط حياتية و تبادلات تجارية مختلفة (**القمح** ، **التمر** ، **الأقمشة** ، **الملح** ...**إلخ**) باختلاف مواسمها ، حيث أشار (**العيد.ز** ، **إخباري**) إلى هذه النقطة الهامة في الكثير من اللقاءات التي جرت بيننا بقوله :

" ... العايلة كامل تقعد عند النخيل أربعة أشهر في فصل الصيف وقت جني التمور ، يدخل شهر أوت و سبتمبر يقطعو التمر يبداو يجو البدو ، السعيد و لمخادمة يجيبو معاهم العدس و الفول و القمح يقايضوهم بالتمر ، تحدث هذي المبادلات في الغابة (جنان النخيل) "[86]

إن هذا النشاط التجاري بين البدو الرحل و السكان المحليين القاطنين في القصر العتيق ، هو نوع من التعايش الإنساني ، باعتبار أن هذه الحركة التجارية كانت سبباً في استقرار العديد من القبائل البدوية خصوصاً في مطلع القرن 20 م ، في فترات زمنية مختلفة حسب الكثير من المصادر و المراجع المهتمة بهذا الجانب التاريخي لمدينة ورقلة ، أيضاً ما جادت به أفواه المبحوثين في هذا الشأن تفيد أن قبيلة بني ثور هي أول القبائل البدوية التي استقرّت في

[86] مقابلة مع إخباري ، أكتوبر 2018

فضاء المدينة ، هذا الإستقرار جاء تلبية لمساعدة الأهالي القاطنين في القصر العتيق وتوفير الأمن و الحماية لممتلكاتهم الفلاحية (**محاصيل النخيل**) من الغارات التي تستهدف محاصيل التمور و أيضاً سرقة الأطفال الصغار واستغلالهم كعبيد آن ذاك .

إن استراتيجيات و آليات استقرار و تمدن القبائل سواء تعلقت بالظروف الداخلية أو الخارجية أخذت على عاتقها الكثير من الأولويات في استراتيجيات حيازتها للفضاء الصحراوي ، فكل قبيلة اختارت مكانها الخاص بالقرب من القصر العتيق ، هذه الوحدات السكنية المتراصة هي كيان مادي يجمع أفراد كل قبيلة في وعاء العلاقات الحميمية تساهم في بنائها وتعزيزها القرابة الدموية و علاقات الجيرة ، حيث نجد أن النسيج العمراني لديهم يأخذ شكله الأفقي المتراص ، مما يعمل على تقوية وتعزيز الانتماء الترابي في شكل رهانات نستقيها من مفرزات الهوية المجالية ، و البنيات الفاعلة للقبلية في نقاط بحثية تتضح مضامينها في حواراتنا مع المبحوثين الذين ينادون ضمنياً بمظاهر التعصب للقبيلة باعتبارها رأسمال مادي و رمزي يكفل و يؤطر نمط حياتهم الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية ، "... وفي غالبية هذه المجتمعات يسيطر عامل القرابة بشكل واضح على عامل الارتباط أو التعلق بنفس الأرض ، وهكذا تتشكل وطنية اجتماعية أكثر مما هي جغرافية وتتشكل " عائلية " لا تفكر بتعابير الأمة أو المقاطعة ، بل بالروابط العائلية "[87] ، إن تلك الروابط الاجتماعية المتمثلة في رابطة الدم و القرابة و المصاهرة كان لها الحظوة لدى مجموعة البدو المتمدنين ، فقد كان تمدنهم في شكل تكتلات اجتماعية للأفراد و الجماعات في فضاء المدينة حيث تأخذ تلك الروابط الاجتماعية المبنية على الأواصر المتشابكة و المتماسكة (**الدم** ، **القرابة** ، **المصاهرة**) محور أنظمة العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالملكية و بحيازة المجال وهذا ما ينعكس على علاقات الجيرة في تشكل المونوبول الحضري الخاص بكل جماعة اجتماعية ، لذلك يجد الملاحظ

[87] فيليب لا بورت تولرا ، جان بيار فارنييه ، إثنولوجيا أنثروبولوجيا ، تر : مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 116 .

هنا أن أغلب الأحياء قد أخذت تسميتها من هذه القبائل مثل حي المخادمة ، حي بني ثور ، حي الرويسات ...إلخ .

لم يكن للبدو نماذج خاصة في تصميم و هندسة المجال السكني من قبل فقد كان وجودهم في مدينة الواحات مرتبط بزمن معين فقط ، ثم يعودون إلى هوامش الصحراء لرعي الإبل وممارسة التجارة ، لذلك كانت الخيمة ترافقهم أينما حلوا وارتحلوا نظراً لسهولة بناءها و اجتثاثها ، و تجميع مكوناتها عند الحاجة ، فقد استطاع البدو الرويسات ، المخادمة ، سعيد عتبة ، بني ثور بعد تمدنهم ، التكيف مع نمط الحياة الاجتماعية للسكان المحليين ، خصوصاً في تخطيط وبناء المساكن التقليدية باستعمال المكونات المحلية البسيطة المتمثلة في جذوع النخيل التي تسمى عند القاطنين في القصر العتيق ب : **تازقاغت** و أيضاً الجبس المحلي الذي يسمى **تيمشمت** ، إلا أن طريقة بناءهم لسكناتهم تختلف تماماً في مورفولوجيتها على التصميمات أو النماذج الموجودة في القصر العتيق نظراً لاعتبارات عديدة سوف نذكرها بالتفصيل في نقاط بحثية قادمة ، وبالتالي فإن توسع نسيجهم العمراني جاء كتعبير تقليدي على حيازتهم للمجال الصحراوي و البعث على إرساء قواعد الاستقرار و التمدن ، أما بالنسبة لقبيلة بني ثور حسب ما أفادنا به الاخباريون المنتمون لهذه الجماعة الاجتماعية فقد أخذت تقريباً نفس التصميمات الهندسية للسكنات التقليدية الموجودة في القصر ، حيث تعتبر قبيلة بني ثور الأكثر تمدناً الآن بين القبائل البدوية الأخرى ، فالملاحظ هنا يجد أن بني ثور تبدو الآن من خلال فضاءها السكني و أنظمة علاقاتها الإجتماعية أكثر تطوراً واندماجاً في الحياة الحضرية في مدينة ورقلة .

إن تمدن القبائل البدوية جاء عبر مراحل تاريخية متعددة في مدينة الواحات ، حسب تحليل خطاب الفاعلين (إخباري ، مبحوث) نجد أن عملية تمدنهم لم تكن في نفس الوقت بل عبر مراحل زمنية متنوعة بتنوع أماكن تمدنهم في الفضاء العام للمدينة ، حيث نستنتج من خطاب الفاعلين ومجموعة المبحوثين أن قبيلة بني ثور أول قبيلة تمدنت واستقرت في منطقة الواحات ثم بعد ذلك جاءت قبيلة الرويسات و التي تعتبر امتداد لقبيلة بني ثور حيث تربط بينهما القرابة الفخذ على غرار باقي القبائل الأخرى التي كان استقرارها بطيء نوعا ما ، حيث نجد أن آخر من تمدن من القبائل البدوية في مدينة ورقلة هم قبيلة سعيد عتبة وذلك في بداية السبعينيات من القرن الماضي .

إن التحولات الأخيرة التي شهدها الفضاء الصحراوي بكافة تجلياته الاجتماعية ، و الاقتصادية ، و الثقافية وحتى السياسية خصوصاً بعد الإستقلال ، أدت إلى إحداث شرخ في البنيات الإجتماعية لهذه المجتمعات التقليدية ، بعد توسيع ثغرة التفاوت بين الأنشطة الإقتصادية التقليدية البسيطة و الأنشطة الإقتصادية الحديثة و المتنوعة ، التي أفرزتها أنظمة الرأسمالية العالمية تمهيداً لاقتحام عالم الشغل بعد إكتشاف النفط و المواد الطاقوية الأخرى ، وخلق بدائل إقتصادية جديدة ساهمت في تراجع النمط المعيشي للمجتمع الزراعي داخل الواحة ، وتحوله إلى مجتمع حضري استهلاكي بعد اعتماد الدولة على مخططات التنمية المستدامة وتسريع عمليات التعبئة العمرانية في الجنوب الجزائري ، لذلك نحن الآن نجد أنفسنا نقتحم الظاهرة الحضرية في تفكيكنا للمعطيات التي تخلفها استراتيجيات الأفراد و الجماعات في بناء ذواتهم وسلوكاتهم الحضرية " ... فإن الإنسان من خلال خلقه للمدينة قد أعاد خلق نفسه من جديد ، وبهذا المعنى وفي هذا الإطار يمكننا اعتبار المدينة مختبراً اجتماعياً "[88] ، إذا لا يمكننا أن ننكر أو نجحف حجم هذه التحولات وأثرها على استراتيجيات قبائل الصحراوية في إرسائهم لمشاريع

[88] عبد الرحمان المالكي ، مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، (د، ط) ، 2016 ، ص 176 .

التمدن ، و الاستقرار ، و السعي إلى الاندماج في الحياة الحضرية الحديثة ، نظراً لما توفره المدينة من حوافز مغرية لهذه الجماعات الإجتماعية ، حيث يعد ظهور مؤسسات التعليم و الصحة و التكوين المهني من أبرز الحوافز التي تقدمها المدينة كقطب جاذب ، يوفر التنوع الثقافي ، و الاقتصادي داخل نمط الحياة الاجتماعية الصحراوية في ظل أنواع التعايش المختلفة ، تمكنهم من امتهان الكثير من الأنشطة الإقتصادية المتنوعة خصوصاً بعد تراجع عائدات تجارة القوافل و الزراعة التقليدية للنخيل .

إن تسارع هذه التحولات أثر بشكل واضح على ملامح الحياة الاجتماعية الصحراوية ، نتيجة الحضور الضاغط للوافدين إلى المدينة من مناطق مختلفة " من خلال ردة فعل المجموعة المهاجرة التي تسعى جاهدة إلى إعادة تنظيم نفسها (Réorganisation) من خلال إنتاج قواعد وقيم جديدة تتلاءم مع الواقع الجديد ، وهنا يتم اللجوء إلى القيم الدينية بالخصوص لأنها هي الأقل عرضة للتغيير[89] " ، هؤلاء الوافدون الذين يحملون معهم مشارب ثقافية مغايرة هم نتاج هذه المرحلة من تحول الواحة إلى المدينة في بداية تشكلها واستقطابها لليد العاملة ، فهي تشغل دورا بارزا في خلق هذا الحراك الاجتماعي المتمثل في الهجرة الداخلية و انضمام هوامش المدينة إلى نواتها المركزية ، لنجد في الأخير شبكة من العلاقات المتداخلة في نظمها الاجتماعية و أنساقها الفرعية محملة بالعديد من الإيديولوجيات المعقدة بين المجموعات الاجتماعية المختلفة في ما بينها في شكل فسيفساء بشرية غير واضحة المعا لم .

[89] المرجع السابق ، ص 113.

2. نظام الزواج داخل المجموعات الاجتماعية الصحراوية :

إن هذا الطرح يأخذ في حيثياته أبعاد عديدة تنطلق من الأسرة كنقطة مركزية هامة في مجتمع مدينة ورقلة ، لمعرفة آليات تفاعلها مع المجال العمراني في دورة حياتها الدينامية الآنية ؛ دون إسهاب ! ، نظرا لعدة اعتبارات يستلهمها الباحث من التداخل الطبقي و الاختلاف الجوهري في طبيعة تشكل هذه المجموعات الاجتماعية الغير متجانسة ، والتي تتوزع على الفضاء الصحراوي في شكل فسيفساء عمرانية مترامية في جوانبها و متباينة في نسيجها البشري (عرب ، أمازيغ ، وافدين) ، تربطها الشعائر و الممارسات الدينية التي تضبط إيقاع أنماطها الحياتية في جماعة إجتماعية (بدو متمدنين ، سكان المحليين) نحو مصير مشترك تحدده البيئة الصحراوية في تجاذباتها و تفرعاتها المجالية ، إثنيات مختلفة باختلاف رؤيتها للنوع الإجتماعي و اقتضابها للأدوار و المكانات الإجتماعية ، و مدى مسايرة تلك التفاعلات و السلوكيات التي تثريها الجماعة نحو ضبط سيرورة وديناميةالأسرة انطلاقاً واستراتيجياتها المتعلقة بالزواج قبل وبعد التحولات الإجتماعية و الثقافية و الاقتصادية التي شهدتها مدن الجنوب الجزائري بعد الاستقلال .

إنها رؤى واقعية أنثروبولوجية ملموسة في تمثلاتها و دلالاتها الرمزية المحملة بالتراكمات الإيكولوجية و المشارب الثقافية الصحراوية متفاوتة ، إثنيات (Ethnique) تستمد قوتها ولحمتها الإجتماعية من موروثها المحلي ، يشير ليفي ستروس في هذا الصدد إلى أن البنى المجتمعية هي ركيزة اللاوعي للفكر و العلاقات الاجتماعية ، فهي بنى تحدد تجريبيا على شاكلة الجماعات أو الأفراد المختلفين ، الذين يعطون للمجتمع بنيته : مثل العشائر و الأنساب و كبار القوم ورجال الدين"[90] ، لذلك رأينا كباحثين في علم الإنسان وجوب نبش بقايا هذه العادات و التقاليد و الأعراف المتناثرة على هذه القبائل و العشائر صحراوية في نقاط بحثية سامقة و مدلولات نظرية أكثر ارتكازاً وشمولاً :

[90] فيليب لا بورت تولرا ، جان بيار فارنييه ، المرجع السابق ، ص61.

أولاً : الزواج بين الممارسات و الدلالات الرمزية.

ثانياً : القرابة و السكن و العلاقات السلالية : تشكل الفضاءات الحضرية

1.2. الزواج بين الممارسات و الدلالات الرمزية :

لا شك أن الزواج يحظى بمكانة خاصة في النظم الاجتماعية التي يحتويها البناء الاجتماعي ويتوارثها الأفراد في شكلها القيمي و العلاقاتي جيلا بعد جيل ، " فالزواج هو مرحلة وشرط ضروري لقيام الأسرة ، وهي نتاج التفاعل الزواجي"[91] ، فهو المؤسسة الإجتماعية التي تحافظ على النسل البشري وتسعى إلى ضبطه وتنظيمه وفق مجموعة من العادات و التقاليد و الطقوس الدينية و الأعراف الإجتماعية التي ترتضيها المجتمعات الإنسانية ، و كذلك يرتضيها العقل الجمعي لكل جماعة اجتماعية باختلاف ثقافتها و أنماطها الحياتية ، فالزواج لدى المجموعات الاجتماعية الصحراوية ليس فقط عبارة على وسط لإشباع الغرائز الطبيعية و الدوافع الاجتماعية و السعي نحو المحافظة على النسل ؛ بل يتعدى ذلك إلى بناء تحالفات جديدة خارج دائرة القبيلة و العشيرة كنوع من استراتيجيات المنفعة و المصلحة ، أيضاً يمكن أن يصبح تبادل الزيجات له قيمة رمزية حضورية داخل الجماعة الاجتماعية ، تتسع دلالاتها كلما توسع نطاق المصاهرة إلى قبائل أخرى لها نفس نمط الحياة الثقافية .

[91] محمد عاطف غيث ، دراسات في علم الإجتماع القروي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د،ط)، (د،ت) ، ص196

إن هذا الإنطباع يظهر لنا جلياً في خطاب المبحوثين كنوع من التفاخر و التميز و الحظوة بين هذه الجماعات الاجتماعية الصحراوية ، يرى بورديو أن الزواج الخارجي الذي يتم بين هذه القبائل يمكن من خلاله للزوجات "... أن ينتجن تحالفات ، أي رأس مال إجتماعي و حلفاء مهيبين ، أي رأس مال رمزي وبقدر ما تستطيع قيمة تلك التحالفات ، وبالتالي الفائدة الرمزية التي يمكن توفيرها "[92] .

إنها براديكما المزاوجة بين التفاعل الثقافي و الإجتماعي مع البيولوجي الطبيعي لخلق قيمة وظيفية تغذي صواميل العلاقات الاجتماعية بين القبائل البدوية المتمدنة ، لتشكل طبونيميا مكانية لها رمزياتها ودلالاتها داخل الهوية و البنية القبلية الصحراوية ، أيضاً هو الحال بالنسبة للقبائل المتمدنة في القصر العتيق (السكان المحليين) فالزواج يأخذ بعداً أعمق من الحاجة البيولوجية الملحة في الغريزة البشرية التي تربط الرجل بالمرأة ، بل يذهب الفاعلون إلى اعتبار الزواج رأسمال إقتصادي واجتماعي و ثقافي للقبيلة وامتداداً لجذورها و فروعها عبر هذا الشكل من أشكال التبادل بين هذه القبائل ، للحفاظ على مخزون الذاكرة الإجتماعية وارساء قاعدة متينة للتضامن و التآزر بين الأفراد و الجماعات ، " ... الزواج كما يمارس في المجتمعات القبلية ، يتم تبادل النساء بين مجموعات من الرجال ، وتتشكل علاقة دالة بين هذه الجماعات ، علاقة قرابة جانبية أشار إليها ليفي شتراوس باعتبارها تحالفاً "[93] .

[92] بيار بورديو ، الهيمنة الذكورية ، تر: سلمان قعفراني ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان، ط1 ، 2009 ، ص76

[93] توماس هيلاند إريكسن ، فين سيفرت نيلسن ، تاريخ الأنثروبولوجيا ،تر: عبده الريس ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2014 ، ص 189.

1.1.2. الزواج عند السكان المحليين (الوراقلة) وتحدي الهوية :

إن الإقتراب المفهمي و المنهجي من ماهية الزواج باعتباره حلقة مركزية تمكننا من الولوج إلى تراتبيات البناء الإجتماعي وتحليل مضامينه و حيثياته المعقدة ، ليتسنى لنا فهم و إدراك الكثير من الحقائق التي تقدمها لنا المعطيات المختلفة باختلاف أدواتها وتقنياتها ، انطلاقاً من الملاحظة المباشرة وصولاً إلى تحليل خطاب الفاعلين و المشاركين في الحياة الإجتماعية لهذا المجتمع الصحراوي ، لذلك لا يمكن لنا الانطلاق من تصورات وتخمينات منقوصة يشوبها الخلل ، خصوصاً أثناء تفسير هذه المعطيات بالارتكاز على مجموع التراكمات الثقافية و الاجتماعية القابعة في ذاكرة الباحث و إسقاطها على مجتمع البحث .

هذا النوع من الإيباجوجيا يحيله إلى تموقعات ذاتية لا تأتي أكلها في هكذا موضع من الفهم ، رغم تشابه أنماط حياتنا الإجتماعية و ائتلاف مظاهرها الدينية و الثقافية و الاجتماعية ، فالملاحظ هنا يجد أن العادات و التقاليد و الأعراف و القيم و حتى المعايير الإجتماعية قد تأخذ أبعاداً مختلفة جذرياً و إن حصل التوافق و التشابه في بعض جزئياتها ، إلا أن الإختلاف كائن رغم تقاسمنا لنفس الرقعة الجغرافية من العالم ، فحمولات الموروثات الشعبية وارتباطها إيكولوجيا بالفضاء الإقاماتي هو من يحدد الأطر الثقافية للزواج ، و الختان ، و الموت ، وغيرها من مظاهر الفرح و الحزن ، فكل مجتمع إنساني غني بهذه المظاهر التي ما تلبث أن تصبح مع التقادم الزمني ذات صفة قدسية تحيط بها هالة من الكاريزما داخل وعاء الذاكرة الإجتماعية ، لذلك نجد أن الزواج أيضاً يحتل هو الآخر قيمة خلقية في النظام الاجتماعي للمجتمعات التقليدية الصحراوية ، حيث يشير **تالكوت بارسونز** إلى أن " النظام الاجتماعي هو واحد فقط من ثلاثة جوانب لهيكلة نظام ملموس تماما للعمل الاجتماعي ، الاثنان الآخران هما أنظمة شخصية الفاعلين الفرديين و النظام الثقافي المدمج في عملهم "[94] .

[94] Talcott Parsons , The Social System ,This edition published in the Taylor & Francis e-Library : The British Library, 2005, p 03

وحتى نتمكن من تجاوز عتبة الطابوهات المتعلقة بالزواج داخل الجماعة الاجتماعية (**السكان المحليين**) المراد دراستها ، وجب علينا كباحثين تفكيك الممارسات التي ينتهجها الأفراد في شكل استراتيجيات خاصة و مفعمة بالكثير من السلوكيات و التفاعلات ، لا يمكن فهمها " دون تحليل الدافع فيما يتعلق بالمواقف الملموسة "[95] ، فالممارسات الإحتفالية لها طابع مميز ، يعيد بناء علاقة الواحة بالإنسان الصحراوي في مخياله وتمثلاته لهذه الطقوس ، فالواحة دائماً حاضرة في ذاكرة الهوية الجماعية و بنيتها القبلية التي تعطي للملاحظ براديكمات الإرتباط الوثيق بالأرض لدى قبائل **بني واقين** و **بني سيسين** و **بني ابراهيم** ، "...فإن القبيلة في الأساس مبدأها هو خلق الجماعة ، الجماعة المتضامنة " [96] ، يمكن فهم أنساقها المضمرة و الجلية في تعبيراتها الثقافية وتجاذباتها السوسيومجالية ، هذه المرحلة الكرونولوجية الهامة هي دليل أنثروبولوجي على نمط الحياة التقليدية الصحراوية ، التي بقيت في تراث المنطقة المادي و اللامادي على امتداد المسافة الفاصلة بين القصر العتيق و الواحة المحيطة به ، ترويها النساء في الكثير من الأغاني الشعبية و يهتز لوقعها الرجال بأنواع من الرقصات الفلكلورية تعبيراً على ابتهاجهم بهذا الإرتباط القيمي المقدس ، فترسيخ هذه العادات و التقاليد التي يمارسها الأفراد و الجماعات في شكل طقوس روحية تعبر عن تلك الاعترافات الضمنية بالعالم الآخر ؛ يسوغها الأنثروبولوجي في ثنائية الخير و الشر ، فالزواج في اعتقادهم يحمل الخير للواحة ويعطي للأفراد المنتمين لها فرصة للمرح و الرقص و التسامح في ما بينهم ، إن هذه الإحتفالات السنوية الخاصة بالزواج تمثل بالنسبة لهم المتنفس الوحيد بعد عام من التعب و المشقة.

[95] IBID , P 10.

[96] عبد القادر خليفة ، الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، ورقلة ، العدد الثامن ، 2012 ، ص04

إن اختيار مواقيت مراسم الزواج يقع على عاتق كبار القبيلة في مكان يسمى **تاجماعت** ، هذا المكان له عدة نقاط مركزية داخل أروقة القصر العتيق ، يجتمع فيها عدد كبير من كبار السن من القبائل الثلاث يتشاورون في ما بينهم ويتخذون مجموعة من القرارات المتعلقة بتلقيح النخيل ، ثم يذهبون مباشرة إلى مكان آخر يسمى **لالة مالكية** في هذا المكان تتفق القبائل على تحديد موعد الزواج في فترة الربيع أي بعد عملية تلقيح النخيل و التي تمتد من شهر مارس إلى بداية شهر أفريل ، يقول (**العيد ز ، إخباري**) :

" ... أول حاجة نلقحوا النخل لأن النخلة مصدر غذاء ، وباعد يخدموا السواقي ، وباعد يجتمعوا في لالة مالكية ويتفقوا على العرس شكون إلي يبدا الأول بني واقين ؟ بني ابراهيم ؟ بني سيسين ؟ ، يحددوا المجموعة الأولى وباعد الثانية وباعد الثالثة " [97] .

هذه القرارات الهامة يجب أن تحظى بمكانتها عند جميع الأسر ، فهي بمثابة أعراف اجتماعية لها قداستها ووزنها لدى كل جماعة إجتماعية صحراوية ، يتفقون على جمع النفقات التي تقدمها الأسر في شكل إعانات مادية (**مبالغ مالية ، حبوب جافة ، قمح ، تمر ، أقمشة و منسوجات صوفية ...إلخ**) تحضيرًا لهذا الإحتفال الضخم الذي يحدث مرة واحدة سنوياً ،

هذه الجماعة الاجتماعية الصحراوية لازالت تستند في نمط معيشتها إلى قواعد و أنظمة السلطة التقليدية للجماعة ، فهي تقرر مصير القبائل الثلاث ، رغم التعارض القائم على بعض قراراتها من قبل الأفراد المنتمين لها ، من خلال تفكيك خطاب الفاعلين ، إلا أنّها تبقى سارية المفعول ولا يمكن لهم مناقشتها أو رفضها ، فالهيكل البنيوي لهذه السلطة يتجاوز طموح الأفراد و حتى الجماعات ، إنها سلطة تستمد شرعيتها من الأعراف و القيم المتوارثة جيلا بعد جيل ، فهي تسطر نمط الحياة الإجتماعية الصحراوية ، وتتحكم في سيرورة طقوس كل من

[97] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018

الزواج و الختان و الموت و العقاب ، حيث تبرهن لهم السلطة التقليدية عن نجاعة قراراتها في كل مرة ، لأنها ببساطة ترى ما لا يستطيع أن يراه الآخرون .

إن هذه القرارات المتعلقة بالزواج تراعي العديد من الشروط الهامة في بنيات هذه القبائل و العشائر ، حيث نجد أن نقاط الإلتقاء الأساسية تكمن في قوة الرباط الاجتماعي ، و التي تعتمد بشكل واضح على قرابة الدم و المصاهرة ، تمهيداً لإعلان مدة هذه الإحتفالات التي تمتد فترتها الزمنية واحد وعشرون يوما فقط تقام فيها العديد من الزيجات ، حيث يتم في هذه المرحلة اختيار الزوجة من طرف الأهل وفي الغالب لا يعلم المتقدمون للزواج أي شيء عن شريك (ة) الحياة ، يخبرنا (**الهادي . ب ، مبحوث**) :

" ... الزواج قبل كان بين عايلات تعرف بعضها وكان العريس يعرف غير وقت عرسو أما العروس يختاروها والديه وميخرجوش من بنت عمو ولا بنت خالو ولا بنت بنت/ولد عمو ولا بنت بنت/ولد خالو يعني يتم الزواج من نفس العايلة ونفس اللقب ولا نفس العرش بني واقين يختارو من بني سيسين و لا بني ابراهيم"[98] .

إنه بمثابة الزواج القسري المحاط بالكثير من التبريرات التي ترى الجماعة أنها الأفضل لكلا الزوجين ، فالزواج هنا ليس القسري بمفهومنا المعاصر بل هو انصياع مطلق لما تمليه العادات و التقاليد المشتركة بينهم ، يشير في ذلك ليفي ستروس إلى مدى " إستعداد وانتباه الباحث الأنثروبولوجي إلى العادات و التقاليد ، ومختلف التفاعلات التي تساعده في فهم بعض سمات الأنظمة الإجتماعية " [99] .

[98] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2018

[99] Claude Levi Strauss , Structural Anthropology , New York :Translated from the French by Claire Jacobson and Brooke Grundfest Schepf , 1963. p 32

بعد الانتهاء من موسم الزواج يخرج سكان القصر إلى النخيل ، ويسمى هذا النوع من الخروج **إيزداغ** ، وهو موسم جني التمور بعد ارتفاع درجات الحرارة من شهر جوان إلى شهر سبتمبر ، يسكن خلالها الأهالي داخل الواحات في خيم خاصة تصنع من جريد النخل و أحياناً من **التبنة المحلية** ، بعد جني التمور تبدأ عملية التبادل التجاري (**المقايضة**) بينهم وبين البدو الرحل قبل تمدنهم ، في هذه العملية الموسمية يتم تبادل القمح و الحبوب بأنواعها و مقايضتها بالتمور ، ثم يرجع الأهالي إلى سكناتهم داخل القصر ، إنها تراكمات ثقافية و اقتصادية و اجتماعية يستقيها السكان من عبقريتهم في التأقلم و التعايش مع البيئة الصحراوية الصعبة ، والتي انعكست بدورها على الدلالات الرمزية للزواج في اختيار الموسم الأفضل الذي يحدث التوازن بينه وبين تلقيح النخيل ، هذا التوافق بقي عالقاً في مخيال قاطني القصر العتيق لغاية يومنا هذا .

إن تسارع النمو الديمغرافي في الفضاء الصحراوي لمدينة ورقلة أدى إلى وجود رهانات جديدة تفرضها الحضرية بالدرجة الأولى ، حيث نجد أن عدد الأسر سنة **2017** حسب الاحصائيات تصل إلى **34131** أسرة مقارنة بإحصائيات سنة **2008** التي لا تتجاوز **28899** أسرة[100] ، إن النمو الديمغرافي في عدد الأسر أحدث نوع من التغيرات في العديد من المفاهيم المتعلقة بالزواج و غيرها ، نتيجة تأثير مجموع التحولات على نماذج السلطة التقليدية ، و التي كانت تملك القرار في ارساء استراتيجياتها الخاصة بالزواج التقليدي المبني على امتداد النسق القرابي الذي يضبط أنظمة العلاقات الإجتماعية المتعلقة بالمراسم الاحتفالية الخاصة بالزواج الداخلي ، حسب ما تمليه الموروثات الثقافية في هذا الجانب من استراتيجيات الأسرة الممتدة آن ذاك .

[100] مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء ، الدليل الإحصائي من سنة 2008 إلى غاية سنة 2017 ، ولاية ورقلة ، زيارة ميدانية سنة 2018 .

إن التحولات الأخيرة الثقافية ، و الاجتماعية في مدينة ورقلة ، أدت إلى خلق وابتكار مفاهيم حديثة لإعادة هيكلة شروط وأنظمة الزواج ؛ بعيدا عن القرارات التي يفرزها تاجماعت ويتعارض معها هذا الجيل ، الذي يرى أن عملية الزواج اختيارية مبنية على التفاهم و التراضي بين أهل الزوج و الزوجة في المجتمع الحضرية الصحراوي الحديث ، لنجد ضالتنا في قول (**الطاهر ، مبحوث**) :

"... أما في وقتنا هذا تغيرت الحالة راه العادات و التقاليد تاع جدودنا راحت وتغيرت حتى الزواج تغير ذرك راهي حرية في كلش " [101].

هذا التحول في أشكال الزواج هو بالضرورة مسايرة لمرحلة جديدة تقتضيها جملة التحولات ، وتفرضها سياقات الواقع الحضري الإستهلاكي الجديد ، بعد ضمور وتحلل المجتمع الزراعي داخل الواحة ، كلها كيانات فاعلة أدت إلى اتساع دائرة الزواج ، ليتجاوز رهاناته و أشكاله التقليدية التي كانت تحوم حول نوعه **الاندوجامي** ، للحفاظ على الرأسمال البشري الذي يعزز نمط الحياة الإقتصادية المعتمدة على النشاط الرزاعي التقليدي آن ذاك في الواحة ، فالمصاهرة خارج الجماعة الإجتماعية هو دليل واضح على حدوث شرخ في بنيات العادات و التقاليد القديمة ، التي كانت تأسس القيمة الرمزية و الثقافية للزواج الداخلي لدى الجماعة ، باعتباره الأيقونة الوحيد التي يمكن من خلالها الحفاظ على هوية القبيلة و العشيرة ، فحسب رؤية المبحوثين لظاهرة الزواج الخارجي الإجزوجامي (Exogamie) يعتبرونه شكل من أشكال الزواج الذي يميّع العصبية القبلية ، ويرهق كذلك مجموعة القيود العرفية المتوارثة في احتكارها لأنظمة الزواج في شكله الداخلي فقط ، هذا النظام الجديد للزواج يعطي لنا العديد من المفاهيم المرنة التي تكتسب قابلية وشرعية داخل هذا المجتمع الصحراوي قيد التشكل ، إنها مجموعة من العلاقات الإجتماعية الجديدة التي أنتجتها الحضرية بعد تراجع أدوار الأسرة الممتدة ، و تراجع دور الواحة ، وظهور الأسر

[101] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2018

النووية التي تحاول جاهدة اللّحاق بركب التطور و الاندماج في عالم الشغل ، وتحديث استراتيجياتها داخل المجتمع الحضري الإستهلاكي ، الذي أسدل على الواقع الإجتماعي الصحراوي العديد من التحولات التي مسّت نخاع بنائه الإجتماعي ، خصوصاً بعد خروج المرأة الصحراوية للعمل وانفتاحها على التعليم بعد تغير أدوارها ، و نشاطاتها ، و تفاعلاتها ، تماشياً مع دينامية الحياة الحضرية الحديثة .

2.1.2. تراجع الزواج الداخلي و تحلل الهوية لدى البدو المتمدنين :

رغم اختلاف النوع البشري وتعدد الثقافات بين القبائل العربية الموزعة في حوض ورقلة ، و القبائل الأمازيغية القاطنة في القصر العتيق ، إلا أننا نلاحظ العديد من القواسم المشتركة في نمط حياتهم داخل مدينة الواحات ، من خلال تعبيراتهم الضمنية و العلنية ، نجدها في الكثير من السلوكيات و التفاعلات التي يغذيها الوسط الحضري الجديد ، ولعل اختيارنا لمناطق تمدن البدو في هذا الفضاء الصحراوي يمكن أن تجيبنا على العديد من التساؤلات التي بقيت عالقة في ذلك المجال الزمني للمحادثات ، و الملاحظات الأولية لمجتمع البحث ، تجمعات سكنية متداخلة ومتراصة في ما بينها تكاد تكون منغلقة بانغلاق تلك الشوارع الرئيسية ، وتفرعاتها الثانوية المؤدية إلى عمق البنايات التقليدية المعبرة في مورفولوجيتها عن خطابات طبونيمية مكانية ، تتجلى سياقاتها في تفاصيل الحياة البدوية القديمة ، التي بقيت حاضرة في الذاكرة الإجتماعية للأفراد المبحوثين الذين يفصحون عنها بشكل صارخ يتجاوز حدود المكان و الزمان .

وقفنا على هذه التفاصيل في كل من أحياء الرويسات ، و أحياء المخادمة ، و أحياء سعيد عتبة ، تبدو لنا هذه المجموعات الاجتماعية محافظة تستمد تماسكها من القيم الأخلاقية الإسلامية ، فالزوايا و المذاهب المنتشرة (**الإباضية** ، **المالكية** ، **الطريقة القادرية**) في فضاء مدينة الواحات تدل على الإرتباط الوثيق لهذه الجماعات الاجتماعية (**سكان محليين** ، **بدو متمدنين**) بالدين ، باعتباره شريان الحياة الرئيسي ، الذي ينظم سلوكيات الأفراد و الجماعات ، لذلك لا يمكن فهم أي مجتمع إنساني دون فهم مكانة الدين في هذا المجتمع ، فهو الذي

يحدد نمط الحياة ويفسر العلاقات الإجتماعية بين الأفراد داخل الأسرة ، و الحي ، و السوق ، و أماكن العمل ، فالأسرة هي الوعاء القيمي الدينامي الذي يحافظ على استمرار تلك القيم الأخلاقية لدى أفرادها بواسطة عمليات التنشئة الإجتماعية ، أيضاً هي الوعاء الثقافي الذي ينمي استمرارية الموروثات الشعبية التي تعيد انتاج الهوية القبلية في ظل الممارسات الاحتفالية المتنوعة ، فالقبيلة ترى وجوب الحفاظ على حظوة و قدسيّة نواة الأسرة الكبيرة (**الأسرة الممتدة**) لدى الجماعة الاجتماعية ، فهي تعتبرها وحدة انتاج وبناء القيم في النظام الإجتماعي ، هذه الإستراتيجيات أكسبت النظام القبلي شرعيته واستمراريته لدى الجماعات الصحراوية التقليدية ، و لكي يحافظ هذا النظام القبلي على رأسماله البشري ، و مكانته ، وقوّته بين القبائل الأخرى ، رأى في ذلك وجوب تفعيل مجموعة من الآليات الخاصة بالهيكل التنظيمي للزواج ، وفق حلقة دائرية مغلقة ومحدودة الاختيارات عند ابن العم وابنت العم في شكله الداخلي ، حتى لا يختلط النسب وتضعف شوكة العشيرة بتنوع المصاهرة الخارجية التي تؤدي إلى اضمحلال القبيلة ، فالزواج هنا يحظى بمباركة السلطة التقليدية التي تعطي الإذن لبداية المواسم الإحتفالية في فصل الصيف ، يقول (عبد الباسط ، مبحوث) :

"... قبل كان الزواج بين الأسرة الواحدة التي تملك نفس اللقب أو تنحدر من نفس الجد يعني لازم يدي بنت عمو حتى لوكان مزالت صغيرة هي متسمية عليه من وقت ولدت ميخطبها حتى واحد وكل لافامي علبالهم أنو فلانة لفلان إلا إذا توفى ولا توفت يختار بنت عمو و لا تختار ولد عمها الآخر" [102] .

[102] مقابلة مع مبحوث ، سبتمبر 2018

بعدها تأتي مرحلة الخطبة وهي مرحلة شكلية لأن اختيار العروس وقع منذ ولادتها حسب الأعراف و التقاليد المتوارثة ، تقدم خلال هذه المناسبة العديد من رؤوس المواشي أو الإبل مهراً للعروس ، مع الحلي الذهبية و الفضية و أيضاً مجموعة من المنسوجات الصوفية و الأقمشة كبديل على العملة النقدية التي تكاد تنعدم لدى قبائل البدو الرحل ، نظراً لاعتمادهم على نظام التبادل و المقايضة .

بقيت هذه الإستراتيجيات المتعارف عليها في مظاهر الزواج ردحاً من الزمن بعد استقرارهم في حوض ورقلة ، إلا أن التحولات التي يفرزها التمدن ساهمت في تفتيت هذه المظاهر التقليدية للزواج و إعادة صياغتها في حلقة منفتحة على القبائل و المجموعات البشرية الأخرى ، يراعى فيها شروط النسب و الإنحدار الشرفي لكليهما فأغلب القبائل العربية البدوية ترى أن بطونها و أفخاذها تعود إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي تعتبر نفسها من الأشراف وباقي القبائل دونها مكانة لذلك بقيت هذه القبائل تبيح الزواج من القبائل الأخرى الأقرب نسباً وشرفاً ، هذا النوع من المصاهرة يأخذ أبعاد سياسة ، واقتصادية ، و اجتماعية تظهر في شكل تحالفات جديدة ، إن هذه التراتبية الإجتماعية لدى القبائل البدوية تكسبهم مكانة في الوسط الحضري بعد تقسيمهم لهذا الفضاء على شكل تقاطعات مختلفة محيطة بالقصر العتيق ، تمتد فيها التجمعات السكنية الأفقية في نقاط واسعة من المجال ، ترسم الحدود السوسيوثقافية ، و الهويات العمرانية ، و الإنتماءات المذهبية بين المالكية و الإباضية ، و التي يمكن ملاحظتها داخل المساجد و الزوايا الدينية .

إن التحولات الأخيرة التي تشهدها مدينة ورقلة بعد اندماجها في الحياة الحضرية الحديثة ، غيرت أيضاً في مجموع الخصائص و السمات القديمة للزواج لدى قبائل البدو المتمدنة ، و التي كانت ترى وجوب الحفاظ على محدودية هياكل الزواج ، و الميراث داخل هذا المجتمع القبلي ، وما تمليه العادات و التقاليد المتعارف عليها لدى هذه الجماعة الإجتماعية ، هذه البرغماتية في الزواج تحفظ مكانة القبيلة وهيبتها بين القبائل الأخرى لذلك ظل الزواج الداخلي يلقى استحساناً بينهم حتى بعد تمدنهم ، لا شك أن الحضور الضاغط للعديد من الوافدين من الشمال بعد الانفتاح الغير مشروط للواحة ، أدى إلى نمو العديد من الإيديولوجيات التي تفرضها وتسيرها الحضرية ، هذه الإيديولوجيات المفعمة بالتثاقف ، و الغنية بالصراعات الثقافية نتيجة التداخل في منظومة القيم و العقائد بين ما هو متجذر في الموروثات الشعبية للبيئة الصحراوية ، و ما تفرزه العولمة من أشكال سوسيوثقافية و اقتصادية تؤثر في الأنماط الحياتية داخل المدينة وبالتالي تراجع أنظمة وهياكل الزواج لدى هذه القبائل ، إلا أن الملفت للإنتباه هنا أن قبيلة سعيد عتبة بقيت محافظة على أشكال الزواج الداخلي في تركيبتها الثقافية و الاجتماعية و الدينية ، لم يتأثر الزواج لدى هذه الجماعة الاجتماعية بالتحولات الأخيرة (**استقرار** ، **تمدن** ، **التحضر**) ، حتى أن النسيج العمراني لديهم بقي يحافظ على أنظمة العلاقات الاجتماعية القديمة خصوصاً المتعلقة بعلاقات الجيرة المبنية على النسق القرابي .

2.2. القرابة و السكن و العلاقات السلالية :

يطرح ميدان مدينة ورقلة ثنائية القرابة ، و السكن ، لما لهما من أهمية بالغة في المجتمعات الصحراوية التقليدية القديمة ، و التي تتشكل عبر وحدات اجتماعية ، و تكتلات بشرية تضفي عليها العشيرة و القبيلة دلالات واضحة بوضوح تجمعاتهم السكنية ، القائمة على مبدأ القرابة الدموية في الجوار لدى البدو المتمدنين في مناطق توزعه داخل قضاء المدينة ، و السكان المحليين أصحاب البشرة السوداء القاطنون داخل القصر العتيق و خارجه ، في امتدادات سكنية تحدها وتنظمها ضوابط حيازة المجال في ما يتعلق بالملكية و الميراث ، يتم بموجبها تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها وفق روابط اجتماعية قوية تساهم في الحفاظ على البناء الاجتماعي ككل ، فتدرج النسق القرابي عبر نسيج من روابط الدم ، و المصاهرة ، يقتضي وجود تكتلات سكنية تعزز الانتماء الاجتماعي للمجال ، و كذلك الهوية الجماعية في رسم تقاطعات الفضاء العمراني للمدينة ، هذه الإستراتيجية التي نلاحظها في تداخل وتشابك النسيج العمراني سواءً في القصر العتيق أو أماكن تواجد البدو هي ترجمة لنظام اجتماعي معقد في تسلسلها القرابي و الإقاماتي .

إن الاقتراب من ثنائية القرابة و السكن في دراستنا هذه و المقتضبة من بنية الأسرة وتحولات السكن و التساكن ، تحيلنا في تفاصيلها الماتعة و الشيقة وتدعونا في مضامينها المعرفية المضمرة إلى ضرورة الإحاطة بمجموعة المفاهيم و المعطيات الوفيرة في هذا الجانب ، و التي بموجبها يمكن لنا فهم بنية الأسرة الصحراوية ، من خلال تتبع هذه الكيانات المادية وما تقدمه مورفولوجيتها من تعبيرات صارخة تجاوزت حدود المكان و الزمان في تجلياتها الطبونيمية ، وتراكماتها الإيكولوجية ، التي " ... نشأت بطريقة طبيعية تلقائية حيث تفاعلات ذكاء مختلف الأجناس و الجماعات مباشرة مع بيئاتها ، ولما كانت البيئات تختلف الواحدة و الأخرى فقد جاءت هذه التفاعلات بين البلد و الآخر " [103] .

[103] يحي وزيري ، العمارة الإسلامية و البيئة ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1 ، 2004 ، ص 62

فالأسرة الصحراوية الممتدة كانت تحتضن عمليات الضبط الإجتماعي داخل وخارج هياكل هذه الكيانات المادية و الروحية المفسرة لأنساقها الوظيفية ، التي تمرر العديد من الخبرات الحياتية وتحدد أنظمة القرابة من خلال استراتيجيات ضبط سلوكيات الأفراد داخل البناء الإجتماعي للجماعة الاجتماعية ، فالملاحظ هنا يجد أن القرابة و السكن لهما دور بالغ الأهمية في نمط التعايش المبني على العلاقات الإجتماعية القوية التي يؤسسها الجوار (علاقات الجيرة) الذي يساهم في خلق حميمية التفاعلات القائمة بين هذه الأسر ، ويغذي روح التضامن الآلي بينهم ويوفر كذلك الأمن و الآمان للقاطنين في هذه التجمعات السكنية التقليدية ، يخبرنا (عبد المنعم ، **إخباري**) ينتمي إلى قبيلة بني سيسين يعيش الآن خارج أسوار القصر العتيق :

" العلاقة بين الجيران تربطها القرابة بالأساس ، كذلك بعد خروج أغلب العائلات إلى السكن في ضواحي القصر عبر هذا الامتداد الخاص بكل قبيلة باعتبارها ملكيات خاصة بهم .... رغم التساكن خارج القصر إلا أن علاقات الجيرة تحكمها درجة القرابة بشكل كبير ونادراً ما تجد غير ذلك ، القصر العتيق هو عبارة على عائلة كبيرة تربط بينهم علاقات اجتماعية متماسكة و مترابطة جداً ، أذكر أن هناك عائلات إلى الآن تقوم كل صباح بالإطمئنان على جيرانهم وتفقد أحوالهم ، كذلك تجد أغلب البيوت داخل القصر مفتوحة على بعضها البعض مع باقي الجيران و الذين في الغالب هم من الأرحام" [104] .

إن استراتيجيات الأسر في تعايشها و تمدنها في حوض ورقلة لا زالت تعتمد في هياكلها على إعادة بناء أواصر تلك العلاقات الاجتماعية التقليدية المتشابكة و المميزة في نفس الوقت ، فالسكنات التقليدية في القصر العتيق ترسخ هذا الطرح بقوة رغم سنوات من التمدن و الإندماج في الحضرية ، حيث نجد أن تشابه هياكلها الخارجية يوحي لدى الباحث أن هناك قاسم مشترك يجمع قاطنيها في مصير واحد يربطهم بواحة النخيل ، بيوت متلاصقة ذات امتداد أفقي تتوسطها أبواب خارجية صغيرة الحجم تتوزع بتوزع تفرعات أزقتها الضيقة المفتوحة و المغلقة ،

[104] مقابلة مع إخباري ، أكتوبر 2018

تكاد تكون خالية من النوافذ الخارجية إلا بعض الفتوحات الخاصة بالتهوية في جدرانها الخارجية الصماء التي تستهوي المارين بجوارها ويجذب لونها الذهبي الشبيه بلون التربة الصحراوية أذهان الباحثين و المهتمين بتاريخها ، إنها تستمد من هذه البيئة الصعبة قوتها ومتانتها ، فهي تمنحها الحياة بمكوناتها الصحراوية البسيطة (**ماء ، تيمشمت ، تازقاغت**) ، (**إنظر الصورة رقم : 14**) .

لنجد بعد مرورنا وتجاوزنا للسقيفة ؛ قاعدة البيت ومتنفسه الذي يرتبط بالسماء مباشرة في علاقة روحية تبعث في نفوس قاطنيها نوعاً من الراحة و الطمأنينة و السكينة ، يرويها لنا مالك البيت بعد أن استحضر في مخيلتنا رمزية ودلالة الأدوار و الوظائف التي تشغلها هذه الأجزاء من البيت ، حيث يمكن للأفراد المتواجدين فيه أن ينتقلوا إلى البيت المجاور دون الحاجة إلى الخروج من الباب الرئيسي ، فالملاحظ هنا يجد أن هذه البيوت منغلقة خارجياً ومنفتحة عن البيوت الأخرى داخلياً ، لا يحدث هذا النوع من التداخل و التشابك إلى في ظل وجود علاقات جوار مبنية على الأواصر القرابية المتينة أيضاً هي مؤشر واضح على وجود أسر ممتدة تحتضن مجموعة من الأسر النووية المدمجة فيها و التي تحافظ من خلالها على نمط السلطة التقليدية التي يشغلها الجد أو الأب الذي يستمد شرعية هذه السلطة من التسلسل القرابي الذي يربط العشيرة بالقبيلة ، و الجدير بالذكر أن هذه النماذج من استراتيجيات التعبئة العمرانية خارج أسوار القصر العتيق بقيت تجسد نفس المبدأ في التقارب الجواري رغم تراجع نوع الأسرة الممتدة التي ساهم في اضمحلالها الواقع الحضري الجديد وما يقدمه من حوافز إقتصادية وتحديات اجتماعية خصبة لنمو الأسر النووية المستقلة ، و التي يستسيغها الأفراد في تشكيل نمط حياتهم الإجتماعية ويطرحونها في سمات ثقافية تتداخل وحداتها مع الهوية المجالية الصحراوية ، حيث يذهب تالكوت بارسونز في تصوراته إلى " أن المجتمع العصري المتحضر المتفاضل هو تعبير عن قيم مشتركة ، إنه من وجهة نظره مجتمع عقلاني تسيطر فيه قيم العمومية و الانجاز وتدفع هذه القيم المجتمع إلى الفعل العقلاني " [105] .

[105] محمود عودة ، مرجع سبق ذكره ، ص 130

أيضاً لا يمكن إغفال الجانب الآخر من نمط الحياة الاجتماعية الخاص بقبائل البدو بعد تمدنها واستقرارها في حوض ورقلة لأسباب اختيارية و أخرى حتمية ، يقول ابن خلدون في مقدمته " ... ولهذا نجد التمدن غاية البدوي يجري إليها ، و ينتهي بسعيه إلى مقترحه منها "[106] ، فالهيكل البنيوي الذي نشاهده في تجمعاتهم العمرانية في تخطيط وبناء السكنات و الأحياء وتفرعات الأزقة يدل على التشابك و الإرتباط في البناء الإجتماعي لهذه الجماعات الإجتماعية ، فهي تكاد تكون مغلقة في تصميماتها حيث يلاحظ الزائر في هذه الأحياء نوع من الإنغلاق المادي و أيضاً المعنوي في تساؤلات أهل الحي : من أنت ؟ لما أنت هنا ؟ ماذا تريد ؟ ، هذه التساؤلات الجوهرية تعطينا مدلولات واضحة وجليّة عن وجود الوحدات القرابية التي تربط سلسلة العلاقات الإجتماعية مع نواة النسيج العمراني ، حيث نجد في منطقة المخادمة التي تأخذ تسميتها من القبيلة ،كل من عشائر أولاد الصير ، الفوارس ، بني حسن ، أولاد تمان ... إلخ ، وكذلك بالنسبة لأحياء سعيد عتبة نجد هذه العشائر حاضرة في مخطط نسيجها العمراني القرابي في تواجد عشائر كل من العمرات ، أولاد فدول ، أولاد سعيد .. إلخ ، يخبرنا (عبد الرحمان ، مبحوث) ينتمي إلى قبيلة المخادمة ويقطن حاليا في منطقة بوعامر وسط مدينة ورقلة ، وهو رب أسرة مكونة من 11 فرد له زوجتان يعمل في التجارة الحرة:

" ...كنا قبل نسكنوا مع بعض كل عايلة كبيرة تبني لخيام مع بعضها وتتجاور ، تلقى الأخ و خوه والخال و العم كلهم في جوار واحد ، وكذلك تلقى عايلة أخرى مهيش بعيد عليهم نفس الشيء وهما كامل مخادمة ، وبعدها كي استقرينا هنا في ورقلة رانا بقينا نفس الشي" [107].

[106] ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، (د،ط) ، 1978 ، ص 122

[107] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2018

3.2. الأسـرة و الفضاء السكني : التفاعل داخل المجــال الإقاماتــي

منذ الوهلة الأولى يمكننا ملاحظة التفاعل الأسري داخل المجال الإقاماتي في مدينة الواحة ، مروراً بتفاصيل حياتهم اليومية التي كنا نرقبها عن كثب ، ونحاول من خلالها فهم المنحى الذي تأخذه الأسر الصحراوية في استراتيجيات بناء المسكن وتهيئته في تخيلاتها الهندسية و المعمارية ، هل هي اعتباطية أم منظمة وغير عشوائية ؛ يرى جيلبير دوران مساءلة هذه التمثلات و التخيلات القابعة في أذهان الأفراد اتجاه تصميم منازلهم " قل ما هو المنزل الذي تتخيله ، أقل لك من أنت "[108] ، لذلك أردنا البحث في حيثيات هذه المضامين المتعلقة بالفضاء السكني الصحراوي عن طريق استقصاء المعطيات التي يقدمها الفاعلون في المجال الإقاماتي في هذه التجمعات العمرانية .

هذا الكم المعتبر من الملاحظات المباشرة ، و المقابلات المنوعة ، مع القاطنين في الأحياء التقليدية للمدينة داخل القصر العتيق و بعض الأحياء القديمة الأخرى التي تتوزع في منطقتي الرويسات و المخادمة ، تعطينا دلالات يقينية على وجود تراكمات مغذية لعبقرية الإنسان الصحراوي ، الذي استطاع أن يخلق وظيفة فيزيولوجية لتلك التجمعات السكنية التقليدية ، في شكل مباني أفقية مدمجة داخلياً ، تستمد طاقتها وشموخها من التبنة المحلية و جذوع النخيل التي تعطيها رمزية الواحة ... و تطبع من خلالها هويتها المجالية الصحراوية في تصميماتها الهندسية الدقيقة ، التي تنمو وتتفرع في شكل هياكل متراصة كأنها بناء مادي واحد ، تتشابك فيها الأزقة و تتفرع منها الكثير من الممرات الضيقة والملتوية ، هذه الممرات لها وظائف إيكولوجية تعمل على تكسير الرياح الموسمية المحملة بالأتربة (من شهر مارس إلى شهر ماي) والتقليل من سرعتها لحماية النسيج العمراني من التلف و التآكل ، أما في فصل الصيف تتحول هذه الممرات و الأزقة إلى أجزاء مكيفة وباردة نتيجة انحصار الظل في تلك الزوايا .

[108] جيلبير دوران ، الأنثروبولوجيا : رموزها ، أساطيرها ، أنساقها ، تر: مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2006 ، ص 219 .

غالباً ما تحدد الأسرة الصحراوية مجالها السكني وفق العديد من القرارات الإختيارية تنبع من قناعات الوحدة الإجتماعية في تأسيس الفضاء السكني الداخلي و الخارجي ، المغلق و المفتوح ، الظاهر و المضمر ، المقدس و المدنس ، هذه الرؤى في التخطيط العمراني التقليدي تهيئها أنظمة العلاقات الإجتماعية المبنية على التماسك و التشابك و احترام علاقات الجوار في أذهان القاطنين من خلال توريث هذه الاستراتيجيات في عمليات التعبئة و التعمير ، بحيث تسعى جاهدة أن توفر كل احتياجات الأفراد بما يتناسب و الوضع الإجتماعي و النمط المعيشي الثقافي و الإقتصادي و الديني ، فالسكن هو أول كيان مادي يعزز استقرار وراحة الأسرة لما يوفره من خصوصية في العلاقات الحميمية بين أفرادها ، حيث يصبح مرآة يمكن من خلالها فهم استراتيجيات الأسرة ومعرفة بنيتها ، وفق مقاربات أنثروبولوجية نفسية تفسر الظواهر المترتبة على هذا التداخل الذي يحدث بينها وبين التشكل العمراني ، إنطلاقاً من التجمعات السكنية إلى الحي ثم إلى السكن أو البيت كنقطة جوهرية في التخيلات المعمارية لقاطنيه ، وتمثلاتهم لأجزائه ومكوناته الحيوية فهو إلى جانب كونه بناء مادي له مورفولوجية Morphology وظيفية خاصة هو أيضاً كيان روحي يسكن إليه الأفراد ويركنون في كل جزء من أجزائه ، يقول عبد الحميد دليمي " ... يتفاعلون في تواصل مع بعضهم البعض بأدوارهم الإجتماعية المختصة كزوج وزوجة ، أم و أب ، أبن و أبنة ، أخ و أخت ، الأمر الذي يجعل لهم ثقافة مشتركة كجماعة أولية ذات علاقات مواجهة و مساكنه و معايشه حميمية "[109].

[109] عبد الحميد دليمي ، دراسة في العمران السكن و الإسكان ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، ميلة ، الجزائر ، (د، ط) ، 2007 ، ص 59 .

حتى يتسنى لنا فهم أبجديات هذا التفاعل الأسري داخل الفضاء السكني وجب علينا كباحثين أن ندرك حقيقة أجزاء البيت ، لما هي بهذا الشكل ؟ وما الوظيفة التي تشغلها هذه المكونات المادية ؟ ، إنها بالفعل تقسيمات منهجية للفضاء السكني في ما يتعلق بأماكن العبور و الارتباط (الدروج / السلالم ، الممرات الداخلية) تختزل فيها ثنائية المقدس و المدنس ، الأماكن العامة (الصالون/غرفة استقبال الضيوف) ، الأماكن الخاصة/المغلقة (غرف النوم) ، أماكن الإستراحة (السقيفة / العلي ، راحة البيت/ الحوش أو الفناء الداخلي للمنزل) ، أماكن الطهي (المطبخ ، الفناء الداخلي للبيت ، العلي) ، أماكن تخزين الطعام (تخزين القمح ، التمر ، الحبوب ...إلخ) ، إن البيت/السكن ليس ذلك المكان الذي نسكن إليه فحسب بل هو العالم في شكله الصغير الذي يخضع هو الآخر إلى آليات دينامية في تنظيمه وترتيبه ، هذه العتبات و النوافذ و الأبواب وحتى اختيار الموقع السكني يحيلها ديبول J.C إلى نقاط أساسية مركزية لتكون العلاقات بين الساكن و الآخرين [110] ، فهي أيظاً مجموعة من نقاط الإتصال و التواصل بين القاطنين و أنفسهم أو بينهم بين القاطنين في الأماكن المجاورة ، لما لها من احتياجات ضرورية في التفاعلات الإجتماعية المختلفة يسعى من خلالها المهندس أو البناء و الذي يعتمد في الغالب على خبراته البيئية النابعة من نمط معيشه الصحراوي في تقسيم أجزاء المسكن إلى فضاءات حيوية متشابهة مع باقي السكنات الأخرى ، هذه الفضاءات الداخلية مصممة لتوفير الحماية و الحرية للساكنة بمعزل عن العالم الخارجي .

[110] Depaule.J.C , Vie Quotidienne et espace habité au Machrek , In : Espace des autres : Lectures anthropologiques , Les éditions de la villette, Paris, 1987, P. 181.

هذا الحيز المادي المختلف في هندسته الداخلية و الخارجية بين السكان المحليين في نموذج القصر العتيق ، و ما بقي من شواهد عمرانية تقليدية لأماكن استقرار البدو المتمدنين ؛ له دلالات إيكولوجية خاصة ومميزة لطبيعة الحياة الإجتماعية لهذه الجماعات الإنسانية ، لذلك نجد أن هناك فارق جوهري في تقسيم الفضاء السكني الداخلي رغم ائتلاف هذه المجموعات الاجتماعية في تقاسمها للفضاء الصحراوي ، فالملاحظ هنا يجد أن التصميمات الهندسية داخل القصر العتيق ضيقة في مكوناتها و أجزائها الداخلية عكس السكنات التقليدية (القصور المفتوحة) الخاصة بالبدو فهي فسيحة ورحبة تشمل غرف كبيرة الحجم و فناء داخلي واسع مخصص للإحتياجات المنزلية المتنوعة ، هذه المساكن التقليدية رغم بساطتها وشظف معيشة أهلها إلى أنها لا تخلوا من الأماكن المخصصة لإستقبال الضيوف لمدة قد تطول أو تقصر ، تعنى هذه الفضاءات بكثير من الأولوية في الإهتمام نظراً لأهمية الضيف وحظوته في النظام الإجتماعي لهذه الجماعات الإجتماعية الصحراوية ، فالضيف في مخيالهم يحمل الخير لأهل البيت ويطرد الشر بمجيئه وقعوده ، كلما طالت فترة المكوث كلما حل الرزق واتسع صدر أهل البيت لهذه الضيافة ، هناك بعض القصص في هذا الجانب المتعلق بالخير و الشر في الذاكرة الفردية لبعض قاطني الواحة حيث يخبرنا (أحمد الطاهر ، مبحوث) :

" أن عدم الإعتناء و الاهتمام بالضيف قد يجلب الشر لأهل البيت ويؤثر هذا الشر على مردود محصول التمور وقد يتعدى ذلك إلى موت أو إصابة أحد قاطني هذا البيت في ماله أو جسمه "[111] .

لذلك يرى الفاعلون في المجتمع الصحراوي وجوب استقبال الضيف في أي فترة زمنية كانت ليلا أو نهاراً حيث خصصت الهندسة المعمارية التقليدية لهذه الأماكن ركنًا مميزًا في البيت ، في الغالب غرفة بها حمام و مطبخ صغير مستقلة في أجزائها عن المنزل العائلي نجدها متلتصقة بجانب البيت لدى النمط العمراني التقليدي للبدو المتمدنين ، أما بالنسبة للسكان المحليين فهي تقع في أعلى البيت يتم الصعود إليها عبر سلالم/دروج من الأسفل .

[111] مقابلة مع مبحوث ، نوفمبر 2018

3. بدايات التمدن : من مسكن العائلة إلى المساكن " المستقلة "

إن مجموع الإحصائيات التي تقدمها لنا مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء أثناء زيارتنا الميدانية سنة 2018 ، تبين بوضوح حجم زيادة النسيج العمراني من خلال عمليات التعبئة المتواصلة في المدينة ، سواء ما تعلق بالبنايات المشيدة من طرف الأفراد و الجماعات الفاعلة في المجتمع الحضري الجديد ، والتي تمتد من نواة المدينة إلى هوامشها مرورًا بالكثير من الأحياء الحديثة المتشكلة في منطقة الرويسات وبني ثور و أحياء المخادمة و سعيد عتبة و حي تازغرارات وسعيد 1 وصولا إلى حي النصر (الخفجي) ، كذلك مجموع البنايات المشيدة من طرف الدولة في صيغ كثيرة ومتنوعة حسب ما تقتضيه شروط العقد و الملكية ، ونوع العمل الخاص بالمستفيدين من هذه الصيغ (سكن تساهمي ، سكن إجتماعي ، سكن ترقوي مدعم ، سكن وظيفي ... إلخ) ، حيث نجد عدد الصيغ المسجلة تتجاوز 36974 وحدة سكنية منذ سنة 2005 إلى غاية سنة 2019 ، منها 24495 وحدة جاهزة و 10068 وحدة في طريق الإنجاز ، هذا الإمتداد العمراني الذي يمكننا ملاحظته عبر تقنية Googl Ereth هو نتاج النمو الديمغرافي السريع الذي تجاوز سنة 2017 حدود 34131 أسرة في مدينة ورقلة .

إن هذا التشكل العمراني المتزايد الذي نشاهده من خلال مجموع الإحصائيات التي تقدمها مديرية السكن عبر مراحل عديدة لا يمكننا حصرها في هذا الموضع بالذات ، نظراً لما يحتويه المجال الصحراوي من استراتيجيات معقدة تمارسها الجماعات الإجتماعية في حيازتها للفضاء الصحراوي ، في الكثير من التقاطعات المركزية المختلفة لكل من السكان المحليين و البدو المتمدنين ، و مجموعة الوافدين الجدد التي أوجدها واقع التحضر وساهم في تغذية نسيجها السكني بعد انفتاح المدينة على غيرها من المدن ، كقطب جاذب للوافدين إليها من الأرياف القريبة و المدن المجاورة ، و كذلك من المدن الجنوبية و الشمالية مؤخراً بعد انتمائهم إلى الكثير من المؤسسات و الهيئات الإقتصادية ، و الإجتماعية الحكومية و الخاصة ، هذا الإندماج في التركيبة الإجتماعية للواحة أدى إلى خلق المزيد من الفضاءات السكنية الغير نظامية في التسيير الحضري ، أحدثت الكثير من التشوهات العمرانية التي

حالت دون اكتمال الكثير من مشاريع التنمية المستدامة داخل المجال الصحراوي ، هذا الانفلات العمراني هو مصدر إلهام الباحث الأنثروبولوجي في اقتفاء أثر هذه التحولات على بنية الأسرة الصحراوية ، ومدى فاعليتها و تأثيرها في المجتمع الحضري الاستهلاكي الحالي ، الذي أفرزته المدينة بكافة حيثياتها الإقتصادية و تجاذباتها الإجتاعية و الثقافية و السياسية ، نجد أنها تساير الظاهرة الحضرية في الفضاءات الطبيعية الصحراوية المميزة ، فواقع التصنيع و استغلال الثروات الطبيعية (النفط ، الغاز ، مواد طاقوية أخرى) وتأثيرها على البنية الإيكولوجية للمدينة عبر عمليات التعبئة العمرانية ، خلق بدوره سلوكيات وتفاعلات يستقيها الأفراد من هذا النمط المعيشي الجديد.

يرى تالكوت بارسونز إلى أن " ... المجتمع العصري المتحضر المتفاضل هو تعبير عن قيم مشتركة ، إنه من وجهة نظره مجتمع عقلاني تسيطر فيه قيم العمومية و الانجاز وتدفع هذه القيم المجتمع إلى الفعل العقلاني "[112] ، الذي يؤثر هو الآخر على بنية الأسرة الممتدة كنتاج حتمي للسلوك الحضري وانعكاسه الثقافي و الإقتصادي على مظاهر الحياة الإجتماعية للأفراد و الجماعات في استراتيجياتهم الحثيثة نحو بناء نموذج قيمي للعلاقات الإجتماعية الجديدية في ضوء آليات التحضر و الاندماج ، هذه الصيرورة الدينامية التي ينقلها الفاعلون في الفضاء الحضري للواحة من خلال خطابهم ورؤيتهم للبيئة الإجتماعية الحالية يفتح لنا المجال للكثير من التساؤلات التي يجب علينا الإسراع في الإجابة عليها بالإعتماد على مقاربات الأنثروبولوجيا الحضرية و التفاعلية الرمزية ، التي تأسس بعداً أعمق في تحليلنا لخطاب الفاعلين و المبحوثين باختلاف انتماءاتهم العرقية ومشاربهم الإيديولوجية ، " وتحليل الثقافة لمحاولة اكتشاف طبيعة المنظمة التي تشكل مركب هذه العلاقات ، وتحليل أعمال معينة أو مؤسسات هو

[112] محمود عودة ، أسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) ، ص 130

في هذا السياق تحليل لنوعها الأساسي من التنظيم " [113]، وذلك بالإقتراب المنهجي و المفهمي الذي يمكننا من فهم تركيبة هذه البنى الإجتماعية و أنساقها القرابية ومدى تأثرها بالتحولات العمرانية .

1.3. نسق السكان المحليين "الوراقلة" من الأسر الممتدة إلى الأسر النووية :

إن الإنطلاق من هذا التساؤل الجوهري الذي يفضي إلى تحديد ما نحن بصدد دراسته الآن حول مضامين تحولات بنية الأسرة وعلاقتها بتحول السكن يحيلنا في حيثياته ومعطياته النظرية و الإمبريقية إلى فهم و تحليل سياق العلاقة الجدلية بينهما ، هذ التساؤل الذي يشغل بال المهتمين بالمجال الحضري ، الأنثروبولوجي ، و السوسيولوجي ، في معرفة مدى سرعة و اندماج المجموعات الإجتماعية في النمط المعيشي الحضري ، على اختلاف موقعها الجغرافي وانتماءاتها العرقية ، في انتاجها للقواعد و القيم المنظمة للسلوك الفردي ، و الجماعي ، داخل البيئة الحضرية الحديثة ، إن تفكيك هذه المعطيات التي أوجدها الإنسان الحضري الآن تستدعي منا الحذر الإبستيمولوجي في مرافقة هذا التنظيم الإجتماعي المتذبذب في الفضاءات الصحراوية .

لذلك لا يمكنا الإنطلاق من قوالب جاهزة في إسقاط قراءات وتفسيرات البعد الإيكولوجي لمدن الشمال الجزائري وتأثيره على التغيرات الإجتماعية في هذه المدن مباشرة على المجتمعات الصحراوية ، إن الإرتكاز النظري المحمل بالعديد من التقنيات و الأدوات يمكنه تفعيل آليات البحث الإثنوغرافي و التنقيب الإثنولوجي في هذا المجتمع بالذات نظراً لخصوبة ميدانه ، وقلة الباحثين و المهتمين به في هذا الجانب من الدراسة ، لذلك وجب علينا كباحثين أن نعيد ترتيب أولويات البحث و التنقيب انطلاقاً من الهيكل البنيوي للقبيلة و العشيرة في تتبع التحولات المختلفة و مرافقة تأثيرها على العلاقات الإجتماعية التقليدية داخل الأسرة .

[113] جون ستوري ، النظرية الثقافية و الثقافة الشعبية ، تر : صالح خليل أبو أصبع و فاروق منصور ، هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة ، أبو ظبي ، ط 1 ، 2014 ، ص 83 .

لاشك أن ارتباط الأسر الممتدة بوجود الواحة له عدة دلالات في المجتمع الصحراوي ، باعتبارها الشريان الرئيسي لنمط الأنشطة الإقتصادية التقليدية ، كون هذه البنية البشرية رأسمال لا يستهان به في الحياة الإجتماعية ، فعلاقة الأسرة بالواحة هي علاقة جدلية تكاملية بينهما تفضي إلى معطى واضح مفاده "أن ذوبان الأسر الممتدة هو بالضرورة تمهيد لذوبان الواحة (واحة النخيل) ، حتى أصبحت تحاكي نمطية (Stereotyped) العمران الإسكاني من حيث القرابة (Kinship) و المجاورة (Neighboring) فتجد في العمران الفلاحي عائلات قرابية تمتلك أرضاً متجاورة ، لديها شعور بالوحدة ، التي أوجدت فيما بينهم نوعاً من الإتصالات الودية في الإطار الثقافي المتوارث " [114] هذه الحيثيات نشاهدها في واحة ورقلة بكل تفاصيلها ومفرزاتها الحديثة ، إن دور الأسرة الممتدة لدى غالبية الأفراد بالغ الأهمية يتعدى كونها رأسمال بشري إقتصادي واجتماعي إلى اعتبارها كيان عاطفي له رمزياته في مخيال الجماعة الاجتماعية ، و دلالاته في الممارسات الثقافية المتنوعة ، فهي وحدة إنتاجية بامتياز ، تمثل الوعاء الثقافي الذي يمكن من خلاله تجسيد روح الإنتماء و الهوية و القيم الإجتماعية و الأخلاقية ، يطلق عليها السكان المحليين إسم **العاني** ويقصد به العائلة الكبيرة التي تجمع بين الجد و الجدة و أولادهم و أحفادهم و قد يتجاوز ذلك إلى العم و العمة أو الخال و الخالة ، " إن ظاهرة الإندماج القرابي ، تعتبر من أهم المؤثرات ، في العديد من الجوانب المتعلقة بحياة المجتمعات القروية (Thevillage) و الريفية (Rural) لهذا نجدها من العوامل المؤثرة بوضوح ، على نسق البنى العمرانية ، الزراعية لهذا المجتمع ، حتى أصبحت تحاكي نمطية (Stereotyped) العمران السكاني "[115] ، فالشكل الهندسي لنسيج العمران التقليدي يوضّح مكانة و أهمية الأسرة الممتدة لدى المجتمع الواحاتي في الصحراء .

[114] علي حسن الصغير ، التوافق البنيوي بين النسق القرابي و المجال العمراني قصر ورقلة ، مرجع سبق ذكره ، ص 141.
[115] نفس المرجع ، ص 141.

لكن ما لا يمكن إغفاله أو تجاهله هو ملاحظة إعادة تشكل العلاقات الإجتماعية التقليدية بعد الصراع الذي عايشته المجموعات الإجتماعية الصحراوية في فهمها للتمدن ، وتسطيرها لقواعد السلوك الحضري الثقافي و القيمي ، حسب تحليل خطاب الفاعلين المنتمين إلى السكان المحليين في رؤيتهم للظاهرة الحضرية وتعايشهم معها ، لذلك أرى أن نظرتنا قاصرة في هذا الموضوع بالذات إذا أغفلنا الرجوع إلى فترات ما قبل الحضرية في مدينة الواحة ، واقترابنا أكثر من مفاهيم القبيلة و العشيرة وارتباطها بالواحة منذ عقود باعتبارها مكون إجتماعي هام لا يمكننا إلغائه أو غض الطرف عن تأثيره في آليات الضبط و التنظيم الاجتماعي الحالي ، إن " البنى المجتمعية هي ركيزة اللاوعي للفكر و العلاقات الاجتماعية ، فهي بنى تحدد تجريبيا على شاكلة الجماعات أو الأفراد المختلفين ، الذين يعطون للمجتمع بنيته : مثل العشائر و الأنساب و كبار القوم ورجال الدين " [116] ، فالملاحظ هنا يجد أن المصير المشترك الذي كان يربط أواصر هذه الجماعات الاجتماعية بدأ في التلاشي و الضمور في الظاهرة الحضرية في بادئ الأمر ، مما أدى إلى التحول في تركيبة البنية القبلية وتصدع هيكل نسيجها العمراني كاستجابة مؤقتة للسلوك الحضري و آلياته الإجتماعية و الثقافية و القيمية التي تؤثر في استمرار التضامن الآلي للجماعة ، يرى طوماس و زنانيكي أنها حالة من سوء التنظيم الاجتماعي المؤقتة تحاول بعدها الجماعة إعادة تنظيم نفسها (réorganisation) [117] ، هذه الحالة من الأنوميا الإجتماعية هي ردة فعل يمكن قياسها من خلال تحولات بنية الأسرة الصحراوية ، فتراجع دور الأسر الممتدة في عمليات الضبط الإجتماعي أدى إلى ظهور قيم إجتماعية جديدة يغذيها الرأي العام بدل الجماعة الإجتماعية و القانون بدل السلطة التقليدية ، يراها البعض من المبحوثين قيم أكثر نضجاً في تحقيق الحرية الشخصية و الاختيارات الثقافية ، بعيداً عن الرقابة التقليدية للجماعة الإجتماعية ، يقول **إبراهام ماسلو** " أي الرغبة في أن يصبح الفرد كل ما يمكن أن يكون ، أو كل ما تؤهله له

[116] فيليب لا بورت تولرا ، جان بيار فارنييه ، مرجع سبق ذكره ، ص 61 .
[117] عبد الرحمن المالكي ، مرجع سبق ذكره ، ص 113.

إمكانياته أن يكون " [118] ، لذلك قمنا بجمع عدد من المعطيات حول إندماج المجموعات الاجتماعية في مفرزات الظاهرة الحضرية الصحراوية ، حتى نتمكن من فهم مساراتهم الإقتصادية و الاجتماعية و الثقافية وعلاقتها بتحولات السكن وبنية الأسرة :

جدول رقم (04) : نوع المهن و الوظائف لدى المجموعات الاجتماعية في مدينة ورقلة

نوع المهن و الوظائف	الفلاحة	التجارة	المؤسسات الخاصة	المؤسسات الحكومية	مهن أخرى	لا يعمل	المجموع
السكان المحليين " الوراقلة "	4	2	4	11	12	7	40
البدو المتمدنين	3	9	2	8	6	2	30
الوافدين الجدد	0	0	2	8	0	0	10
المجموع	7	11	8	27	18	9	**80**

المصدر : تحقيق ميداني ، انجاز الباحث 2018،2019

إن تحليل مضامين هذه المعطيات يأخذ بأيدينا إلى مجموع التأثيرات التي أوجدها واقع التحضر في تفتيته للعائلة الكبيرة و انقسامها إلى أسر حديثة (نووية) ، بفعل انتشار هذه الأنماط من القيم و العلاقات الجديدة ، إننا الآن أمام براديكما التداخل بين القديم و الحديث ، بين التقليدي و المعاصر في حوض مدينة ورقلة ، مفاهيم سيكولوجية يصعب تفسيرها في إنتاج و إعادة الإنتاج لاستراتيجيات الأسرة في التشكل العمراني الحديث ، نلاحظها من خلال جملة المقابلات التي قمنا بها مع أفراد ينتمون إلى مجموعة السكان المحليين منهم من يعيش داخل القصر رغم هشاشة بنيته المادية في أحياء لالة منصورة ، الميزاب ، توراست ، بايدير ، و كذلك أحياء بني

[118] طلعت إبراهيم لطفي ، علم إجتماع التنظيم ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، (د ، ط) ، 2007 ، ص 108.

واقين في كل من دقيش ، زنزلة ، باب رابعة ، بابا حرزي ، بالغلان ، باعياد ، باهداج ، و أحياء بني سيسين في كل من سيدي بلوفا ، سيدي حفيان ، الموكف ، بوسحاك ، أكضي ، بوعمران ، هذا التصدع الواضح الذي نشاهده في البنية العمرانية للقصر يرجع في الأساس إلى قدم مكوناته التي تآكلت بفعل العوامل الإيكولوجية ، هذا التآكل أوضحته لنا مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء في احصائها للسكنات الغير صالحة (Logements précaires) داخل القصر ، حيث بلغ عددها 781 سكن إضافة إلى 395 سكن آخر مهدد بالإنهيار (Logements ruines) من أصل 2138 وحدة سكنية تقليدية داخل القصر العتيق ، يمكن تلخيصها حسب إحصائيات الجدول التالي:

الجدول (05) : وضعية قصر العتيق "ورقلة"

المدينة	عدد القصور		عدد السكنات	السكنات مهددة بالانهيار	سكنات غير صالحة	سكنات لإعادة ترميم
	مرتبة	المجموع				
	Nb de Ksours		Nb de	Logements	Logments	Logts à
	Classés	total	logements	Ruines	précaires	Réhabiliter
ورقلة	01	01	2 138	395	781	962

المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية ولاية ورقلة ، زيارة ميدانية (2018)

لكن ما يثير الدهشة أن أغلب أصحاب هذه السكنات الهشة و المهددة بالانهيار قاموا بإعادة هيكلتها بتجهيزات و مكونات عصرية أحدثت طفرة عمرانية بين التقليدي و الحديث داخل القصر ، هذه التصميمات السكنية الجديدة أخذت على عاتقها ادماج العديد من الأسر النووية في مكوناتها و أجزائها الداخلية التي تبين مدى استقلاليتها في الفضاء الإقاماتي ، يراها البعض سيرورة حتمية لابد منها للتّعايش مع الظاهرة الحضرية بأبعادها وتشكلاتها الثقافية و القيمية الحديثة ، يقول (لطفي ، مبحوث) :

"... كنا ساكنين في لقصر وتربينا في لقصر أما ذرك رانا بنينا بجانب لقصر (خارج السور) ، المكان هذا قبل كان غابة تاع النخل ، السكنات لقديمة فيها خصوصية وحتى السكنات الجديدة واسعة فيها كل المستلزمات العصرية "[119]

لقد حاولنا الاقتراب من تحولات بنية الأسرة من خلال ربطها بتحولات السكن كون هذه العلاقة الجدلية بينهما تؤدي إلى تبيان هذا الخلل في التنظيم الإجتماعي للقبيلة و العشيرة وكيفية مسايرتهما للحضرية في الصحراء ، عبر أنوية الأسر الممتدة التي تظهر عجزها في احتواء أفرادها داخل المسكن المشترك في ظل هذه التحولات المؤثرة على جملة الخيارات الثقافية للأفراد و الجماعات ، وكذلك الحتميات الإيكولوجية المتعلقة بتآكل معظم السكنات التقليدية وعدم قدرة أجزائها الضيقة ومكوناتها البسيطة في استيعاب حجم البنية الأسرية وتطلعاتها الثقافية و الإقتصادية ، فالكثافة السكانية المتزايدة في هذه المجموعات الإجتماعية المتعايشة في القصر العتيق ، أدت إلى خروج الكثير من قاطنيه نحو غابات النخيل ، نتج عن هذا الخروج بناء وحدات سكنية خاصة في أرض الجد الأكبر أو الوالد أو الأب ، تخضع هذه التقسيمات إلى القوانين العرفية للجماعة في الحيازة ، و الملكية ، و الميراث ، في تخطيط الفضاءات العمرانية داخل الواحة وخارجها ، هذه الهياكل المادية الجديدة ذات نمط حديث تتنوع بتنوع الدخل الفردي (سكنات حديثة ، سكنات ذات طوابق ، سكنات فاخرة "فيلا") ، نشاهدها على امتداد القصر في شكل تجمعات سكنية ذات طابع هندسي حديث و مختلف عن التصميمات الهندسية التقليدية في أجزائها ومكوناتها ، هي إشارة واضحة على بداية زحف وتوسّع النسيج العمراني على حساب الأراضي المخصصة للفلاحة (**أنظر الصورة رقم : 26**) .

[119] مقابلة مع مبحوث ، أفريل 2017

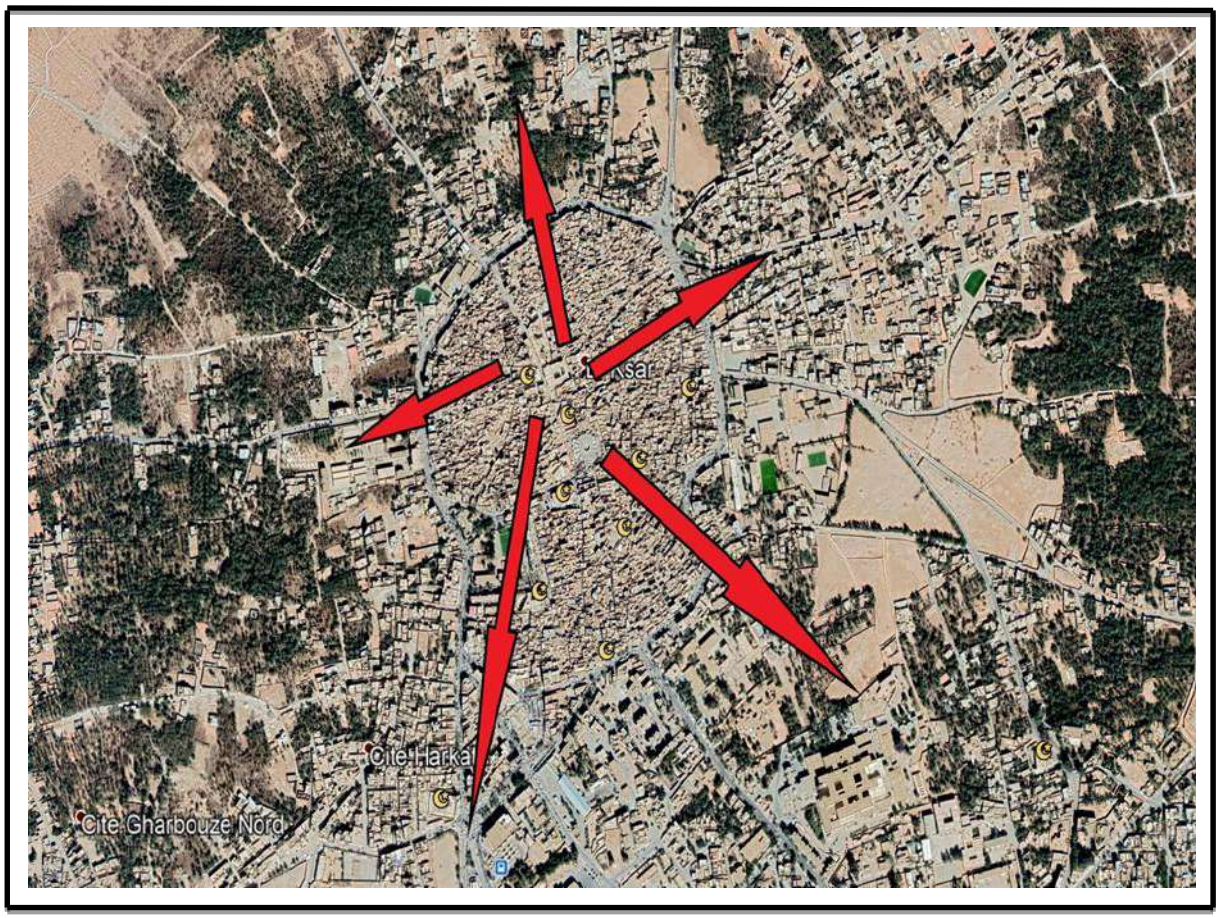

المخطط رقم (4) : توضح عمليات التساكن خارج القصر العتيق منذ بداية الستينات (مدينة ورقلة)

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2018/10/15)

2.3. نسق البدو المتمدنين من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية :

سبق و أشرنا في محطاتنا البحثية المتعلقة بمراحل تمدن القبائل البدوية في حوض ورقلة ، إلى تحولات أنماطها الحياتية و أنشطتها الثقافية التقليدية ، انطلاقاً من ممارسة التجارة و الرعي ثم زراعة النخيل ، ثم بعد ذلك توجهت هذه القبائل إلى الاندماج في الوظائف و المهن الحديثة ذات الدخل الفردي المرتفع ، لتحسين نمطها المعيشي عبر أوعية النشاطات الاقتصادية المختلفة التي أدرجتها سياقات الظاهرة الحضرية في حيثياتها ومفرزاتها داخل المدينة ، يرى وورث "...أن تعدد العلاقات وتفاعلات الإنسان في المدينة يؤدي إلى تجزئة العلاقات الاجتماعية و إفراز وتقوية الطابع الانفصامي للشخصية الحضرية "[120] ، وهذا ما نحن بصدد دراسته الآن كموضوع غاية في الأهمية يجبرنا على فحص هذه البنيات القبلية و قياس مدى تأثرها بالسلوكيات الحضرية لأفرادها من خلال هذا الإندماج اللامشروط في وسطها الحضري ، لذلك نرى أن الإقتراب من استراتيجيات الجماعة الإجتماعية في فضاءاتها السكنية يمكن لها أن تحل هذه المعضلة التي نواجهها في بحثنا الإمبريقي نظراً لشح المصادر الملمة بهكذا طرح ، مروراً بتقنية الاستمارة و التي نعتبرها مذكرة الباحث اليدوية التي تمكننا من تدارك النقائص المعرفية التي بقيت عالقة في ذهننا بعد اجرائنا للمقابلات ، من خلال هذا الجدول استطعنا على الأقل تحديد بنية الأسرة في فضاءها السكني مستعينين في ذلك على عدد لابأس به من المبحوثين قصد فهم و توسيع أطر وارتكازات هذا الإرث الإمبريقي في تفكيكه لفحوى الظاهرة الحضرية الصحراوية :

[120] عبد الرحمان المالكي ، المرجع السابق ، ص 157.

جدول (06) : بينة الأسرة في مجالها السكني

نوع الأسرة في مجالها السكني	الأسرة	النسبة %
أسرة ممتدة مكونة من (أب + أم + أبناء متزوجون) يشتركون في نفس المطبخ	8	11.42
أسرة ممتدة مكونة من (أب + أم + أبناء متزوجون) وجود أكثر من مطبخ	14	20
أسرة ممتدة مكونة من (أب + أم + أبناء متزوجون + أحد الأقارب خال (ة) ، عم (ة))	2	2.86
أسرة نووية مكونة من (أب + أم + أبناء غير متزوجون) في منزل مستقل	42	60
غير محدد	4	5.71
المجموع	70	% 100

المصدر : تحقيق ميداني ، تقنية الاستمارة (2017، 2019)

إن هذه العشائر الصحراوية تأخذ أشكالا أكثر تعقيداً في بنيتها الطبقية وركائزها المؤسساتية في مكونات تنظيمها الإجتماعي داخل المدينة (تنظيم/سوء تنظيم) الذي يحدد سيرورة الأسر الممتدة في احتواء الأسر الحديثة (النووية) ضمن هيكلها الإقاماتي المشترك و التي نلاحظها في كل من أماكن تواجد عشائر أولاد نصير بني حسن و أولاد تمان وولاد أحمد في النسيج العمراني لقبيلة المخادمة ، و عشائر كل من الخرافة و مرزاق و فطناسة وولاد زينة في التقاطعات العمرانية الخاصة بأحياء سعيد عتبة ، إلا أن عشائر أولاد عرينة و الجنادة و بني مرزوق وولاد ساسي في مناطق الرويسات و بني ثور تملك بنى أكثر تفتتاً وانحلالاً في الوسط الحضري .

إن ظاهرة المجتمع الحضري الإستهلاكي وما صاحبها من ظهور الهيئات و المؤسسات الحكومية الإقتصادية و الإجتماعية في قطاعاتها المختلفة في كل من الصحة و التعليم و الصناعة و التجارة لأمر جدير بالإهتمام في تحليلنا لهذا الجانب من الطرح الذي يصب في معرفة تأثير هذه الأنشطة الجديدة التي تحتضنها المدينة في ضوء تنوع الحرف و المهن و الوظائف الحكومية و الخاصة في خلق ما يعرف بالتمايز الطبقي داخل هذه المجموعات البدوية

الصحراوية ، تزامناً مع ظهور النخب الإجتماعية الجديدة بعد توافد المهاجرين إلى المدينة ، هنا يمكن أن نعتبر المدينة بالنسبة للبدو المتمدنين مختبر اجتماعي ثقافي و اقتصادي يُمَكّن الأفراد و الجماعات من اكتشاف ذواتهم وتحقيق طموحاتهم في نمطهم المعيشي الحضري ، نظرا لما تقدمه المدينة من حوافز مختلفة يُغذيها التضامن العضوي في شكل علاقات ثانوية وعقلانية بين الأفراد في سلوكياتهم و تفاعلاتهم اليومية "... إن الأسرة النواتية تخضع لسلطة الفرد ولقوة عمله ولقدرته الإقتصادية و الفردية ولحريته في اتخاذ قراراته الشخصية و هذا هو واقع نمط البيئة الصناعية " [121] .

فتحلل الأسر الممتدة إلى أسر نووية لدى البدو المتمدنين هو ترجمة لانسجامهم وتكيفهم مع السلوك الحضري كنمط ثقافي يعزز تماسك واستقلالية هذه الأسر في فضاء سكني خاص يمكن لنا ملاحظته عبر ديناميات النسيج العمراني التي يظهر أغلبها في شكل سكنات ذات طوابق يرى أصحابها أن هذ النمط السكني له القدرة في الحفاظ على النسق القرابي و الاجتماعي من خلال دمج مجموعة من الأسر في مكوناته و أجزائه الحديثة ، تتمتع هذه الأسر بحيز من الحرية و الخصوصية في ممارساتها ونشاطاتها داخل المنزل (مطبخ مستقل ، فناء خاص ، حمام خاص ، صالون خاص لاستقبال الضيوف) ، فالتحول في بنية الأسرة ليس بالضرورة تحول في أنظمة العلاقات الاجتماعية التقليدية كون هذا النوع من التحول يخضع لعدة أبعاد منها البعد الإيكولوجي و البعد الثقافي و البعد الإقتصادي و السياسي ، هذه الأبعاد تتنوع بين الإختيارات الثقافية و الحتميات البيئية في استراتيجيات الأسرة في المجال الصحراوي ، يخبرنا (السعيد ،مبحوث) ينتمي إلى قبيلة المخادمة يسكن حاليا في حي النصر " الخفجي " رب أسرة مكونة من ثلاث أفراد الزوجة و اثنان من الأولاد يعمل في شركة خاصة :

[121] عباس مكي ، دينامية الأسرة في عصر العولمة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (د ، ط) ،2007 ، ص 55.

"سكنت في الخفجي عندي تقريبا ثمانية سنوات ، كنت ساكن مع الدار لكبيرة و من باعد شريت سكنة في الباطيمات f3 ، الدار كانت ضيقة ، ولازم نخلي بلاصة لخويا باه يعرس ، وراني لذرك نروح لدار لكبيرة تقريبا كل وقتي ثما"[122]

إن أغلب المبحوثين يثنون على فضل العلاقات الإجتماعية التقليدية في ضبط سلوكياتهم وتفاعلاتهم اليومية ، يرونها الوعاء الثقافي و القيمي الذي يحفظ تماسك الجماعة الاجتماعية التي تنحدر من جد واحد مرورا بالعشيرة ثم القبيلة كوعاء هوياتي يمكنهم من الشعور بالإنتماء الترابي لحوض ورقلة ، إننا الآن أمام تشكلات معقدة لهذه الجماعة في سلوكها الحضري ، فرغم تشظي الأسر الممتدة إلى أسر نووية بفعل التحولات الاجتماعية و الاقتصادية إلا أننا نجد الآن هذه الأسر سواء كانت تعيش في فضاء سكني مشترك أو تساكنت خارج الحي تبقى خاضعة لنمط السلطة التقليدية للجماعة الاجتماعية ، إنها تسعى إلى إعادة تشكيل مونوبول حضري ذو نسق قرابي يضمن تشابك العلاقات الإجتماعية في تنظيمها الإجتماعي للنسيج العمراني الحديث ، الذي يحدد نمط هذه العلاقات المبنية على الإحتواء و الحميمية ، نلاحظ هذه الاستراتيجيات من إعادة التنظيم حسب طوماس وزنانكي في الواقع الحضري في تجلياته وتعبيراته الآنية ، حيث اتجهت الكثير من الأسر النووية التي تساكنت خارج مجالها العمراني بفعل ظروف خارجية و أخرى داخلية حتمية أو اختيارية إلى بناء سكناتهم الحديثة في حييهم القديم ، نجدها في التقاطعات المختلفة لأحياء السكان المحليين و البدو المتمدنين .

[122] مقابلة مع مبحوث ، فيفري 2018

خلاصة الفصل :

إن سعي الباحث الأنثروبولوجي نحو فهم وبناء قراءات مبدئية لمجتمع تحيط به التحولات وتختلط فيه الأنماط الحياتية ، تظل قاصرة ؛ يعتريها الغموض ، و الضّبابية ، في الكثير من جوانبها الإبستيمولوجية ..؟ كون هذه الحقائق و المعطيات التي يتم استجلاؤها من خطاب الفاعلين غير ثابتة ، يصعب فحصها وتنقيبها في نفس الوقت ، إنها أصعب فهما و أدق تأويلا من مفاهيم التحولات في حد ذاتها ، يطرحها النمط المعيشي الصحراوي في تعبيراته وتجلياته المتنوعة و المتداخلة في حضرية الواحة وما يرافقها من ممارسات يومية ، يمكن استقصائها وتتبعها عبر تحليل وتفسير مشاربها الإيديولوجية المتشابكة في هويتها الثقافية ، وتقاطعاتها السوسيومجالية المميزة بالحضور الضاغط للوافدين الجدد وتدفقهم نحو نواة المدينة ، و التراكمات المعرفية و الثقافية للأفراد و الجماعات المستقرة قديماً (السكان المحليين ، البدو المتمدنين) وتمثلاتهم للحضرية في تقسيماتهم المجالية القائمة على مبدأ الملكية و الميراث و الحيازة ، لذلك لا يمكننا التنبؤ بمصير الهيكل البنيوي لهذه الجماعات الاجتماعية في ظل التحولات الآنية ، فالأسرة الصحراوية الآن هي جزء لا يتجزأ من هذا الصراع الذي تشحذه مجموع هذه التحولات الدينامية و المتسارعة في سيرورتها ، فالأسرة تسعى جاهدة نحو بناء استراتيجيات معقدة داخل المدينة قيد التشكل ، من خلال مشروعها الإقاماتي المتعلق بالسكن و التساكن ، وما تطلبه الأنماط الحياتية الاجتماعية و الإقتصادية من ضرورة ملحة نحو الإندماج و الظفر بمكانة إجتماعية في ضوء الحوافز التي تقدمها الهيئات و المؤسسات الحضرية الجديدة ، و كذلك رسم تطلعاتها لبناء تصورات ثقافية و اجتماعية و اقتصادية تحافظ من خلالها على كيانها المادي و بقاءها الروحي .

الفصل الرابع

الفصل الرابع :
تحول السكن وعلاقته ببنية الأسرة

تمهيد الفصل الرابع

1. المدينة الكولونيالية وسياسة إعمار صحراء ورقلة

2. أنـماط السكن الصحـراوي بين الخيارات الثقافية و الحتميات الإيكولوجية

3. البعد الهوياتي للسكن في مدينة الواحات

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل الرابع :

إن مدى استجابة هذه الدراسة الميدانية للعديد من القضايا المهمة التي كانت عالقة في ثنايا البحث الاثنوغرافي لمدن الجنوب الجزائري ، متعلقة بالتنظير الإبستيمولوجي في فهم البراديغم البنائي لهذه المجتمعات الصحراوية وكيفية تفاعلها مع السكن في دورة حياتها ، ليصبح مفهوم السكن أكثر مرونة وفاعلية داخل هذه الفضاءات المتنوعة لكل من السكان المحليين و البدو المتمدنين وكذلك الوافدين الجدد ، إنها فسيفساء بشرية مختلفة أوجدها واقع التحضر ، وساهم في اكتظاظها وتوزعها داخل هذا المجال المميز من خلال تعبيراته العمرانية التقليدية و الحديثة ، تقاطعات سويسوثقافية ، تعدد الهويات ، كلها كيانات فاعلة في بناء الواقع الحضري في هذه المدينة قيد التشكل ، حيث يمنحنا هذا الفصل تمنحنا انطلاقة بحثية تمكننا من استقصاء المعطيات وطرحها هنا بشكل سلس ومرن دون اغفال أحد جوانبها الفينومينولوجية .

1. المدينة الكولونيالية وسياسة إعمار صحراء ورقلة :

1.1. استحداث وتنظيم المجال العمراني : سيطرة إستعمارية على الفضاء الصحراوي

منذ بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر ، أخذ على عاتقه مشاريع الاهتمام بالأبحاث التي قام بها الرحالة و المستكشفون الأوروبيون قبل سنة **1830م** ، وما تحمله هذه الاستكشافات و الرحلات من معلومات قيمة عن الصحراء الجزائرية عموماً ، حيث استفاد الضباط الفرنسيون آن ذاك عبر الكثير من الخرائط و الأفكار التي تشرح الطابع المعيشي للإنسان الصحراوي ، " حيث تمثلت أبحاث كل من **كاريط** (Carette) و **أفازاك** (Avezac) و **لابي** (Lapie) الذين تمكنوا من وضع خريطة عامة للجزائر أبرزوا فيها تضاريس المنطقة الجنوبية ، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظفها الفرنسيون في ما بعد في التوسع العسكري و المدني و التحكم الإداري و الاجتماعي في الصحراء "[123] ، كما أنها توضح المعالم الجغرافية و شبكة الطرقات و المواصلات ، التي كانت تعتمدها قبائل البدو الرحل كخارطة طريق بين الشمال و الجنوب ، " فالاستعمار يختار المواقع الاستراتيجية سواء على المستوى العسكري أو التجاري أو الانتاجي " [124] .

هذا ما ساعد على توسيع دائرة السيطرة الاستعمارية لمدن الواحات الجزائري ، والتوغل إلى أقصى الجنوب لتوسيع عملياتها التجارية و إنعاشها في كل أسواق إفريقيا ، يذكر أهل التاريخ أن أول وجود فرنسي في مدينة ورقلة كان سنة **1853 م** ، حيث سعت القوات الفرنسية إلى ربط الشمال بعمق الجنوب ، باعتبار أن مدينة ورقلة هي بمثابة موقع استراتيجي يمكن لها أن تحل هذه المعضلة ، ومن أهم المشاريع آن ذاك هي بناء السكك الحديدية ، " ... حيث يعود هذا المشروع إلى النصف الثاني من القرن 19 م وبإيعاز من **كاباني** الذي اقتراح مد خط

---

[123] عميراوي أحميدة و آخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916) ، مرجع سبق ذكره ، ص 31 .

[124] بوشناقي بوزيان ، في التحضر و الثقافة الحضرية بالمغرب "دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح " ، الحوار الأكاديمي و الجامعي ، المغرب ، ط 1 ، 1988 ، 24 .

حديدي يمتد من الجزائر نحو بوسعادة و ورقلة "[125] ، كل هذه التطورات و الانجازات الكلونيالية كانت تهدف في مجملها على احكام سيطرتها على مدن الجنوب وخلق طريق يسهل عمليات انتقال الجنود الفرنسيين وعتادهم إلى عمق المناطق الصحراوية التي تتسم بخصوصيات مناخية صعبة ، هذه المشاريع أثرت على القوافل التجارية للبدو الرحل خصوصاً بعد اقتحام السوق الأوروبي للمنافسة التجارية ، حيث تقول عميراوي أحميدة " ... لقد بدأ الفرنسيون يعطون أهمية كبرى للصحراء بعد اكتشاف المعادن و خاصة البترول و الغاز الطبيعي ، واعتبر الفرنسيون في الخمسينيات من القرن **20** أن المعجزة ستكون من الصحراء " [126] .

2.1. الشكل الحضري للمدينة ، بعد سياسي واقتصادي :

قبل أن نخوض في مسألة المجال الحضري في مدينة ورقلة وجب علينا أولاً نبش الكثير من المعطيات التي يزخر بها الميدان و يطرحها في مورفولوجيا نسيجه العمراني المتباين التقليدي و الحديث ، و الذي يمكننا من رصد حيثياته المكانية و الزمانية في رهاناته الاقتصادية و الاجتماعية والتي لها علاقة جدلية بتحول السكن ، تمهيدا لفسح المجال الصحراوي نحو بوتقة التحضر و الانفتاح على المدن الأخرى ، إن هذه المعطيات تأخذ بأيدينا إلى مرحلة هامة من مراحل تطور المجال الحضري في الصحراء أي قبل الإستقلال ، لقد كان الاهتمام بالصحراء من بين المشاريع الفرنسية الهامة و الصعبة في نفس الوقت ، حيث سعت من خلالها إلى تجسيد فكرة ربط الشمال الجزائري بعمق الجنوب نحو إفريقيا السوداء وهو من بين المشاريع الضخمة التي أرّقت الوجود الفرنسي مما أدى إلى حشد الكثير من الآلات و المعدات لهذا الغرض ، انطلاقاً من مدينة ورقلة باعتبارها موقعاً استراتيجياً يمكن لها أن تحل هذه المعضلة الكولونيالية ، التواجد الفرنسي في مدينة ورقلة في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين أخذ في تسريع مشاريع عمليات التعبئة الحضرية ، و التي كان الهدف منها سياسي و عسكري بالدرجة الأولى ، حيث

[125] عميراوي أحميدة و آخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916) ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، (د، ط) ، 2009 ، ص 79 .
[126] المرجع نفسه ، ص 23

واجهة القوات الفرنسية مقاومات شرسة من القبائل البدوية بالمشاركة مع المستقرين القدامى الذين يقطنون قصر ورقلة آن ذاك ، فالصراع الإيديولوجي العرقي العنصري الذي كانت تحمله القوات الفرنسية لتشويه صورة القبائل واضعاف قوتها وامداداتها ، حيث يقول **إنجلز** " ... وإذا كنا نأسف على أن بدو الصحراء قد فقدوا حريتهم فإنه يجب أن لا ننسى أن هؤلاء البو كانوا أمة من اللصوص ، ذلك أن وسائل عيشتهم كانت في شن غارات إما على بعضهم بعض و إما على القرى الآهلة المجاورة " [127] .

من هذا المنطلق بدأ المستعمر في عملية إخضاع البدو الرحل و إجبارهم على التمدن ، وذلك بعد افشال طرق القوافل التجارية ومنعهم من مزاولة نشاطاتهم التقليدية القديمة ، حيث يشير **الاخباريون** بصفة عامة أن الاستعمار الفرنسي تمكن من جلب معلومات تفيد أن البدو الرحل يساهمون في تغذية الثورات الجزائرية ، عبر تزويدهم بالأسلحة القادمة من ليبيا و مصر ، هذا ما جعل الاستعمار الفرنسي يضيق الخناق على هذه المجموعات الاجتماعية ، وجعلها تستقر في مدينة الواحات عن طريق بناء سكنات تقليدية و ممارسة الرعي و زراعة النخيل بدل الترحال و التجارة ، ومن هذه القبائل نجد الشعانبة و بني ثور و المخادمة و سعيد عتبة ، وفي حديثنا حول الشكل الحضري لمدينة الواحات في تلك الفترة الزمنية ، نجد أن النسيج العمراني الصحراوي يتمثل في نماذج القصور ، و التي من بينها قصر ورقلة العتيق الذي بقي شاهداً على تلك الفترة ليومنا هذا ، وقد تأثر القصر العتيق بمجموعة من التحولات التي انتهجها المستعمر الفرنسي انتقاماً من القبائل التي كانت تدعم الثورات ضدها ، وما نتج عن هذه التحولات ازاحة السور الخارجي للقصر و كذلك ردم الخندق الذي كان يوفر الحماية لسكانه. وبذلك كانت هذه المرحلة تاريخية في احداث التشوه داخل النسيج العمراني بمحاذاة قبيلة بني سيسين ، عبر تهديم بعض السكنات التابعة لهم و العمل على توسيع الطريق المؤدي إلى ساحة الشهداء وصولاً إلى الساحة المركزية للقصر العتيق (**أنظر الصور رقم : 06.07**) ، هي سياسة تهدف إلى معاقبة الأهالي من خلال تشويه الخصوصية

[127] نفسه المرجع السابق ، ص 29 .

العمرانية التقليدية انتقاماً لمشاركتهم وتدعيمهم للثورات المنددة بالوجود الفرنسي ، من بين أهم المنشآت العسكرية نجد الأبراج التي بقيت شاهدة إلى يومنا هذا في حوض ورقلة من أهمها برج **"ليتود"** جنوب القصر العتيق ، هذه الاستراتيجية الكولونيالية جاءت لتجسيد مشاريع السيطرة على المدينة وغلق منافذ التمويل أمام قبائل البدو الرحل ، إظافة إلى التمهيد لخلق مدينة نموذجية في صحراء ورقلة بالقرب من أماكن استقرار البدو (القصور المفتوحة) و أماكن استقرار السكان المحليين في القصر العتيق بعد سياسة فتح القصر على امتداد الواحة لتقليل من خطر هذه القبائل الصحراوية ، يمكن للملاحظ الآن أن يجد آثار هذه المنشآت الحديثة داخل النسيج العمراني للقصر العتيق ، يخبرنا (العيد ، **إخباري**) : "هذه البنايات يعود تاريخها إلى الاستعمار الفرنسي ، وهي تتمثل في المشاريع التجهيزية بعد الشروع في توسيع الطريق وهدم السور و العمل على إقحام سكان القصر في الحياة الحديثة ، عبر استحداث منشآت جديدة تتمثل في كل من : المدرسة ، الكنيسة ، و عيادات طبية ، كذلك هناك بعض المباني الخاصة بأفراد الجيش الفرنسي آن ذاك[128] .

[128] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018 .

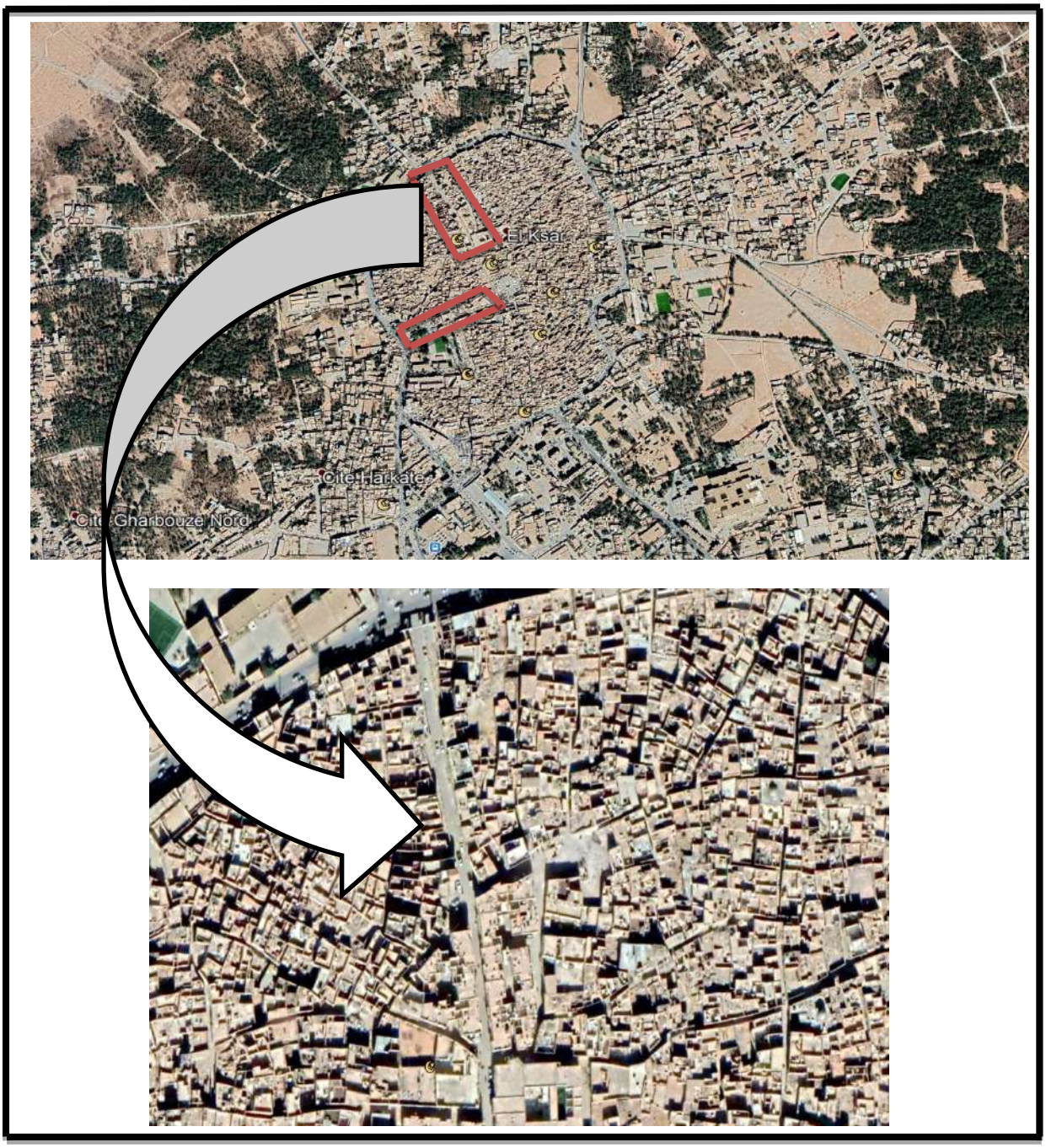

المخطط رقم (05) : استحداث شارع داخل النسيج العمراني للقصر (الفترة الاستعمارية)

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2019/04/05)

إن عمليات التعمير و التهيئة الحديثة التي شهدتها مدينة الواحات في بادئ الأمر ، تعود إلى الوجود الفرنسي في هذه المنطقة واعتبارها مركز عبور إلى الصحراء الكبرى ، فموقعها الاستراتيجي كان له أهمية كبيرة لدى المعماريين و المفكرين الفرنسيين ، نظراً لاعتبارات عديدة خصوصاً أن هذه المنطقة من الصحراء غنية بالمياه المعدنية و كذلك الثروات الطبيعية ، وأيضاً نقطة هامة تربط بين الشمال و الجنوب ، لذلك بدأت فكرة إعمارها بالتجهيزات الحديثة في الفترة الكلونيالية ، وما تجسد ميدانيا هو حي **لاسيليس** (**أنظر الصور 24.25**) الذي يحتوي بنايات متراصة ذات ملامح عصرية مدمجة مع النسيج التقليدي في شكل عمارات ذات طوابق ، سميت بمشروع زهرة الرمال (Fleur de sable) وهو معروف لدى أهل المنطقة لغاية اليوم ، و الذي جاء بعد توسيع شبكة الطرقات لفك العزلة عن مدينة الواحات ، ولعل من أهمها الطريق الرابط بين مدينة ورقلة و منطقة حاسي مسعود ، وكذلك الطريق الطويل الرابط بين قسنطينة من الهضاب العليا ، ليقطع الواحات الصحراوية تقرت ، الوادي ، ورقلة وجانت ليتحول نحو فزان بليبيا "[129] .

[129] المرجع السابق ، ص 18 .

2. أنــماط السكن الصحــراوي بين الخيارات الثقافية و الحتميات الإيكولوجية :

إنطلاقاً من تفكيك معطيات الفاعلين في المجال الحضري الصحراوي في ما يخص تحولات السكن علاقته ببنية الأسرة ، ووقوفنا على العديد من الإحصائيات المقدمة من طرف مديرية السكن و مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء لمدينة ورقلة ، نجد أن هذه الأرقام المتعلقة بتوزيع الحضرية السكنية وتصنيفها إلى مناطق عمرانية رئيسية و مناطق عمرانية ثانوية هي صيرورات دينامية (Dynamique) أوجدها النظام الإجتماعي في تخطيطه للنسيج العمراني الصحراوي كنقطة تشكل مركزية يمكن أن نلاحظها في التجمعات السكنية التقليدية الخاصة بالقصر العتيق ، و أيضاً القصور المفتوحة الخاصة بالبدو بعد تمدنهم ، هذه التكتلات المادية المتراصة و المتماسكة في أجزائها ومكوناتها هي استجابة واضحة لمجموع التراكمات الثقافية و الاجتماعية للإفراد و الجماعات في أنماطها الحياتية وكيفية شغلهم للفضاءات الصحراوية ، هذه الهوية العمرانية التقليدية هي نتاج تداخل الحتميات الإيكولوجية مع أنماط العلاقات الاجتماعية في ضبطها للنسق القرابي الذي يحدد علاقات الجيرة (السكن ، التساكن) ، في تنظيمها للمجال (Organisation de l’espace) عبر تقاطعاته السوسيومجالية المتجانسة.

إن امتداد النسيج العمراني الذي تشهده المدينة الآن في تبايناتها السوسيومجالية (Disparites socio-spatiale) يطرح العديد من المواضيع الهامة في دراستنا لتحولات السكن الصحراوي ، و أثره على بنية الأسرة في ظل عمليات التعبئة و التخطيط الحضري الحديث ، و التنوع السكني الذي أفرزته المدينة في توزيعها للحضيرة السكنية ، وتصنيفها إلى مناطق مبعثرة ، وثانوية ، و رئيسية ، إلا أن هذه الاستراتيجيات الخاصة بالمناطق العمرانية المبعثرة و الثانوية تحظى بالاعتراف لدى الجماعة الاجتماعية المحلية في إعادة تكشيل مونوبول حضري ، " ... وقد ذهب ماكس فيبر إلى أن أهم ما يميز مجموعة سكانية حضرية ، هو وجود المؤسسات التي تحدد العلاقات المميزة

في السلوك الاجتماعي " [130] ، من خلال إعادة تقسيم وتنظيم الأحياء السكنية ذات النسق القرابي ، تتباين فيها الأنماط السكنية وتختلف في أجزائها و مكوناتها عن السكنات التقليدية القديمة .

جدول رقم (07) : توزيع الحضيرة السكنية في مدينة ورقلة

المدينة	مناطق مبعثرة	منطقة عمرانية ثانوية	منطقة عمرانية رئيسية	المجموع
ورقلة	**138**	**5207**	**22483**	27828
الرويسات	**72**	**696**	**8937**	9712

المصدر : مديرية التعمير و الهندسة المعمارية و البناء ولاية ورقلة ، زيارة ميدانية (2018)

1.2. أنـماط السكـن فـي حـوض ورقـلة :

تحتوي المدينة على الكثير من أنماط السكن ، منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث ، و التي تعود دائماً إلى مسألة احتياجات الأفراد ورغباتهم ، وإلى المعنى و الغرض من تلك الرغبات ، و الحاجة إلى وجود عالم آمن يمكن أن يعيش فيه ، ثم الحاجة إلى الإحساس بالتضامن و التماسك الإنساني [131] ، هذا التنوع الفسيفسائي في النسيج العمراني للمدينة هو استجابة لتلك التقاطعات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية مع الموروث الثقافي المادي للأفراد ورؤيتهم للسكن كفضاء مميز في تعبيراته وتجلياته الإيكولوجية الصحراوية ، هذه الجماعات الاجتماعية الفاعلة في المجتمع الحضري الحديث تسلك استراتيجيات متباينة في تشكل الفضاءات العمرانية للمدينة من خلال أنماط سكنية مختلفة ، "... إما أن يتبناها المجتمع أو يرفضها ، وتدخل تحت هذا الصنف العادات الغريبة و الشاذة

[130] بوشناقي بوزيان ، المرجع السابق ، ص 17 .
[131] ميشيل فوكو وآخرون ، التحليل الثقافي ، مرجع سبق ذكره ، ص 168 .

، و المذاهب الفنية الطارئة ، و العناصر الحضرية المستوردة من الخارج كافة "[132] ، خصوصاً بعد التحولات الاجتماعية التي شهدتها مدن الجنوب الجزائري في أواخر القران الماضي ، من بين أنماط السكن التي تزخر بها المدينة نجد نمط السكن التقليدي (القصر العتيق "السكان المحليين" ، بقايا القصور المفتوحة "البدو المتمدنين") ، و نمط السكن الفردي الحضري و السكن الفردي الفاخر (الفيلات) و نمط السكن الجماعي و النصف الجماعي " العمارة " يمكن حصرها في هذا الجدول :

جدول رقم (08) : توضيح نوع السكن عند المجموعات الاجتماعية في مدينة ورقلة

نوع السكن	السكان المحليين "الوراقلة"	البدو المتمدنين	الوافدون الجدد
سكن جماعي + نصف جماعي (العمارة)	12	10	10
سكن أرضي (حضري)	17	12	0
سكن أرضي ذو طوابق (فيلات)	5	7	0
سكن أرضي تقليدي (قديم)	6	1	0
المجموع	40	30	10

المصدر : تحقيق ميداني ، الباحث 2018،201

[132] شاكر مصطفى سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1981 ، ص 42 .

➢ **نمـط السكـن الفـردي التقليدي :**

يمثل هذا النمط بالذات أيقونة تحاكي الواقع الاجتماعي التاريخي للمدينة الصحراوية فهو من المعالم التاريخية المميزة للمدينة وكذا الهوية العمرانية التي تروي مجموعة من القصص القديمة قدم نشأة قصور مدينة ورقلة ، حيث استعمل في بنائها مجموعة من الأدوات الرئيسية البسيطة التي تتمثل في (الماء ، الطين ، الطوب ، الجبس) ، و بعض من الأخشاب لكي تشكل في النهاية تحفة معمارية تتناسب مع المكان و الزمان ، وأيضاً المناخ الصحراوي الذي يتميز بدرجة حرارة عالية صيفاً مع تطاير الرمال التي تشهده مدن الجنوب الجزائري ، كل هذه العوامل الطبيعية أخذت بعين الاعتبار من طرف أفراد المجتمع في طريقة بناء سكناتهم حيث نشاهد ما يثبت ذلك في الكثير من التجمعات السكانية التقليدية القديمة مثل القصر العتيق وبعض الأحياء السكنية في منطقة الرويسات ، حيث نجد شوارع ضيقة ومنعرجة الهدف منها تكسير قوة الرياح وإضعاف سرعتها ، و أيضاً توفير الجو الملائم الأقل حرارة في فصل الصيف .

هذه الهندسة المعمارية الخاصة بتقسيم أجزاء ومكونات النمط السكني التقليدي من الداخل و الخارج تشبه إلى حد كبير الهندسة المعمارية الإسلامية ، وذلك وفق تصميم نموذج يحتوي عدداً من الغرف أغلبها تفتح أبوابها نحو ساحة المسكن حيث يطلق عليها تسمية "الرحبة" أي فناء المنزل هذا الأخير يعتبر مجال يتوسط المسكن والذي يؤدي وظيفية بيئية وهي تهوية المسكن كما تعتبر مكان لمختلف الأنشطة التي تقوم بها ربات البيت ، بالإضافة إلى سطح المنزل الذي يعد المكان المفضل للعيش خاصة خلال فترات ارتفاع درجات الحرارة ، كما تقوم النساء بالغسيل وغيرها من المهام الأخرى في رحبة المنزل ، و الملاحظ يجد أن أغلب السكنات لا تتوفر على النوافذ تفتح للخارج وذلك لأن المسكن هو بمثابة حرمة وستر للعائلة ، لما يملكه من خصوصية اجتماعية ، و ثقافية ، و دينية ، هذا النمط التقليدي من السكن لا يزال من الشواهد الثقافية التي يحتفظ بها بعض الأفراد المجتمع لغاية اليوم ، إما عند المستقرين القدامى وهم القاطنون في القصر العتيق و الامتداد المحيط به ، وكذلك مجموعة البدو المتمدنين

في كل من الرويسات وبني ثور و سعيد عتبة و المخادمة ، قمنا خلال الزيارة الميدانية لبعض أحياء النسيج العمراني التقليدي بمعاينة مورفولوجيا أجزائه ومكوناته الداخلية من وحي الميدان مباشرة .

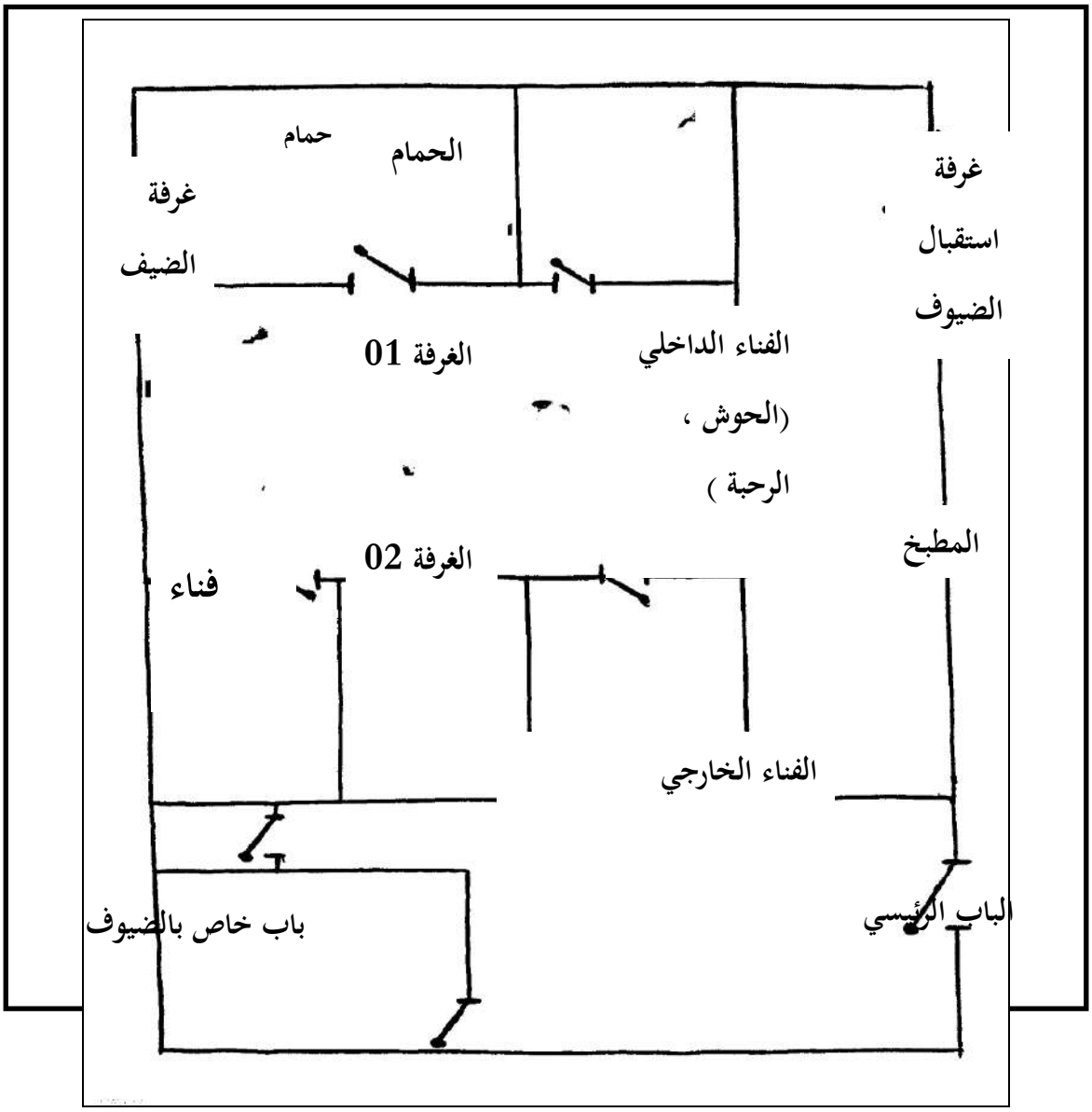

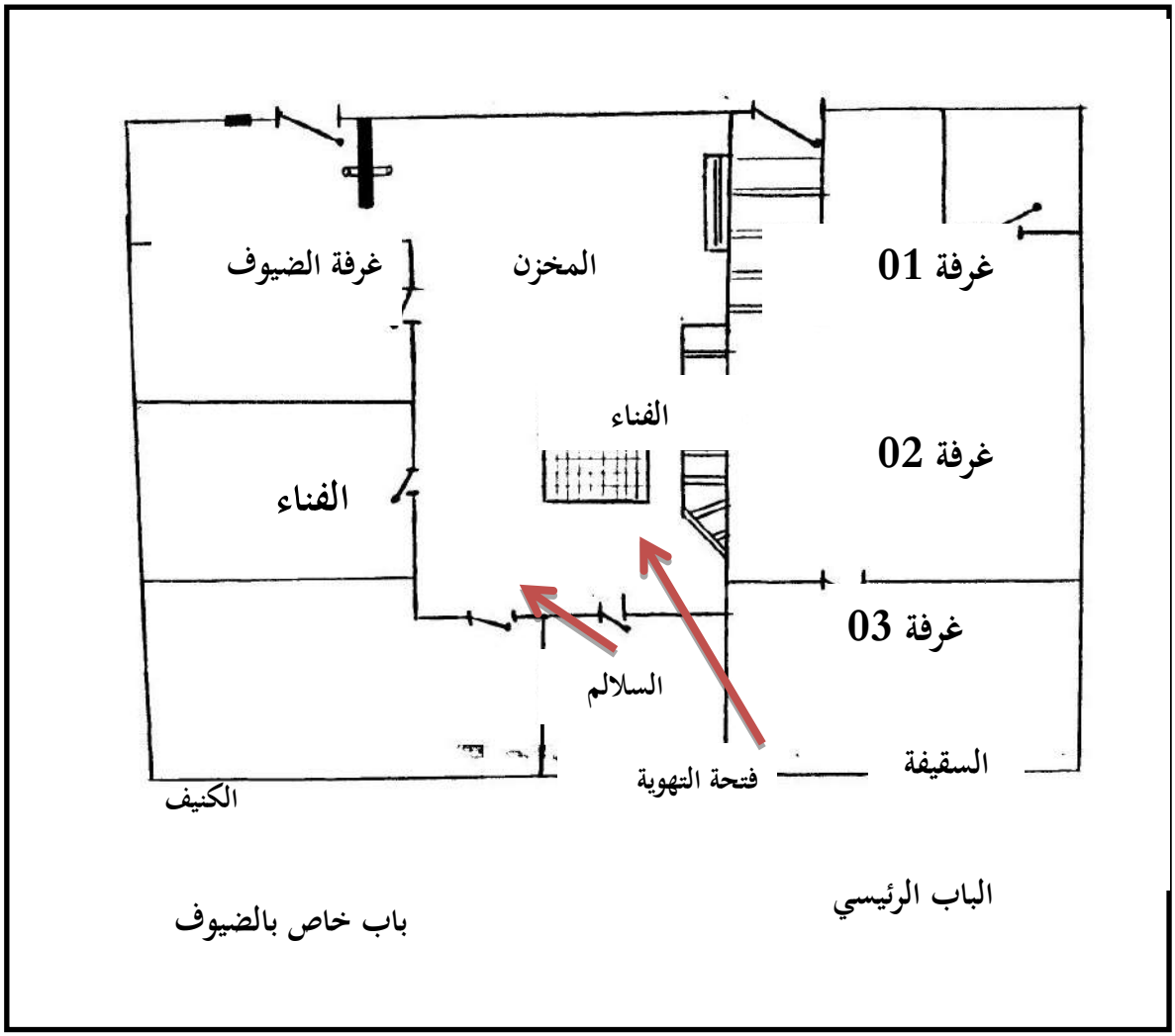

الشكل رقم (05) : نموذج السكن التقليدي عند المستقرين القدامى (القصر العتيق) ، من إنجاز الباحث

➢ **نمـط السكـن الفـردي الحضـري :**

نلاحظ من خلال النسيج العمراني المتباين في المدينة أن هذا النمط الحديث للسكن هو الأكثر شيوعاً ، يخبرنا الفاعلون في المجال الحضري أن هذا النمط السكني بدأ في الانتشار في أواخر القرن الماضي ، خصوصاً بعد تآكل السكنات التقليدية ذات المكونات المحلية البسيطة ، فالتحول من السكن التقليدي الصحراوي إلى نماذج السكنات الحضرية أصبح هاجس يؤرق الكثير من المعماريين المحليين ، و أصحاب مشاريع الهندسة و التخطيط المعماري الخاصة و الحكومية ، نظراً لتداخل مكونات و أجزاء بناء هذه السكنات وتعارضها مع المكونات المحلية التقليدية المستمدة من البيئة الصحراوية (الجبس ، جذوع النخيل ، الطوب) التي تمثل الهوية العمرانية لحوض ورقلة.

هذه النماذج السكنية لا تختلف عن النماذج الموجودة في المدن الشمالية في هندستها الداخلية و الخارجية ، تشترك في مكوناتها و أجزائها مع السكنات الفردية الحضرية الأخرى ، يستخدم في بنائها الإسمنت بدل الجبس و التبنة المحلية و الحديد بدل جذوع النخيل ، و الطوب بدل الحجارة ، وربما أضيف في هيكله الخارجي أنوع من السيراميك و قطع من الآجر الأحمر يطلق عليه إسم "القرمود" وهي قطع مخصصة للتزيين الخارجي ، هذا النمط من السكن يتيح للأسرة بناء العديد من الغرف وفق تصميمات هندسية عصرية و مختلفة ، فهو بالنسبة للأسر الصحراوية مشروع غير مكتمل نظراً للتحولات التي يمكن أن تطرأ على أجزائه في المستقبل بما يتناسب و حجم الأسرة ، فأغلب هذه النماذج السكنية قد تحولت من سكن فردي حضري إلى سكنات حضرية ذات طوابق (**أنظر الصور : 08 ، 27 ، 28 ، 29**) .

➢ **نمــط السكـن الجماعـي و النصف الجماعـي " العمـارة " :**

هذا النمط من السكن الحديث يكتسح الفضاء الصحراوي ويخلق التمايز و التباين في نسيجه العمراني ، يمكن ملاحظته في أحياء المدينة في التقاطعات المجالية لكل من الرويسات و المخادمة و حي النصر على امتداد هوامش المدينة ، غالباً ما يتكون هذا النمط من ثلاث أو أربع طوابق تربط بينهم سلالم في مساحة لا تتجاوز المئة متر مربع ، يوفر هذا النمط الكثير من الراحة لما يحتويه من تطور في كافة الأجهزة الخاصة بالماء و الكهرباء و الغاز ، ، إضافة إلى التنوع في هندسته الداخلية التي تواكب العصرنة و التطور ، أيضاً اختلاف هندسته الخارجية من حيث اللون و طريقة البناء ، هذا النمط من السكن الحديث أوجده واقع التحولات الاقتصادية و السياسية في المدينة بعد الاستقلال .

➢ **نمــط السكـن الفردي الفــاخر (الفيــلات) :**

إن الملاحظ للتنوع المعماري في حوض ورقلة الآن يجد أن أغلب أحياء المدينة تملك كيانات مادية غير متجانسة في نسيجها العمراني ، يمكن أن يجتمع في حي من الأحياء الصحراوية العديد من الأنماط السكنية المختلفة ، فالمدينة الآن تتحول من التشابه في نسيجها العمراني التقليدي "القصر العتيق" إلى التمايز و الاختلاف باختلاف استراتيجيات الأسر و تفاعلها مع الفضاء الصحراوي في أنماطها الحياتها ، هذه التحولات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية أدت إلى خلق نمط سكني حديث وهو نموذج السكن الفاخر"الفيلات" ، هذا النموذج السكني يتميز بتقنيات معمارية حديثة تظهر نوع من الترف و الرفاهية في المستوى المعيشي للأسرة ، يستخدم في بنائه العديد من المكونات منها الإسمنت والطوب و الجبس و الحديد و الخشب وحتى القرميد "الآجر" الذي يستخدم في تزيين الأسقف الخارجية ، و الذي يعتبر بدوره أحد أهم المكونات الحديثة المستخدمة في بناء النماذج السكنية في مدن الصحراء الجزائرية ، لقد أكدت قصور الأغنياء على الفروق بين الطبقات و الفئات ، فنشأت

المدينة ولم تكن الأبنية و النصب الضخمة مجرد شواهد على السلطة و الغنى ، بل أيضاً على متانة البناء[133] لكن الملاحظ هنا يجد غياب الرموز التي تعكس الهوية العمرانية الصحراوية في هذا النمط السكني المعاصر .

الصورة رقم (01) : سكن فردي فاخر (**نموذج الفيلا**) حي الرويسات من تصوير الباحث 2018

[133] يوليوس ليبس ، أصل الأشياء بدايات الثقافة الانسانية ، مرجع سبق ذكره ، ص 18 .

2.2. هندسة الفضاء السكني التقليدي : استراتيجيات الأسرة بين منطق المجال و المجتمع

إن المهتم و الملاحظ للنّسيج العمراني التقليدي في حوض مدينة ورقلة على اختلاف مواقعه ، وشواهده ، التي بقيت حاضرة من حواضر الأنماط الحياتية لسكان الجنوب الجزائري ، في كل من بقايا القصور المفتوحة للبدو المتمدنين و النسيج العمراني للقصر العتيق ، يجد أن هذه التجمعات السكنية التقليدية ليست وليدة اللّحظة ..! و إنما هي نتاج ثقافي ، و اجتماعي ، و اقتصادي ، و إيكولوجي ، مشحونة بتلك التراكمات التي عايشها الإنسان الصحراوي واستطاع من خلالها تجسيد هذه الشواهد العمرانية كتحفة فنية معقدة يصعب فك تفاصيلها الهندسية الدقيقة ، المعبرة عن تلك الحتميات البيئية الصعبة ، في مكوناتها و أجزائها المفتوحة و المغلقة في نفس الوقت ، ولعل هندسة السكن و تقسيمه وفق مجموعة من الفضاءات التي تؤدي كل منها دور بارز تتنوع بين المقدس و المدنس ، يترتب عليها علاقات إجتماعية ينسجها هذا الفضاء بين الساكن و الزائر ، و الساكن و الغريب ، إنها علاقة بين البعد الخارجي و الداخلي ، هي عملية ترجمة لنظام إجتماعي معقد قائم على الترتيب في الأولويات الخاصة و العامة التي يحتويها هذا الفضاء السكني التقليدي كفضاء يتعدى حضوره المادي إلى الإجتماعي و الثقافي و الرمزي ، بما يتضمنه ويوفره من حميمية و أمن وتحقيق الذات و الراحة و غيرها [134].

إن المرور عبر هذه النقاط البحثية الملمة باستراتيجيات الأسرة في هندسة فضائها السكني التقليدي ، نعرّج على بقايا هذه الأجزاء المورفولوجية للمسكن و التعمّق أيضاً في أبعادها الوظيفية من خلال الممارسات و التفاعلات الدّالة على قيمتها الثقافية ، و القيمية ، التي تحتضن ذلك الإرث الاجتماعي للجماعة الاجتماعية في مجالها اللإقاماتي نحو تشكل هذا النسق القرابي الذي يمكن ملاحظته من خلال تداخل النسيج العمراني وتلاصقه كهيكل مادي يعبر في تمظهره على بنية مورفولوجية متشابهة تتكون من سبع أبواب : باب عزي ، باب رابعة ،

[134] نورية سوالمية ، الهادي بووشمة ، الساكن و الفضاء السكني علاقة حميمية مقاربة أنثروولوجية ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 10 ، العدد 02 ، معسكر ، الجزائر ، 2018 ، ص 98.

باب باعمر ، باب أحميد ، باب الربيع ، باب بستان ، باب السلطان[135] ، تتوسط هذه البنى المادية التي يبلغ سمك جدرانها الخارجية حوالي 40 سنتم مجموعة أبواب صغيرة الحجم يتقارب بعضها إلى حد التلاصق ، أخبرنا بعض أهله أن بيوت القصر العتيق تحتوي جميعها على أبواب رئيسية خاصة بأهل البيت و باب فرعي خاص بالضيوف (**أنظر الصور رقم : 12.13**) ، يقود هذا الباب إلى الطابق العلوي حيث توجد غرفة خاصة بالضيوف ويوجد بجانبها "حمام" خاص بالطابق العلوي ، تقول (فتيحة ، **إخبارية**)

" أن هذه الغرفة خاصة بالضيوف فقط حيث تقوم النساء بتنظيفها من حين لأخر و الاعتناء بالتجهيزات الموجودة بداخلها بشكل مستمر"[136]

نلاحظ أيضاً أن هذه الفضاءات السكنية التقليدية الموجودة في القصر العتيق و بعض مباني القصور المفتوحة عند البدو المتمدنين تحتوي على مجموعة من التمظهرات الوظيفية لأجزائها الداخلية و الخارجية ، التي يمكن أن نلاحظها في تعبيرات الفاعلين في هذه الفضاءات السكنية المشحونة بالرمزية حتى يتسنى لنا حصرها واستنطاقها في هذا الجانب في نقاط بحثية قادمة ، لذلك رأينا أهمية وصف هندسة هذه الفضاءات السكنية المميزة في استراتيجيات الأسرة وتكيفها مع المجال الصحراوي :

[135] مقابلة مع إخباري ، نوفمبر 2018
[136] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018

- **المدخل :**

يتميز الطابع الهيكلي للمدخل بوجود باب مصنوع غالباً من جذوع النخيل ، و من الملاحظ أن أبواب البيوت لا تكون بشكل موازي مع بعضها البعض وذلك للحفاظ على حرمة الجار الذي يقابله في المسكن ، كما يحتوي المدخل على عتبة صغيرة يتراوح طولها من **10** إلى **15** سنتم ، لها دور مهم يتمثل في حجب ومنع الأتربة ودخولها من الممر الخارجي ، وكذلك الحماية من العقارب و العناكب في حال وجودها خصوصاً أثناء إدخال البضائع و الحاجيات إلى المنزل ، مثل أعلاف الحيوانات و التمور و غيرها ، إنها تراكمات لخبرات الإنسان وتفاعله مع البيئة الصحراوية ذات المناخ الصعب .

- **السقيفة :**

وهي عبارة عن جدار صغير منخفض يساهم في حماية حرمة البيت أي أنها تحجب الرؤية للأشخاص الموجودون أمام باب البيت بسبب ذلك الإنعطاف لزاوية الدخول وغالباً ما توجد في هذا الجدار (السقيفة) فتحة صغيرة للحوار بين الأشخاص من داخل و خارج البيت ، ومن المعروف أن أصحاب هذه البيوت يتركون الباب الخارجي مفتوح في النهار لغرض التهوية و إنعاش فناء البيت بنسيم الهواء النقي ، أما في الليل فهناك فتحة صغيرة توجد بجانب الباب الخارجي لكل البيوت تقريباً فهي تساهم في دخول و خروج الهواء في الليل بعد غلق الباب الخارجي .

- **الرحبة :**

كما يصطلح تسميتها حسب لهجة السكان وهي عبارة عن فناء يتوسط ساحة البيت ، لها العديد من الوظائف الهامة التي تدخل ضمن النسق البنيوي لأفراد العائلة ، فهي مكان يوفر الهواء و أشعة الشمس باعتبار أن كل المنازل تملك فتوحات كبيرة تربط بين السماء و الرحبة ، وسميت لهذا

الاسم لهدف الترحيب و جمع أفراد العائلة للنقاش و التواصل و الاحتفال في ما بينهم فهي مكان خاص بأفراد العائلة بعيداً عن الحياة الخارجية ، إن تقسيم الفضاء بهذا الشكل له العديد من التمظهرات الوظيفية ، تظهر على مستوى شبكة العلاقات الحميمية بين الأفراد الذين ينتمون إلى هذا البيت ، كما لها دور أخر تستغله النساء في ممارسة نشاطاتها اليومية ، وكذا مراقبة الأطفال حين اللعب و الإستمتاع بأشعة الشمس .

- **الغرف :**

إن ما يشد إهتمام الملاحظ للغرف الموجودة داخل البيوت التقليدية في القصر العتيق لمدينة و رقلة ، هو صغر حجمها و شكلها الهندسي البسيط الذي يكاد يخلو من الزخارف و الزينة ، تلك الحواف بشكل دائري على مستوى جوانب الغرفة ذات الجدران الخشنة تمر هكذا دون وجود نافذة لتهويتها ، إنه ديكور متواضع يحاكي بساطة العيش من جهة ، والدخل الإقتصادي لأصحاب البيوت الذين يمتهنون آن ذاك مهن فلاحية بسيطة بعيدة عن البذخ ورفاهية العيش من جهة أخرى ، غالباً ما يحتوي البيت على غرفتين أو أكثر ، تفتح أبوابها متجهة نحو الرحبة "الفناء" لتسهيل الوصول إلى الفضاءات الأخرى .

- **المطبخ :**

هو عبارة عن مكان مخصص لطهي الطعام يحتل مكانة جد بسيطة في هندسة البيت ، فالمطبخ يمتلك مساحة متواضعة غالباً ما يكون مستطيل الشكل يطل على الفناء (الرحبة) ، يحتوي على موقد في أحد زواياه ، ويراعى في تحديد هذا الموقد مبدأ دفع الضرر وحفظ الجوار وعادة ما يكون المطبخ في الطابق العلوي كفضاء مستقل [137].

[137] نجاة قناطي ، حنان بوناب ، الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية القصر القديم بمدينة الأغواط ، مرجع سبق ذكره ، ص 37.

•السلم (الدروج) :

وهو وسيلة للعبور و الإرتباط ، عبارة على ممر ضيق يتشكل من مجموعة من الأدراج يتراوح طولها من **15** إلى **25** سنتم ، مصنوعة من مكونات بسيطة تعتمد على الحجارة و الجبس ويدخل في تركيبتها أحيانا جذوع النخيل لدعمها و تقويتها ، تقودك مباشرة إلى السطح أو الطابق العلوي ، و غالبا ما يمتلك البيت سلم خاص يقود إلى غرفة الضيوف و سلم خاص بالعائلة للفصل بينهما ، يستند دائما إلى أحد الجدران في زاوية من زوايا البيت .

•السطح (لعلي) :

إنه ذلك المتنفس العائلي و الشخصي ، ذلك الفضاء الذي يمتلك علاقة وطيدة مع مكونات الحياة ، الهواء و الشمس ، له رمزية قوية يرويها لنا سكان البيوت التقليدية في القصر العتيق ، خصوصاً في ليالي الصيف الحارة فهو المكان الوحيد الذي يوفر الإستمتاع بنسمات الهواء الباردة ليلاً ، كما يمتاز بخصوصية التموقع وارتباطه مباشرة بالسماء ، يقع في أعلى البيت له العديد من الأدوار منها السمر و تبادل أطراف الحديث بين أفراد العائلة ، و المكان المناسب للنوم في فصل الصيف ، و كذلك هو فضاء مخصص للنشاطات الأخرى .

•المخزن :

تقريبا كل البيوت لها مخازن خاصة بها ، و هذا نتيجة العمل الفلاحي (النخيل) ، فهي ضرورة حتمية تلبي حاجيات أفراد العائلة ، وهو عبارة على غرفة صغيرة الحجم تودع فيها الكثير من الحاجيات المتعلقة بالأسرة إما أدوات تستخدم في الأنشطة المختلفة أو تخزين أكياس التمور و المؤن الغذائية الأخرى ، واستلامها وقت الحاجة ، بحيث يكون موقع المخزن في مكان معرض للتهوية .

- **الزريبة :**

هي فضاء مخصص لتربية الحيوانات ، تملك الزريبة أهمية كبيرة لدى العائلات التقليدية خصوصاً الفلاحية منها ، فهي تمثل بالنسبة لهم أحد مصادر الحياة الطبيعية ، يستأنس من خلالها الإنسان بالحيوان فينتفع من شحمه ولحمه و حليبه منذ القدم ، حتى أصبحت تحتل مكانة ضمن الشكل الهندسي للمنازل ، وتفرض كذلك تموقعها و خصوصيتها داخل هذا المجال ، وعادة يحتوي على عدد من الماعز أو الأغنام و الدجاج ، رغم الإختلاف في نوعية تربية الحيوانات إلى أن موقع الزريبة (بيت الحيوانات) ، له مكانة معلومة لدى كل العائلات التقليدية .

- **الكنيف (الحمام/المرحاض) :**

هو فضاء مخصص لقضاء الحاجيات البيولوجية لأفراد الأسرة ، يوجد فوق السطح بجانب الزريبة ، وذلك لامتياز هذا المكان بالخصوصية أولاً و التهوية و كذلك التعرض لأشعة الشمس ثانياً ، يتصل مباشرة مع الأرض .

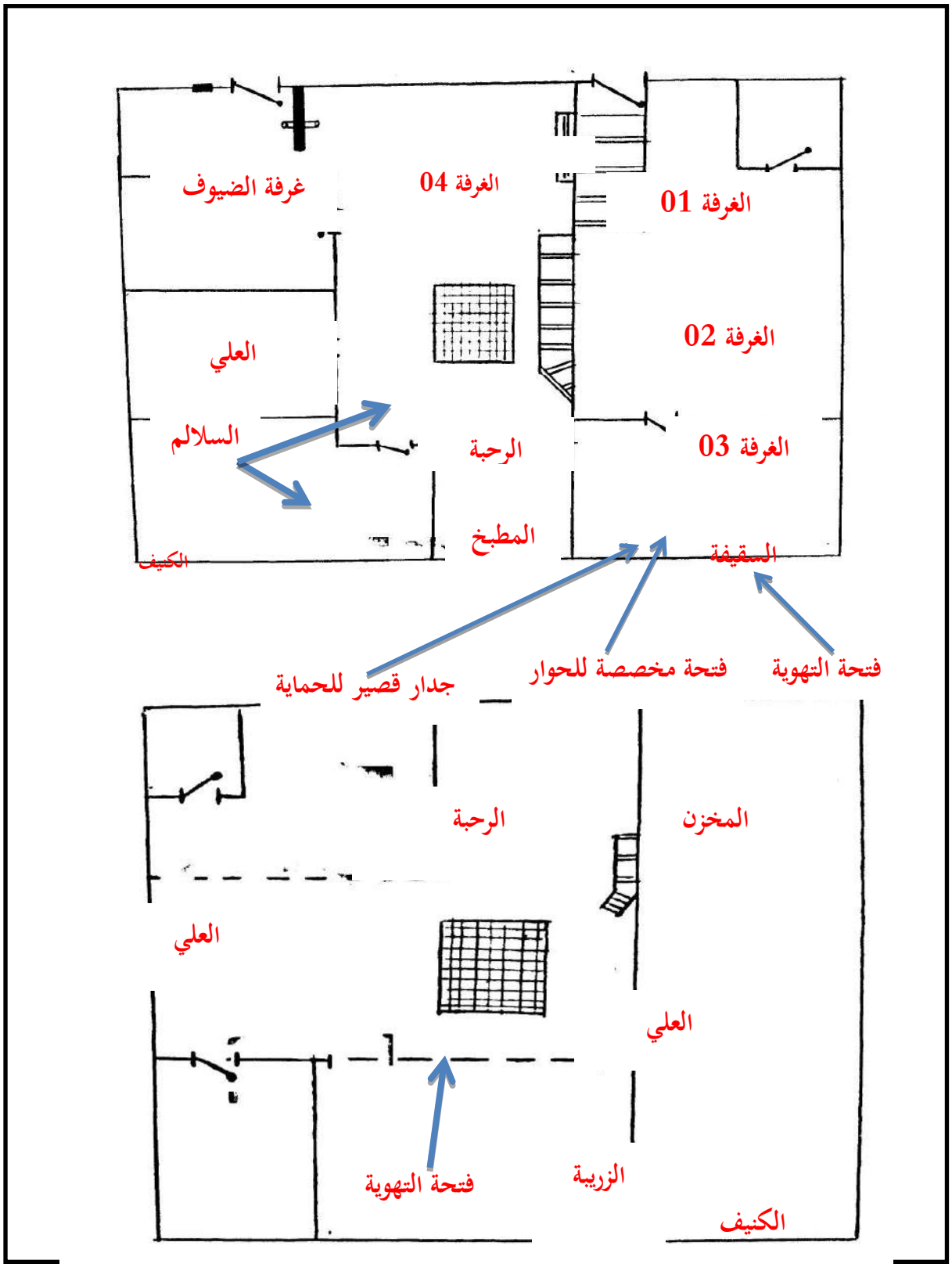

الشكل رقم (06) : يوضح أجزاء السكن الفردي التقليدي لدى المستقرين القدامى "الوراقلة" ، نموذج من السكن في القصر العتيق ، من إنجاز الباحث

3.2. القصور الصحراوية : فضاءات ثقافية و اجتماعية ممـيزة

السكن هو قطعة فنية خاصة لها مميزاتها داخل النسيج العمراني التقليدي الصحراوي في مدينة الواحات ، إنه ذلك الكيان المورفولوجي المادي المرصع بثقافة قاطنيه في كل أجزائه الظاهرة و المخفية ، بل يتعدى ذلك إلى انغماسه في ثنائية الرمز و المخيال ، فالمسكن ليس كيان مورفولوجي أوجده الإنسان عبر حتميات عديدة تتنوع فيه مجالات الهندسة و الابداع الايكولوجي فقط ، بل هو العالم في شكله الصغير بالنسبة له ، ولعل استنطاقنا لواقع التحولات الآنية في السكن داخل هذا الفضاء الصحراوي عبر مرورنا بالتحليل الظاهراتي هو بالفعل نوع من المغامرة البحثية الأنثروبولوجية في حقول التركيبة السكانية المختلفة لهذه المدينة ، كذلك الحضور الضاغط للوافدين إليها وما ترتب عليه من تغذية النسيج العمراني ودفعه إلى الانتقال من النسيج المتشابه و المتجانس نتيجة لظروف ثقافية و إيكولوجية خاصة ، إلى نسيج عمراني متباين وغير واضح المعالم تلبية للتحول من المجتمع التقليدي الزراعي إلى المجتمع الحضري الاستهلاكي .

إن الاهتمام ببقايا الرواسب المادية و التاريخية لمرفولوجيا المسكن التقليدي الصحراوي تقتضي منا التوجه مباشرة إلى القصور ، إلى بعض أجزائها المفتوحة في التقاطعات المجالية للبدو و أخرى بالقرب من وسط المدينة ، قادنا إلى تفاصيلها وحيثياتها مجموعة من الاخباريين و المبحوثين القاطنين في هذه التجمعات العمرانية التقليدية ، لأن الباحث هنا يسعى من أجل الفهم أكثر ، ويفسر السلوكيات خاصة الكلامية منها و يعزز فهمه بأنساق ثقافية أو دينية لبناء تمثلات ذهنية و عامة لهؤلاء[138] ، و الذي من شأنه إثراء البحث و كذلك إزالة الغموض على رمزية الفضاء المادي العمراني في ذهنية قاطنيه ، ومدى انغماسهم في هذه التحولات بعد مسايرتهم لواقع التحضر ، إننا الآن نسعى جاهدين من خلال الكشوفات و الأبحاث و الزيارات الميدانية التي تتيح لنا الإقتراب

[138] Dan Sperder , L'étude anthropologique des repersentations , problémes et perspectives , in les représentations sociales sous la direction de denise jodelet , sociologie d'aujoued'hui puf , Paris , 1989 , P 122.

أكثر من مفاهيم عديدة (**السكن ، الدلالات الرمزية ، قدسي / اجتماعي**) ، متعلقة بالفيزيولوجيا الإجتماعية لمجتمع مدينة ورقلة ، تساعدنا بدورها في فهم القضايا و الظواهر الإجتماعية المختلفة و التي تأخذ أنساق متعددة داخل المجتمعات الإنسانية الصحراوية ، تظهر بوضوح في العلاقات التي تربط الإنسان بمحيطه البيئي و الإجتماعي ، " نعتمد على الهيكل العام للمجتمع وعلى ظروف الحياة ، أي أن فهم الحياة الأسرية يمكن في فهم اتصالها بالظواهر الاجتماعية "[139] ، هنا يتشكل لنا مفهوم أكثر عمقاً وتجذراً في علاقة الفرد بمحيطه ، كيف يتفاعل معه ..؟ .

يبدو أنها علاقة تكاملية بين السماء و الأرض و المياه و الأحجار فهي أقدم أشكال المقدس التي عرفها الإنسان في حياته حسب تفسير ميرسيا لتجليات المقدس الكونيّة (Hiérophanies cosmiques) [140] ، تساهم من خلالها الجماعة الإجتماعية في تجسيد أبنيتها المادية ، في شكل كتل من الوحدات السكنية المتلاصقة و المتقاربة ، تعطي لهذه الهياكل الفيزيولوجية أبعاد سيكولوجية ظاهرية في فهم وتحليل الأنظمة الإجتماعية التي تفصح عنها الأمكنة في وظائف مكوناتها و أجزائها الخارجية و الداخلية ، إنها أنماط حياتية تحتضنها القصور التقليدية ، تتشارك فيها علاقات تذاوتية "...تنطوي تحتها مفاهيم الإيثار ، إنكار الذات ، تبجيل الآخر ، الطيبة[141] ، يعبر عنها المجال في الكثير من الممارسات البسيطة التي تنظمها الجماعة في شكل أدوار آلية منسجمة يشغلها الأفراد في علاقات دائرية بارغماتية ، بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين في تصور مونادولوجي يغذي سلوك الانسان التقليدي ، تتضح داخل النسيج العمراني في السوق و المسجد و الساحة المركزية ، وخارج

[139] B. Malinowski , The Family Among The Australian Aborigines A Sociological Study , Edited Byl .T.Hobhouse And E.A. Westermarck , University Of London , London , 1913, P 06 .

[140] بسّام الجمل ، من الرمز إلى الرمز الديني بحث في المعنى و الوظائف و المقاربات ، مطبعة التفسير الفني بصفاقس ، تونس ، ط1 ، 2007 ، ص 35.

[141] مجاهد عبد الناصر ، مفهوم الغيرية عند هورسل ، مجلة تطوير جامعة الطاهر مولاي سعيدة ، الجزائر ، المجلد 4 ، العدد 4 ، ماي 2017 ، ص 173.

النسيج العمراني في خدمة الواحة و جني محصول التمور ، أما الثانية فهي المقايضة و التي تحدث خارج أسوار القصر ، فالمعارف و القيم و الأخلاق هي ارتباطات ثقافية إيكولوجية مميزة للأنظمة الحياتية التقليدية للأفراد و الجماعات المحلية ، يضبط إيقاعها النظام الإجتماعي في إرثه المحمل بآليات من الصراع و التكيف و التآلف مع الآخر ، ولعل الأجدر بنا التدرج في هذه المفاهيم المتعلقة بالهياكل المادية التي يشغلها الإنسان ويتفاعل معها ، باعتباره مرآة تعكس لنا العديد من التصورات و التجليات في تفسير الأنساق الثقافية و الدينية و السياسية للجماعة الاجتماعية وسيطرتها على البيئة الصحراوية ، فالأنسجة العمرانية في نماذج القصور الصحراوية بالنسبة للإنسان هي بوجه عام أماكن تتعلق بها آماله ومخاوفه ، كذلك تجاربه وتخيلاته ، وليست الأشياء المحيطة به مجرد حقائق فيزيقية واقعة إنها خصائص حياته تصبغها عقليته وتفسرها[142] ، إنها تحيط بصور الأشياء و أشكالها البنيوية المضمرة و الظاهرة ، فالرواسب المادية ليست بقايا جافة يشوبها الغموض ويعتلي صرحها شيئ من الضبابية في تحليل بعض المهتمين بمعماريتها وهندستها ، بل هي تراكمات أقرب منها إلى الذات و الكون "...كما يؤخذ الجسم من نسيج العالم نجد العالم كذلك مصنوع من نفس نسيج الجسم فثمة حركة دائرية من شأنها أن تجعل الطبيعة تتحول إلى جسد[143]، تجسيداً لهوية ثقافية و اجتماعية يرسمها الكيان العمراني بشكل واضح يمكننا من مشاهدته ودراسته وفق هذا التفسير و التحليل في نقاط بحثية قادمة .

[142] ماكيفر شالزبيج ، المجتمع ، تر : علي أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1961 ، ص 235.
[143] موريس ميرلوبونتي ، العين و العقل ، تر : حبيب الشاروني ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 10.

4.2. أنثروبولوجيا المسكن : معـاني ورمـوز

إن المسكن التقليدي الصحراوي ومدلولاته التي تظهر في شكل أنماط حياتية ، ثقافية ، واجتماعية ، ودينية معبرة عن علاقة المجتمع الزراعي بالواحة ، في تجلياتها الطبونيمية التي يمكن مشاهدتها عبر تقنية Google Earth فضاءات مفصحة عن اندماج الواحة بالأنسجة العمرانية ، فالثقافات الزراعية أبدعت ما يمكن أن نسميه دينا كونيا (religion cosmique) ، طالما أن النشاط الديني مركز حول سر مركزي : التجديد الدوري للعالم و إن الكون قد فهم كمؤسسة يجب لها أن تكون مجددة دورياً[144]، هذا التجديد الدوري الذي تمارسه الجماعة الاجتماعية الزراعية في خدمة الواحة هو تعبير واضح يفضي إلى تفسير العلاقة الجدلية المضمرة و الظاهرة بين القصر و الواحة فهما يشتركان في تقاسم الأرض ذاتها ، إنها كما يصفها ميرسيا الياد بالتضامن الصوفي بين الانسان و النبات ، تجد النساء أيضاً مكانة اجتماعية و اقتصادية ودينية لا يمكن إغفال دورها الوظيفي في خدمة الأرض ، يعتقد الكثير من الأهالي أن هناك رابط مشترك بين الأرض و الماء و النساء ، ثالوث مقدس لايمكن تجاهله في هرم النظام الاجتماعي للجماعة الاجتماعية الصحراوية ، ينسج في حيثياتها علاقات تقالب وتصالب وانشباك تحلّ منها تعاريج الخطوط ومفارقات الصمت و التعبير وانشباكات الرؤية و المرئي و الفعل و الانفعال و المظهر و الكينونة[145] ، يمكن أن نقتفي أثر هذه التجليات المقدسة في الأرض و العرض (الشرف) إذا استحضرنا بعض الحكم و الأمثلة الشعبية المتداولة ، نجد أن النساء لهن ارتباط وثيق بالأرض في بقايا تراثهم الثقافي اللامادي ، قصص وحكايات ملحونة تغنيها النساء في العديد من المناسبات الموسمية ، احتفالات باب رابعة ، لالة منصورة ، الزواج و الختان ... ، يرقص لها الرجال بنوع من الاعتراف وتهتز رؤوسهم في حركات تثير الفضول و التساؤل.. ؟ ، عند سماعهم مآثر الأرض و محاسن النساء ، يرى ميرسيا أن خصوبة الأرض هي أيضاً متضامنة بالخصوبة

[144] ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات و الأفكار الدينية ، تر: عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، ط1 ، 1986، ص60.

[145] موريس مورلوبونتي ، المرئي و اللامرئي ، تر: عبد العزيز العيادي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2008 ، ص 10-11.

النسوية ، وبالنتيجة فإن النسوة أصبحنا مسؤولات عن وفرة المحاصيل لأنهن يعرفن سر الخلق [146]، إنها اعترافات ضمنية تفسر هذا الارتباط الوثيق الذي يعقد صلة الثالوث المقدس في مخيالهم وتمثلاتهم للخصوبة .

إن خصوبة الأرض تأخذ أبعاد عميقة في تجديدها الدوري من خلال خدمتها و الاعتناء بها ، نرى في خطاب بعض الفاعلين أن هذا التجديد يهب لسكان الواحة الحياة ، ويهب أيضاً لنسيجها العمراني قوّة للصّمود أكثر في مواجهة شدّة الطبيعة الصحراوية ، إن استمرار خصوبة الأرض يمنحهم وفرة في منتوج التمور كذلك هو الاستمرار في خصوبة النساء فهي أيضاً تمنحهم أفرادا جدد ينشؤون في نظام اجتماعي يحثهم على خدمة الأرض و الواحة ، إن المهتم بأنثروبولوجيا المسكن الصحراوي يجب أن يعرّج دائماً في تحليله على تفسير الدلالات الضمنية الظاهرة و الخفية لهذا الثالوث المهم في عاداتهم وتقاليدهم وارثهم الاجتماعي و الثقافي ، إنها إن صح القول تراكمات لعبقريات الجماعة الاجتماعية التقليدية ، التي ساهمت مجتمعة في هندسة هذه التجمعات التي تتوسط واحات النخيل ، تختلف باختلاف بقائها وشموخها في مجابهة التحديات الإيكولوجية و البشرية الصعبة ، فما نشاهده الآن من هذه اللوحات الفنية المغلقة في القصر العتيق وبعض بقايا رواسب القصور المفتوحة في تقاطعات البدو المتمدنين ، نجد أن هذه الأنسجة العمرانية التقليدية جاءت تلبية للعديد من الحتميات البيئية ، تتداخل في تركيبتها صواميل دينية وثقافية مشحونة بالدلالات الرمزية في مكوناتها و أجزائها ، إنها براديكمات معقدة يصعب فهمها واستجلائها دون مساعدة الفاعلين في انتاجها ، فالتصورات المبدئية ليست كافية في تحليل وتفكيك المعطيات المادية وتجريدها من معانيها ورموزها ، فالأبنية و النصب و الأكواخ لسيت كيانات مادية جوفاء يعيش فيها الانسان ويسكن في فضاءاتها فقط ، بل هي نتاج ضخم تتشارك فيه العديد من التمظهرات الدينية و الثقافية و الإيكولوجية المشحونة بالرمزية ، علاقات تذاوتية بين الذات و الجسد و الكون بقيت عالقة في الذاكرة الجماعية للأفراد في تخطيطهم وهندستهم لهذه الأبنية.

[146] المرجع السابق ، ص 59.

إن تحليلنا لبعض الجزئيات المورفولوجيا للمسكن في القصر العتيق عبر مرورنا من الكلي (Macro) إلى الجزئي (Micro) ، يحيلنا إلى ترتيب فضاءاته المتنوعة حتى نتمكن من محاولة الإحاطة بها من التسلسل الوظيفي الذي تثيره كل من فضاءات العبور و الارتباط و الفضاءات الخاصة بالساكنة و أنفسهم ، و الفضاءات العامة بين الساكنة و الزوار ، مرورا برمزية هذه الأجزاء ووظيفتها داخل الهيكل اللإقاماتي المرصعة بثقافة قاطنيها ، و المحملة بثنائية المقدس و المدنس و المألوف و الغريب ، قبل تشظي هذه المفاهيم في تفرعات الأنسجة العمرانية الحديثة التي تكاد تكون خالية من محتواها القيمي التقليدي ، إن المرور كذلك من التمظهرات الموجودة بين حركات الجسد و التمثلات الرمزية للمسكن الذي يرمز لجسم الانسان ، إذ الغرف تمثيل رمزية الأعضاء و النوافذ معبرة هي الأخرى عن عيون المسكن[147] ، الذي يحيلنا إلى تراتبية فضائه المغلق إنطلاقاً من العتبة الخارجية لما لها من أدوار وظيفية و قدسية مهمة في مخيال أصحابها ، فهي تتجاوز كونها عتبة مادية وظيفتها الفصل بين ما هو داخلي مغلق و ما هو خارجي مفتوح ، إلى عتبة ماورائية تتداخل فيها العلاقة بين الخير و الشر في تجاذبات العالم الغيبي اللامرئي في اعترافاتهم المعلنة و الضمنية السيكولوجية بالفأل الجيد و الفأل السيئ ، "... إذا فالأمر يتعلق بمكان مقدس متجاوز لموضوعية علم الهندسة يمكن أن يفسر كنوع من الاختزال و الترميز للكون الذي يعيش فيه الانسان"[148] ، فالعتبة تملك دلالات صارخة تحتل مكانة واضحة في مجموع العادات و التقاليد ، إنها أساس البيت وقاعدة الحياة التي ينذر في تقديسها تقديم الأضاحي كقربان لها في الممارسات المتجلية في موروثهم الشعبي ، يرى بعض المبحوثين أن إسالة دماء العنز أو الغنم أو الابل في بداية عتبة البيت القديم أو الجديد ، يحظى بقيمة قدسية و رمزية متعارف عليها في إرث الثقافي و الديني ، عندئذ أصبح القربان (Le sacrifice) يطلب من

[147] بسّام الجمل ، المرجع السابق ، ص 34.

[148] عماد صولة ، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار : قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي ، إنسانيات : المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية ، الجزائر ، العدد 28 ، 2005 ، ص 12.

داخل الذات الإنسانية وكانت لهذا التفسير نتائج لا تحصى على الروحانيات[149] ، نوع من التبريرات الميتافيزيقية للجماعة الاجتماعية الصحراوية توحي بوجود كيانات سلطوية لها قدرات خارقة في تحقيق الخير و الشر لأهل البيت ، هذه الممارسات الاجتماعية و الثقافية ذات الطقوس الدينية لازالت حاضرة في سلوكيات الأسر الصحراوية في تفاعلها مع ثنائية المقدس و المدنس .

إن العتبة ليست مجرد فضاء خاص يفصل داخل البيت عن خارجه فقط بل هي معاني كاريزماتية لها خوارقها الضمنية في تفاصيل السعادة أو التعاسة ، يمكن لنا اجتثاثها من أفواه المبحوثين في تحليل خطاباتهم المشفرة و المعقدة ، فالمقدس يتجلى ، يظهر ظهور الشيء يغاير الشيء العادي مغايرة تامة ، وقد اقترحنا لفظ تجلي القداسة (Hiérophanie) للإعراب عن عملية تجلي المقدس"[150] ، ولعل حجم الأبواب له كلام آخر في المخيال الشعبي أيضاً ، فقصر تلك الأبواب له كذلك عدة رموز مفادها التحصين أمام المحيط الخارجي يصعب دخول الغرباء إلى هذا الفضاء السكني الخاص ، إضافة إلى وجود العتبة التي تمنحه شكلاً آخر من الاحترام و التقدير ، و التي بدورها تأخذ مجموعة من الأبعاد السيكولوجية و الإجتماعية المؤيدة لكينونة الباب في ضبطه لحركة البصر و الاتجاه ، تجبر الزائر على رفع القدم ثم المرور و الإنحناء إحتراماً لخصوصية هذا الفضاء السكني و قاطنيه ، لنجد أنفسنا أمام جدار عازل بعد تجاوز عتبة البيت في ركن البيت المظلم الذي يفتقد إلى النور ، ممرات ضيقة وحواجز معقدة في محاولة اجتيازها ، تغذي الفضول لدى الزائرين للاكتشاف ما بعدها يرى **ميرسيا** في هذا الصدد ، أن دلالة المتاهة ووظيفتها تدمجان فكرة الدفاع عن المركز ، أي فضاء نعمل على حمايته من الفضوليين [151] ، فالبيت أو المسكن داخل هذه القصور هو أيضا قطعة فنية لها خصوصياتها ومميزاتها التحصينية ، فالمشاهد لهذه الأجزاء

[149] المرجع السابق ، ص 24.

[150] مرسيا الياد ، المقدس و العادي ، تر: عادل العوا ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،(د.ط)، 2009، ص 51.

[151] Eliad Mircéa , Traité d'histoire des religions , Petite bibliothéque Payot , Paris , 1977 , P 320.

الوظيفية ذات الطابع المورفولوجي الدفاعي يجد أنها مستمدة من الأنظمة المعقدة التي يحتويها الهيكل المادي للقصر في آليات الغلق و التحصين .

بعد تجاوزنا للمتاهة نجد مباشرة الفناء الداخلي للبيت ، هذه المساحة المفتوحة نحو السماء و المفعمة بالحيوية و النور في تجليها للمقدّس ، فوجود السماء في حدّ ذاته كافٍ كي ترمز إلى المتعالي و القوة و الخلود[152] ،إنها تعبيرات صعبة و معقدة مكنتنا البيوت التقليدية من تفكيك بعض مدلولاتها و تحليل سياقاتها الرمزية تزامناً مع تدفق الكثير من المعطيات التي جادت بها أفواه الإخباريين و المبحوثين المنتمين لهذه الفضاءات السكنية في الصحراء .

[152] بسّام الجمل ، المرجع السابق ، ص 35.

3. البعد الهوياتي للسكن في مدينة الواحات :

إن الباحث المتتبع لمختلف الأواصر الإبستيمولوجية في الأنثروبولوجية الحضرية و مدى اقترابها و فهمها للنسيج العمراني في مدينة الواحات "ورقلة" ، يجد أن السكن ليس ذلك الكيان المورفولوجي الذي شكلته بعض العوامل البيئية الخاصة.. !! ، إنما يتعدى ذلك إلى الهوية الرمزية في شكلها المادي ، الذي يتجلى للعيان معبراً على الخلفية الفكرية و الثقافية لقاطنيه ، يضفي على جدرانه الصماء حركية تفاعلية روحية و خصوصية ثقافية و اجتماعية لأفراده ، إنه العالم في شكله الصغير الذي يوفر لساكنيه الأمن و الإستقرار ، وسط مجموعة من العلاقات الحميمية المغلقة في حيزه الداخلي ، معبراً كذلك عن مدى قدرته على احتضان وحفظ خصوصية أفراد الأسرة بين عرصاته الشامخة ، يتجاوب هو الآخر مع دورة حياة الأسرة ليجسد استراتيجياتها المختلفة في التعامل مع المجال العمراني ككل ، من خلال تفاعلات و سلوكيات ذات طابع اقتصادي و اجتماعي يفرزها المخزون الثقافي للأفراد و الجماعات ، بداية من التصميم الهندسي وصولاً إلى شكله المثالي في مخيالهم ومدركاتهم ، إنه يكتسب تلك المرونة و الدينامية في مركباته المادية و الروحية القابلة للتغيير وفق ما يتناسب و متطلبات أفراد الأسرة ، فهو بالنسبة للأنثروبولوجيين نقطة تمركز هامة وواعدة لفهم الذات و العالم في حلقة مورفولوجية منفتحة ومغلقة في نفس الوقت ، إنه شكل من أشكال تعبيرات الهوية الذاتية (**السكن**) و الهوية الجماعية (**الحي** ، **المدينة**).

إن هذا النموذج من السكنات التقليدية التي نشاهدها داخل القصر العتيق ، ما هي إلى نسيج مادي يعبر عن تضافر وتماسك العلاقات الإجتماعية و الثقافية بين أفراد كل من قبيلة (**بني سيسين** ، **بني واقين** ، **بني ابراهيم**) ، يقول الباحث خليفة عبد القادر "... إن العلاقات السلالية لاتزال تحدد المسار العمراني و الفعل الاجتماعي في المدينة وفي الواحات ، التملك و السلطة يمران حتماً عبر الانتماءات القرابية التي لا تزال تشكل الحامي للبنية

الاجتماعية " [153]، و التي تعكس لنا قيمة تواجدهم في ذلك التصميم المشترك ، الذي يملك خصوصية التشابه في جوانبه الجمالية و الشكلية تماشياً مع هذا الفضاء الصحراوي ، و أيضا نماذج بعض السكنات التقليدي الموزعة عبر فضاءات تواجد البدو المتمدنين ، التي بقيت تصارع هي الأخرى مع نسيجها المميز هذا التآكل الذي أفرزه واقع التحضر في كافة تجلياته و أبعاده ، معلناً بداية تشكل الحضرية في الصحراء الجزائرية دون تفكير ابستيمولوجي حي يرافق هذا المرور و التحول من خلال تركيبة البنيات الاجتماعية لهذا المجتمع المميز في خصوصيته وبرديكماته ، ومحاولة فهما وتقصي مدى قبلوها أو رفضها لهذا الانفتاح الغير مسبوق في هذه المدن التي ظلت منعزلة عن نفسها ردحاً من الزمن .

إن الرواسب السوسيومجالية وبعدها الوظيفي دائما ما ينحصر كل منها في نمط خاص يحاكي الحياة الإجتماعية و الإقتصادية لأفراد كل قبيلة ، حيث يتداخل الجانب الاجتماعي مع الجانب الاقتصادي الذي يربط الواحة بالنسيج العمراني في شكل ثنائية متناسقة ومتكاملة في نفس الوقت ، يضمن بقائهم و يجسد انتمائهم و تكتلهم ضمن فضاءات مشترك تحكمها مجموعة من قوانين ، تستمد شرعيتها من موروث السلطة التقليدية داخل الهيكل الاجتماعي ، تسعى من خلالها إلى تعزيز الروابط الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية و الدينية ، في شكل صواميل قرابية متماسكة في نسقها و المتشابكة في مصيرها داخل هذا الفضاء الصحراوي ، فالقبيلة و العشيرة من المصطلحات الآنية الأكثر تداولاً في سلوكيات وتفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض في هذا المجال ، رغم سنوات من التمدن و التحضر إلا أنها تشغل لغاية الآن نموذج من نماذج الأوليغارشية بين تلك الوحدات الإجتماعية في نمط حياتها انطلاقًا من رابطة الدم و القرابة ثم المصاهرة ، إنها كما يصفها ديفيد ماكليلاند ويعبر عنها بحاجة الأشخاص إلى الشعور بإحساس الانضمام ، و الإنتماء للمكان و الهوية المجالية و المحلية المشتركة بين هذه

[153] خليفة عبد القادر ، الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة ورقلة ، العدد الثامن ، جوان 2012 ، ص 05 .

المجموعات الإجتماعية قبل استقرارهم وتمدنهم ، عبر مراحل كثيرة رواها لنا بعض الإخباريون الذين ينتمون إلى مدينة ورقلة في كثير من الجلسات و المقابلات .

إن السير في خضم هذه التحولات في هذه المدينة ومرافقتها منهجيا وميدانيا في ما يتعلق بالسكن وتعبيراته السيميولوجية ، يحيلنا بطبيعة الحال إلى مجموعة الدلالات المادية و الرمزية التي تمكننا من استجداء الكثير من المعطيات المعبر عنها من خلال الفاعلين في المجال الحضري الجديد ، وحنينهم لأنماط الحياة الاجتماعية السابقة وعلاقاتها بأجزاء المسكن التقليدي وامتيازاته الوظيفية التي لازالت تصارع الذوبان في سيل هذه التحولات العمرانية المتسارعة ، هي الطرق التي يتبعها الأفراد لاسترجاع ماضي مجموعاتهم الصغيرة أو ما تخيلوه على أنه حدث حسب ليفي ستروس [154] ، لقد كان لنا نصيب من هذه الملاحظات الميدانية للنسيج العمراني التقليدي في مجموع التقاطعات المختلفة ، عبارة على كيانات مادية بسيطة تتناسق وتتشابه مورفولوجيا في الشكل و اللون ، كأنها تستحضر في مخيلتنا ما قاله غاستون باشلار عن جماليات المكان في وصفه للقضايا الجمالية و الفنية في علاقة البيت بساكنيه و الكون ، يشكل لنا تلك التراتبية البنيوية التي يفصح عنها المجال الصحراوي بكثير من الدقة في الفهم و التأويل ، إن المرور من خلال هذه القراءات الحية للتجمعات السكنية التقليدية داخل الواحة وتحليلها و الاقتراب من أبعادها الدلالية و الرمزية يبن لنا أن هذه التكتلات المادية لها ارتباط ايكولوجي ينسجم في أجزائه مع الفن المعماري الدقيق الذي يراعي في تخطيطه خصوصية تفضي إلى احتواء الأفراد و الجماعات داخلياً ، حيث نجد أن هذه السكنات تفصح لدى الملاحظ حيوية الحياة الاجتماعية في ذلك التشابه المتقن في تصاميمها الخارجية ، والتشابك في أزقتها التي تتفرع إلى مجموعة من الممرات الضيقة و الملتوية ، و التي تعتبر شريان مفعم بالحياة داخل زوايا القصر العتيق ، الذي بقي شامخاً و آهلاً بقاطنيه لغاية يومنا هذا ، مقارنة بالقصور الأخرى

[154] كلود ليفي ستروس ، الأنثروبولوجيا في مواجهة مشاكل العالم الحديث ، تر : رشيد بازي ، المركز الثقافي للكتاب ، ط1 ، المغرب ، 2019 ، ص 33 .

الموزعة في الكثير من الفضاءات الصحراوية القريبة منها قصر تماسين بمدينة تقرت و قصر النقرين في جنوب مدينة تبسة ، لقد رأينا الكثير من الأسر لازالت تعيش في قصر ورقلة العتيق ، رغم تآكل غالبية السكنات التقليدية الصحراوية الخاصة بمجموعة البدو المتمدنين بعد زحف وامتداد نماذج النسيج العمراني الحديث مؤخراً كاستجابة لهذه التحولات ، إنها كما يقول ستروس جماعات تستمد وجودها أولاً وقبل كل شيء من العلاقات الشخصية ، ومن الروابط التي ينسجها الأقرباء و الجيران في ما بينهم [155].

إن الباحث الأنثروبولوجي يمكن له ملاحظة وجود نوع من الذكاء البشري الايكولوجي في الهندسة التي يضفيها المجال الصحراوي في لوحة فنية منفتحة ، يسعى من خلالها إلى تأسيس خطاب مكاني خاص ينصهر في صواميل من الهوية المجالية التي تحدد مدى ارتباطه بالمكان و الزمان ، فاختيار الحجر و الجبس و جذوع النخيل كمواد أساسية هي في حد ذاتها دلالات رمزية تعزز الإنتماء لهذه البيئة الصحراوية ، وفق ما توفره لهم من نمط معيشي و ثقافي خاص ، فالجبس و الطوب و الماء و جذوع النخيل هي مقومات تمنحها الطبيعة للكائن البشري الصحراوي ، لكي يتأقلم مع حرها و قرها و غبارها و أتربتها الموسمية ، إنها ببساطة تهبه الحياة تحت كنفها و حمايتها .

[155] المرجع السابق ، ص 32 .

1.3. الســكن الحديث رهان عقــاري اجتمــاعي و ثقــافي :

إن اقترابنا المنهجي و النظري لمفاهيم السكن وخلفياته الضمنية عبر الكثير من التعريفات و المقاربات المتنوعة ..! تظل قاصرة يشوبها الكثير من الغموض و النقائص المعرفية ، حول ما يتضمنه هذا البناء المادي الدينامي و المتحول في معطياته العديدة والمختلفة باختلاف تفاعله مع استراتيجيات الإنسان من مكان لآخر ومن بيئة إلى أخرى ، لذلك حاولنا القيام بتفعيل أبجديات البحث الأنثروبولوجي في تتبع ميكانزمات تحول السكن في مدن الجنوب الجزائري ، وما ترتب عنها من تغيرات في نسيجها العمراني التقليدي مؤخرًا ، عن طريق توسيع دائرة التحليل الإثنوغرافي معتمدين في ذلك على التقنية الكيفية في الفهم و التأويل ...

إن السكن سواء كان حديثاً أو تقليدياً فهو يمثل هوية قاطنيه ، أي أنه المرآة التي يمكن من خلالها بناء العديد من التصورات التي تحدد الحالة الإجتماعية و الإقتصادية التي تميزهم ، فمراحل التطور و التحول التي شهدها السكن في الآونة الأخيرة في فضاء مدينة ورقلة ، ما هو إلا تعبيرات عن حالة من الأنوميا الإجتماعية نحو إرساء بوادر للتحول و الإنتقال من الحياة البسيطة إلى الحياة المعقدة و الوصول إلى مرحلة المجتمع و الحضرية ، هي إفرازات حتمية التطور الذي غير في بينة الأسرة و أدى إلى تحولات السكن في علاقة جدلية طويلة المدى ، إنها بمثابة دائرة دينامية تحتضن مفاهيم الصهر الثقافي (Assimilation) بين العديد من النخب الإجتماعية في بناء المجال الحضري الحديث في مدينة ورقلة .. !! ، إذا هل هو إنتماء أم إندماج ..؟ ، إن الإجابة على هكذا طرح مهم يتطلب معرفة عميقة بمجموعة النخب الإجتماعية الموزعة في شكل فسيفساء بشرية غير مترامية الجوانب تثبتها التقاطعات المختلفة لكل من السكان المحليين و البدو المتمدنين و الوافدين الجدد في شكل تعددية (Pluralism) توضح العديد من الإختلافات في الممارسات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية ، التي يتشكل من خلالها نمط النسيج العمراني ويتمايز في أجزائه و مكوناته .

إن تحولات السكن هي ترجمة لتلك العلاقة الجدلية البنيوية بينه وبين الأسرة الصحراوية ، أي أن السكن يتأثر ببنية الأسرة وكذلك الأسرة تتأثر هي الأخرى بتحولات السكن ، خصوصاً بعد تراجع نماذج الأسر الممتدة و بداية اضمحلالها في المجتمع الورقلي ، إننا الآن نشهد تراجع هذا النموذج من الأسر التي كانت بالأمس القريب رأسمال بشري اقتصادي واجتماعي داخل كل قبيلة من هذه القبائل التي تستوطن الصحراء ، إنها بمثابة تكتلات اجتماعية تنظمها ضوابط السلطة التقليدية و التي تثمن هذا النموذج من بنية الأسرة ، فارتباط الأسرة الصحراوية بالواحة لدى مجموعة السكان المحليين وكذلك ارتباطها بالرعي و الترحال لدى مجموعة البدو هو دليل واضح المعالم يبين لنا نمط حياتهم التقليدية .

2.3. جدلية الأسرة و السكن : بداية التمايز الإجتماعي

إن التحولات الإقتصادية التي فرضتها عوامل الشغل داخل مدينة الواحات خصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين ، أدت إلى احداث شرخ في نظامهم الإقتصادي التقليدي الذي كانت تمارسه الجماعات الإجتماعية وتعوّل عليه كثيراً في نمط عيشها واستقرارها منذ زمن بعيد ، فالتحولات التي شهدتها الفترة الأخيرة أثّرت على البنية المورفولوجية المادية للنسيج العمراني ، مع بداية ظهور التمايز الطبقي (renciation de Différclasse) نتيجة فوارق المكانة الإجتماعية (Social status) بين الأفراد و الجماعات داخل النسق الإجتماعي الصحراوي ، إن التحولات التي يمر بها السكن في مدينة ورقلة يرجعه فيبر إلى التباين الإقتصادي الذي يفرضه سوق العمل ، حيث يعتبر أن هذا التباين هو الذي يحدد العلاقات الطبقية بين الأفراد اجتماعياً واقتصادياً ، و التي كانت في ما مضى غير واضحة في دلالاتها الاقتصادية داخل نسيجهم العمراني التقليدي ، التي كانت تنص على احترام مميزات الطابع الإيكولوجي للسكن داخل النسق الإجتماعي ، لاعتبارات مورفولوجية مادية تعبر عن هوية أصحابها ومكانتهم الإجتماعية و الإقتصادية في نظامهم الإجتماعي ، يقول ابن خلدون "... اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله و الابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي"[156] ، لذلك لا يمكن أن تلاحظ وجود تلك الفوارق في تدرجهم الاجتماعي و الاقتصادي من خلال المعطيات الدلالية للسكن ، مثلما نلاحظه الآن في نسيجهم الحديث و المتباين في أجزائه و مركباته ، فالتفسير الأنثروبولوجي لتغير نمط السكن وتحوله داخل النسيج العمراني التقليدي ، ما هو إلا إعادة ترتيب مكانة الأفراد إجتماعياً ، لذلك نعتبر أن السكن ليس بناء مادي فقط إنما هو بطاقة لهوية لقاطنيه ..!!

[156] عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، (د ، ط) ، بيروت ، ص 92 .

إن السكن ضرورة دينامية و حتمية للإستقرار حيث يسعى الأفراد إلى تحسينه و تعديله باستمرار لأنه يمثل لهم العالم في شكله الصغير الذي يحتضن بين عرصاته كل تلك التفاعلات و السلوكيات الحميمية بين أفراد الأسرة ليشمل كذلك القبيلة و العشيرة في حيزها الواسع المتمثل في امتداد قرابة الدم و المصاهرة ، إنها مجموعة من التفاعلات التي يحتويها المجال الصحراوي بعد انفتاحه على الثقافات الأخرى المتنوعة ، والتي كانت سبباً في استقطاب العديد من النماذج و التصميمات الهندسية المختلفة عن الهوية المجالية الصحراوية ، انطلاقاً من مجموع الاحتياجات الحضرية وصولاً إلى تحقيق الكماليات الأكثر مثالية في نموذج السكن باعتباره أيقونة الهوية المجالية الجديدة في مدينة الواحات ، و التي نجدها في شكل نمط الفيلات و السكنات الفخمة التي تتوزع على الفضاء المادي ككل ، ترتبط وتتشابك في طبونيميا أماكينية خاصة باستقرار هذه المجموعات الاجتماعية في شكل تقاطعات مختلفة داخل النسيج العمراني لكل من بني ثور و الرويسات و المخادمة و سعيد عتبة ، ومما يثير الدهشة أيضاً رؤية بعض هذه النماذج السكنية وهي تجتاح أروقة القصر العتيق لتخلق ذلك التمايز بين ما هو معاصر وما هو تقليدي في نسيجه المتداخل و المتباين ، هذا التمايز في السكن هو بالضرورة تمهيد للتمايز الطبقي بين النخب الاجتماعية وظهور الطبقة البرجوازية و البروليتارية مع بعضهما في المجال الحضري الجديد في شكله الغير متناسق ، حيث يقول (مصطفى ، مبحوث) رب أسرة مكونة من سبعة أشخاص له سكن أرضي بنموذج عصري في منطقة بوعامر ، عامل في قطاع التربية و التعليم :

" ...الطابع المعماري القديم في مدينة الواحات له مميزات ايكولوجية خاصة ، بحيث يتناسب مع مناخ الصحراء الحار صيفاً و البارد ليلا في الشتاء ، كذلك هو التصميم الهندسي الذي تتميز به السكنات التقليدية لدى البدو المتمدنين و السكان المحليين "القصر العتيق " فهو نسيج عمراني متكامل ومتراص يغلب عليه التشابه في أجزائه الداخلية ومكوناته الخارجية ، يوحي لك بعدم وجود التمايز الطبقي بين أفراده فالكل يتشاركون في نفس العمل سواء ما تعلق بجني التمور و الاعتناء بالنخيل أو ممارسة التجارة

عبر القوافل التي تجوب هوامش الصحراء ، أما الآن نجد أن هناك تحولات على مستوى النشاط الاقتصادي الذي أثر على تحول النسيج العمراني تدريجياً من التمايز إلى الاختلاف "[157].

إن تصميم السكن و تغيّره في مدينة الواحات إما من ناحية الترميم الجزئي أو إعادة هيكلته بالكامل في حلته المغايرة و المختلفة عن الفن الإيكولوجي المميز لسكان الجنوب ، ما هو إلا امتداد لتغير الأدوار التي يشغلها الأفراد و الجماعات في ظل التحولات الإقتصادية الجديدة ، واندماجهم في مجموع الوظائف الجديدة التي يفرضها عالم الشغل معلناً بداية التدرج الإجتماعي من جهة ، و بداية التمايز الطبقي من جهة أخرى ، بعد الانتقال من ممارسة الأنشطة التقليدية مثل زراعة النخيل و جني التمور لدى السكان المحليين ، كذلك تربية الحيوانات و ممارسة تجارة القوافل لدى البدو قبل وبعد تمدنهم ، لتظهر لنا هذه الفوارق التي تسعى إلى بناء مجتمع له رؤية مختلفة تتناسق مع تطلعاته وطموحاته في محيطه الحضري الجديد ، فتحولات السكن هي بالضرورة تحولات في الأدوار التي تشغلها المجموعات الإجتماعية في تضامنها العضوي وتفاعلها مع الكومونات الاقتصادية التي تقرّها المدينة وتعترف بها داخل روابطها الاجتماعية الحديثة .

[157] مقابلة مع مبحوث ، نوفمبر 2018

3.3. المجال الحضري و المجتمع : رهانات اقتصادية واجتماعية

إن المجال الحضري في الصحراء الجزائرية هو بمثابة عنوان لمرحلة جديدة مليئة بالرهانات المتنوعة التي يفرضها واقع التحول ما بعد الاستقلال ، هذه المورفولوجيا المادية التي انتجتها ثقافة الفاعلين في المجتمع عبر العديد من التراكمات الايكولوجية الحتمية و الاختيارية الثقافية المتنوعة ، تعطي لنا بعداً أعمق من تحليلاتها الظاهراتية ، فتشظي هذه الجزئيات من النسيج التقليدي وكذلك تحولات بنية الأسرة وبحثها عن مساكن مستقلة ، هو مؤشر لتحول نمط الحياة الاجتماعية التقليدية تمهيدا لظهور مجتمع يقوم على أنقاض هياكل القوانين التقليدية و العرفية للجماعات الاجتماعية (**قبائل ، عشائر**) ، في شغلها للفضاء الصحراوي الجديد فهي تمد الفاعلين بمعان لأفعالهم ، وتضبط إيقاع الحياة الاجتماعية و الحياة الداخلية "[158]، إن مرافقة هذه التحولات تستلزم من الباحث براديكما يمكن لها استحضار تلك الوقائع البعيدة و التي من خلالها يمكن لنا تفسير هذه الأحداث الرّاهنة وفهم تجلياتها في هذا الجزء الخاص بنمط حياة المجتمعات الصحراوية في مدينة ورقلة بالضبط .

ربما يتساءل البعض عن هذه الفسيفساء في التركيبة البشرية لمدينة ورقلة ، هذه التقاطعات المختلفة باختلاف الفاعلين فيها ، إنها ببساطة واركلان مدينة الحضارة الضاربة في عمق جذور التاريخ البشري بكل حيثياته ، إنها مدينة القصور المنحوتة في شكلها الفني الطلق ، التي أوجدها وتفاعل معها سكان الجنوب الجزائري منذ القدم في كل من جدرانها و أزقتها و أبراجها ، لتعبر عن هويتهم وثقافتهم ونمط عيشهم وتعايشهم مع هذه الصحراء القاحلة و الوعرة ، إنها تحفة قصر ورقلة العتيق وبعض السكنات الموزعة عبر هذا الفضاء الصحراوي المميز ، إنها ترجمة ثقافية إيكولوجية تصف لنا عبقرية الإنسان القديم الذي عاش في الصحراء وهوامشها بعد أن ألف حرّها و قرّها ، وتعايش معها ليومنا هذا في نقاط مجالية متعددة تبين لنا التقاء الثقافات و تقاطعها في تلك الفضاءات (

[158] جيامبيترو جوبو ، إجراء البحث الإثنوغرافي ، تر: محمد رشدي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2014 ، ص 337 .

الواحة ، النسيج العمراني) ، من خلال الكثير من الممارسات التي تبدو بغاية الوضوح في كل من قصرها العتيق ، الذي تجتمع فيه قبائل بني سيسين و بني واقين و بني ابراهيم كجسد واحد يتقاسمون مصيرهم المشترك داخل و خارج أسواره ، لتمتد هذه التقاطعات إلى أماكن استقرار البدو بعد تمدنهم في كل من **بني ثور**، و **رويسات** ، و **المخادمة** ، **وسعيد عتبة** ، إنها نماذج سكنية لازالت مفعمة بالحيوية و النشاط ، تصارع من أجل البقاء ، ثابتة في مخيال قاطنيها قبل وبعد انغماسهم في ركب الانفتاح و التطور، فبرغم من هذا الاستحضار التقليدي المقتضب لنمط حياة هذه المجموعات الاجتماعية ، لم تعد تعطي في تجلياتها تلك الصورة النمطية الموجودة في مخيلتنا وذاكرتنا عن نمط الحياة الصحراوية ، إنها عالم مغاير ؟ ، واقع جديد حتميات جديدة ، نسيج عمراني وبشري مختلف..! ، يرسم لنا صورة أنماط حياتية حديثة واضحة المعالم تتجلى في تصوراتها للعيان .

إن تغير نمط السكن خصوصا في الفترة ما بعد الإستقلال في النصف الثاني من القرن العشرين ، تزامنا مع اكتشاف مصادر الطاقة المتنوعة التي تزخر بها الصحراء ، والتي أصبحت تمثل كومونات اقتصادية تساهم في خلق أشكال الاتصال و التواصل عبر الآليات التكنولوجية المختلفة ، كذلك التغيرات على مستوى طبيعة البيئة الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية للجماعات الاجتماعية المختلفة ، هي من بين العوامل المغذية لهذه التحولات السريعة التي كان لها أثر واضح في تغير شريان النشاط الزراعي المعهود لسكان الواحة ، و حثهم على ضرورة الإنتقال من ممارسة زراعة النخيل و تجارة التمور وتربية الحيوانات ، إلى الاندماج في الأنشطة الحضرية الحديثة الأكثر مرونة و الأقل جهداً ووقتاً من نشاطاتهم التقليدية ، حيث يرى رولف زيغلر أن الوضع الاستراتيجي للتفاعل عبر حوافز التجارة ، هي في حد ذاتها نوع من آليات التفاعل "[159] بين الأفراد و الجماعات ، كل هذه التحولات ساهمت في خلق ودفع شحنات متسارعة ومكثفة تعمد إلى تدوير باكورة التنمية المستدامة التي مست

[159] Rolf Ziegler , The Kula Ring , of Bronislaw Malinowski " A Simulation Model of the Evolution of an Economic and Ceremonial Exchange System " , Bayerische Akademie der Wissenschaften , Germany , 2007 , p 06

أرضية الأنسجة العمرانية التقليدية ، لتخلق مفاهيم متعددة تسوغها التحولات المجالية حيث تصبح الأسرة الصحراوية عنصرًا بارزًا في هذه التحولات كنوع من استراتيجيات إعادة الاستقرار و التمدن ، عبر استحداث مجموعة من الفضاءات الجديدة داخل تلك التقاطعات الخاصة بالواحة ، إننا اليوم نرى زحف هذا النسيج المحمل بترسانة معمارية ضخمة يقتحم أماكن تواجد السكان المحليين وأيضاً أماكن القبائل البدوية المستقرة في الأحياء الكبرى لمدينة ورقلة .

إن إعادة ترتيب أجزاء المسكن له بعد دينامي و اقتصادي في مجموع تلك الفضاءات التي كانت تشغل وظائف حيوية للإرتباط و العبور ، فكل نظام اجتماعي فرعي ، يعتمد على الآخر في إشباع حاجاته و أداء وظائفه ، ومن ثم فإن كل الأشكال ومظاهر النظم الاجتماعية ، هي مترابطة في ما بينها وظيفياً[160] ، في تعبيراتها الطبونيمية المكانية التي تفسح المجال العام للإلتقاء وممارسة العادات و التقاليد مع الجماعة الإجتماعية القرابية ، لتصبح اليوم ملاذ اقتصادي يسيل لعاب الفاعلين في المجال الحضري الجديد ، بعد توسيع شبكة الطروقات وانفتاحها على الأحياء الأخرى .

[160] علي حسن الصغير ، التوافق البنيوي بين النسق القرابي و المجال العمراني قصر ورقلة ، مرجع سبق ذكره ، ص 132.

4.3. "العمـارة" تحولات حتمية بين الرفـض و القـبول :

لاشك أن هذا العنوان يحمل في طياته الكثير من الغموض ، رغم ما يشوبه من تناقضات صارخة ، تحيل القارئ إلى الكثير من المفاهيم المتداخلة و التساؤلات المتشعبة في مجموع الأفكار و التصورات ، كيف يمكن أن تصبح العمارة واجهة ثقافية معمارية مميزة لمدن جنوبنا الكبير ..؟؟ ، إن مثل هذه التساؤلات تحيلنا إلى تتبع ومسايرة بعض المراحل الزمنية قبل وبعد هذه التحولات في المدن الصحراوية ، لذلك نحن نقف الآن وقفة تأمل أنثروبولوجية في العديد من زوايا الثقافة المعمارية في مدن الجنوب باعتبارها همزة وصل بينها وبين قاطنيها ، بين ذلك الماضي البعيد الذي بقي عالقاً في الكثير من رواسبه المادية ، وبين هذا الحاضر الدينامي في أشكاله وتحدياته ومفرزاته ، نستحضر في هذا الصدد قول **براندون دي لوندي** "... يجب أن يكون الشخص قادرًا على إلقاء نظرة على فضائه المادي في جماليات المجال كقطعة فنية "[161] ، إنها بالفعل حلقة تستحق التأمل باعتبارها حتمية مرجعية كرونولوجية تمكننا من فهم العمق الثقافي لمدينة الواحات (ورقلة).

هل يمكن أن نعطي لمثل هذه المفاهيم المرنة و المتعلقة بالتحولات المتسارعة بعد ابستيمولوجي يضع مدن الجنوب في ضوء هذه التحديات الرّاهنة التي تمهد لها الطريق نحو الاندماج و التحضر .. ! ، في خضم العديد من التراكمات الثقافية و الاجتماعية الهامّة ، و التي كانت بالأمس القريب أحد أهم الركائز المتعلقة باستراتيجياتها التي تنتجها و يتفاعل معها الأفراد و الجماعات ، في سلوكيات حياتية خاصة داخل فضائهم المميز في تعابيره وحضوره و تجلياته ما قبل الحضرية ، إنها بالفعل صيرورة يجب علينا كباحثين أن نقف على جوانبها المتعددة و المتشعّبة في نفس الوقت ، أي أنها مسايرة لحجم هذه التحولات ومدى إدراكها وتقبلها عند هذه الجماعة الاجتماعية التي تعيش في الصحراء (**بدو متمدنين ، أنصاف البدو ، سكان محليين**) ، بعد أن استفاضت بها سياسة التعبئة الحضرية وسارعت نحو إرساء تخطيطات عمرانية مغايرة ، يمليها التحول ويتحكم في جزيئاتها البسيطة و المعقدة في

[161] Brandon D. Lundy , The Art of Anthropology The Anthropology of Art , Newfound Press THE University Of Tennessee Libraries , Knoxville , Virginia , 2011, P02

آن واحد داخل بنائهم الاجتماعي ، إنها بالفعل مسايرة ظاهراتية للبراديغم الخاص بالبنيات الاجتماعية التي تستحق منا التأمل من مختلف زواياها مرورًا باشكالية الهوية الثقافية و الإيكولوجية وعلاقتهما بالمجال الصحراوي ككل ، ولعلنا في هذا المقام نعرج على إعادة فهم ديناميات النسيج العمراني وتحولاته في مدينة ورقلة بعد انفتاحها على باقي المدن الجزائرية الأخرى ، بعد إعادة هيكلة و تشكيل المدينة بمتطلباتها الحضرية و البعث على تجسيد مشاريع التنمية المستدامة توازناً مع تطور وتنوع النشاطات الفلاحية و التجارية في المدينة ، وكذلك نمو و تأثير العديد من الشركات و المؤسسات الحكومية و الخاصة و التي أتاحت بدورها الكثير من الفرص لاستقطاب اليد العاملة من داخل وخارج المدينة ، باعتبارها قطب جاذب يحقق للكثير من الأفراد مجموعة من مشاريع المربحة في ظل هذا التشكل المجالي و الانفتاح الحضري .

إن هذه الحتميات الاقتصادية الآنية رهان عقاري واجتماعي بامتياز ، يحقق للمدينة بعدا استراتيجيًا في كافة مجالاتها التنموية ، إلا أن هذه المجالات يجب أن تحظى بالكثير من الدراسات الاستشرافية التي تحقق نوعًا من التوازن في ما يتعلق بنمط الحياة الاجتماعية و كذلك البعد الإيكولوجي المميز لهذه المدن الصحراوية ، و العمل على مراعاة جوانب تحولات نسيجها العمراني نتيجة النمو الديمغرافي السريع ، ومسايرة الحضور الضاغط للوافدين الجدد الذين يتوزعون في فضاءات المدينة المختلفة (الخفجي ، سكرة ، الرويسات ، بني ثور ، بامنديل ، بوعامر ، غربوز ... إلخ) ، هذه النخب الاجتماعية الجديدة تشغل العديد من الوظائف والمهن المتنوعة في المدينة ، مما ساعدهم على بناء استراتيجية محاولة الاستقرار أولاً ، ثم بعد ذلك تجسيد هذه المحاولة بشكل نهائي عبر العديد من المراحل في عملية استقرارهم ، هذا النمو المتزايد في مدينة الواحات ساهم في ظهور أحياء جديدة ذات طابع حديث و مستورد من المدن الشمالية ، فالتحول في النسيج العمراني الصحراوي خصوصًا في نواته المركزية المتعلقة بالسكن ، هو بالفعل تحول من الحتميات البيئية التي كانت لها رؤية واضحة ومتجذرة يستقيها الأفراد في بنائهم للسكن ومن ثم توسيع نموه في شكل نسيج يكفل نظامهم الاجتماعي و نسقهم القرابي كوحدة متراصة من

العلاقات التراتبية المتبادلة بينهم تحت وصاية السلطة التقليدية ، من الجانب الآخر تظهر عبقرية الإنسان الذي عاش في الصحراء وعلم كيف يتعايش معها ليكتسب هندسة خاصة بفضائه ويحاول بعث روح الحميمية في تلك الكيانات المادية المتعلقة بمجالات العبور و الارتباط داخل وخارج السكن ليتفاعل مع محيط يوفر له الحماية من الآخر المجهول (**إنسان ، حيوان**) ، دون إغفال الهندسة الذكية في التعايش مع التقلبات الطبيعة الصحراوية في فصولها الأربعة (**الرياح ، الأتربة ، درجات الحرارة المرتفعة ... إلخ**) ، لنرى الآن ذوبان هذه الحتمية الإيكولوجية المتوارثة في ثقافتهم السوسيومجالية ، لتقوم على أنقاض هذه الأخيرة مجموعة من الاختيارات الثقافية المبنية على الانفتاح والتلاقح مع الثقافات الأخرى ، نتيجة التحولات التي أفرزها التطور الرهيب في التكنولوجيا و أدواتها و انتشارها في أغلب النّقاط البعيدة من العالم ، إن هذه الاختيارات هي المحرك الأساسي الذي يجب أن نعنى به كأنثروبولوجيين في دراستنا لهذا الموضوع ، فالتغير الملحوظ في نمط السكنات و الأحياء رغم تطورها وامتلاكها لمقومات الرفاهية التكنولوجية لا يمكن لها أن تغيّب هذا المناخ الصحراوي كبيئة حتمية قاسية لها مميزاتها وتأثيراتها داخل المجال العمراني بشكل عام .

من الملفت للإنتباه أثناء زيارتنا الميدانية للعديد من الأحياء الجديدة و حتى القديمة وجود ترسانة ضخمة من السكنات العمودية كأحد أهم البرامج والمشاريع الخاصة بالتعبئة الحضرية في مدينة ورقلة والتي تنتهجها مديريات السكن و التهيئة و التعمير منذ أواخر القرن 20 م في مدن الجنوب الجزائري ، حيث نجد أكثر من 24495 وحدة سكنية موزعة في مدينة ورقلة بمختلف أنواعها منذ سنة 2005 إلى غاية الآن ، تتوزع على كل من السكن العمومي الايجاري و السكن الاجتماعي التساهمي و الترقوي المدعم و الترقوي العمومي و البيع بالإيجار و الإلزامـي ، و أيضاً هناك 10068 وحدة سكنية في طور الانجاز وموزعة على الأحياء الجديدة و القديمة في

مدينة الواحات[162] ، هنا يمكن لنا أن نطرح العديد من التساؤلات السوسيوأنثروبولوجية و السوسيومجالية في نفس الوقت ، هل يمكن أن يصبح هذا النمط الجديد من نماذج السكنات العمودية هو النسيج العمراني المميز لمدن الجنوب ما بعد الحضرية ..؟

يبدو أن هذه النماذج من السكنات يمكن أن تصبح رائدة في مدن الشمال الجزائري نظرا لاعتبارات عديدة أهمها ضيق المساحات المتوفرة للبناء ، كذلك طبيعة التضاريس الخاصة ببعض المدن التي تحيط بها الجبال من كل جانب بحيث تقل فيها الفضاءات الفارغة المخصصة للبناء و التعمير ، هنا يصبح هذا النمط من السكنات العمودية هو الخيار الأمثل كنوع من استراتيجيات التعبئة الذكيّة ، لاستغلال هذه الفضاءات الفارغة وتوفيرها عكس أنماط السكنات الأفقية التي تجتاح الفضاءات بشكل أفقي ، إلا أننا الآن نلاحظ أن هذه الاستراتيجيات و التخطيطات العمرانية الخاصة و المميزة لمدن الشمال تحاول أن تمد جسورها لتصل لعمق الصحراء ..! ، هذا الإسقاط العمراني هو نوع من الإجحاف في فهم البعد النفسي ، و الثقافي ، و الإجتماعي ، لهذا الإنسان المختلف في خصوصية أنماطه الحياتية في تعامله مع الفضاء الصحراوي ، ليجد نفسه مجبراً على اتخاذ مجموعة من القرارات الصعبة في تقبل سلوكيات حضرية مختلفة ، تحتضنها هذه النماذج السكنية العمودية التي يبدو عليها الإختلاف في الألوان الخارجية فقط (**أنظر الصور رقم : 22.23**) .

[162] مديرية السكن لولاية ورقلة ، زيارة ميدانية سنة 2019

إن أغلب المبحوثين المستفيدين من هذه النماذج من السكنات العمودية قد تنازلوا عليها بعقود البيع أو الكراء و العودة إلى نواتهم الأصلية إما في القصر العتيق أو مناطق البدو المتمدنين حسب ما أفادت به أفواه الفاعلين في المجال الحضري الجديد من أفراد وجماعات ، إن هذا النمط يثير العديد من التساؤلات من قبل الباحثين في مجال علم الإجتماع الحضري و الأنثروبولوجيا الحضرية بشكل خاص ، نظراً لأن هذا النموذج يعتبر طفرة سكنية ذات هوية دخيلة على النسيج العمراني المتجذر في مدن الجنوب الجزائري ، يقول أحد المبحوثين من منطقة المخادمة (خ ، م) :

" ... لقد استفدت من سكن اجتماعي منذ أكثر من سبع سنوات إلا أنني قمت بكرائه ثم بيعه بعد ذلك ، لم أستطع أن أعيش في هذا النمط من السكن لأنه لا يحفظ خصوصية الأسرة داخل أجزائه الضيّقة ، إلى جانب وجود العديد من الأسباب الأخرى منها وجود باب مشترك لجميع سكان العمارة ، كذلك وجود جيران لا تربطنا معهم أي صلة قرابة أو مصاهرة ، لذلك عدت إلى الحي الذي كنت أقطن فيه بعد مرور أشهر قليلة من تساكني في العمارة "

إن المرور من خلال البنيات الاجتماعية وتتبع تفاصيل أنظمة القبائل و العشائر في نمط حياتها داخل مدينة ورقلة ، يحيلنا إلى فهم واستنطاق علاقة الساكنة بسكنهم ومحيطهم في نفس الوقت ، ليتسنى لنا بناء تصور واضح حول خلفيات العمارة كنموذج سكني يترنح بين الرفض و القبول لدى هذه المجموعات الإجتماعية الصحراوية ، فالسكن هنا يتمتع بأهمية ثقافية واجتماعية بالغة الأهمية يمكن ملاحظتها ورصدها في العديد من التصميمات الهندسية الخاصة بنسيجهم العمراني التقليدي الذي بقي شاهداً لغاية يومنا هذا ، هذه الهندسة تعطي للسكن بعدًا ايكولوجيًا واجتماعيًا يتناسب مع هذه الخصوصية المجالية ، فهو كيان مورفولوجي حيوي ينغلق في أجزائه ومكوناته عن الخارج و ينفتح نحو السماء في أجزائه ومكوناته الداخلية ، لذلك نلاحظ أن السكنات التقليدية تكاد تخلو من وجود النوافذ الخارجية في جدرانها الصماء لتعوض هذا الغياب ببعض الفتوحات الصغيرة الخاصة بالتهوية ،

حيث "... يسهم المناخ بدور كبير في قدرة الانسان على العمل و الحركة كما يؤثر على تصميم المباني التي يسكنها[163] ، في خلقه لمجموعة من الأجزاء التي لها وظائف خاصة توجه قاطنيه إلى الداخل ، إلى البحث عن ذلك الاحتواء بين أفراد الأسرة في علاقاتهم الحميمية في سكينة شبه تامة .

من المهم أيضا نعرج في دراستنا هذه على أهمية علاقات الجيرة باعتبارها شريان الحياة رئيسي في تقسيم الفضاءات السكنية داخل مدينة الواحات ، فالنسيج العمراني دائمًا يعتمد في مورفولوجيته على وحدة الجماعة الاجتماعية التي تربط بينهم علاقات القرابة الدموية و المصاهرة ، فهي بالضرورة امتداد للّحمة الاجتماعية التي تحفظ الأفراد وتوفر لهم الأمن و الأمان في حيزهم المغلق و الخاص ، لدى السكان المحليين و البدو المتمدنين في تقاطعاتهم المشتركة و المتشابكة باشتباك واحات نخيلهم ، لقد رأينا الكثير من السكنات التقليدية وهي منفتحة في تصاميمها الداخلية فلا تستغرب وجود فتوحات داخلية تربط بينهم وبين جيرانهم لقضاء حوائجهم المختلفة في شكل تضامن آلي بين الأسر ، فالتغيرات التي تمس جانب النسيج العمراني باستحداث مجموعة من الأنماط السكنية الجديدة (العمارة) ، لا يمكنها أن تحفظ هذا الجانب المهم في علاقات الجيرة ، نظرًا لسياسة توزيع هذه التحصيصات السكنية ، التي يراعى فيها مجموعة من الاستراتيجيات في آليات الترتيب ، و لإحصاء ، و الشروط والأولويات الخاصة بتوزيع هذه النماذج من السكنات العمودية في صيغها المختلفة .

[163] يحي وزيري ، العمارة الاسلامية و البيئة ، عالم المعرفة ، (د.ط) ، الكويت ، 2004 ، ص 09

لذلك نرى أن النسيج العمراني المتباين في مدن الجنوب الجزائري ، يحاكي في تعبيراته المختلفة تلك الصدمة عمرانية الناتجة عن الانفتاح على باقي النماذج العمراني الحديثة ، التي أوجدها السلوك الحضري الصحراوي من خلال الممارسات و الاستراتيجيات الحضرية المختلفة ، فالتباين في التركيبة السكانية لهذه الجماعات الاجتماعي أحدث هذا الخلل في ميكانزمات التعبئة الحكومية و الخاصة في الهندسة العمرانية التي تمهد الطريق نحو خلق هوية مجالية متمايزة للفضاء الصحراوي ، إن هذه الخيارات الحتمية شكلت عائقاً أمام الاستاتيكا الاجتماعية في تنظيمها للفضاءات العمرانية داخل المدينة .

إن المهتمين بالأنثروبولوجيا الحضرية في تنقيبها الابستيمولوجي لتفكيك وتحليل العلاقة الدالة بين النسيج العمراني واستراتيجيات الجماعة الاجتماعية ، إنطلاقاً من السلوكيات و الممارسات التي يشغلها الأفراد و الجماعات في فضاءاتهم الحضرية المتشكلة في الصحراء ، يجد أن حتميات النماذج السكنية الحديثة بقيت تشكل بالنسبة لهم ذلك الهاجس المخيف و المجهول في خطاباتهم وتطلعاتهم المستقبلية في حوض ورقلة ، إنها تسعى إعادة تجسيد تصاميم هندسية حديثة ذات طابع تقليدي في شكل مونوبول حضري خاص يعيد إنتاج الراوبط التقليدية ذات النسق القرابي في تشكل الأحياء السكنية نلاحظها من خلال توسع امتداد النسيج العمراني المحيط بالقصر العتيق في شكله البيضوي ، الذي يفسح المجال لكل من بني سيسين و بني واقين و بني ابراهيم إلى إعادة إنتاج تلك الروابط التقليدية المتعلقة بالجيرة في تساكنهم خارج القصر ، كذلك في امتداد النسيج العمراني لكل من المخادمة و الرويسات و سعيد عتبة في أماكن استقرارهم عبر الكثير من التصميمات الهندسية الحديثة ذات طوابق تعطي لدى الباحث الكثير من المؤشرات و الضمانات التي توفرها الأسر الصحراوية لأفرادها في نمط حياتها الآني ، تماشياً مع استراتيجيات الإندماج في الحضرية .

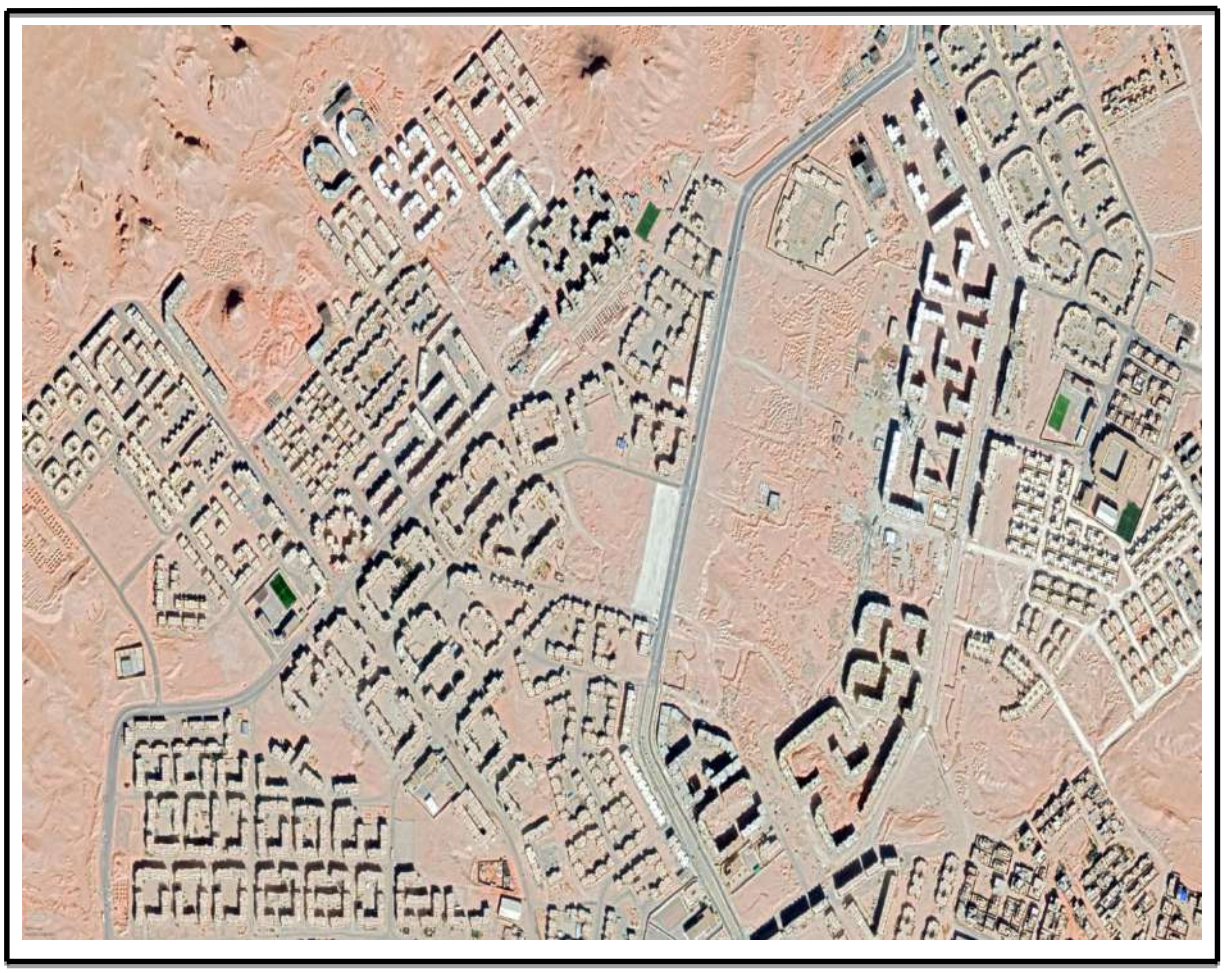

الصورة رقم (02) : توزع نمط العمارة في حي النصر (الخفجي)

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2019/04/04)

خلاصة الفصل :

تبين لنا من خلال هذا الفصل أن استراتيجيات الأسرة في الواقع الحضري الجديد ، تعيد إنتاج هيكلها المادي و المتمثل في السكن ، حيث تقوم بمجموعة من التغيرات تتمثل في إعادة بناء سكنها وفق ما يتماشى مع الحياة الاجتماعية الحديثة ، خصوصاً بعد تراجع بنية الأسرة الممتدة نتيجة التحولات الراهنة في المدينة قيد التشكل ، فهي تسعى إلى تبني هوية عمرانية عصرية وفق اختياراتها الثقافية و الاجتماعية و إمكانياتها الاقتصادية بعد اندماجها في سوق العمل الذي يوفره المجتمع الصناعي و ما يفرزه من مؤسسات اقتصادية خاصة و حكومية ، حيث مست هذه التعديلات و التصميمات الهندسية الجديدة ، مكونات السكن التقليدي القديم في مدينة الواحات ، فلا فرق اليوم بين النسيج العمراني في صحراء و رقلة و بين النسيج العمراني في المدن الشمالية ، هي حضرية تفرض موقعها و حتمياتها في الفضاء الصحراوي ، علاقة جدلية بينهما تتأرجح بين القبول و الرفض في خطاب الفاعلين المنتمين لهذا المجتمع عن طريق تحليل ممارساتهم و تمثلاتهم لراهن الواقع الحضري .

الفصل الخامس

الفصل الخامس :

تحول التساكن و أثره في أنظمة العلاقات الاجتماعية

تمهيد الفصل الخامس

1. البنية المجالية تقاطعات تشكل الفضاء العام

2. البنيات الاجتماعية وواقع التحضر في مدينة ورقلة

3. التساكن : استراتيجيات معقدة تطرحها المدينة الصحراوية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل الخامس :

الارتباط الوثيق بين عناصر البحث و معطيات الميدان في دراستنا حول بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن ، و تتبع أهمية هذه التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي لا تعبر عن مونوبول خاص يميز منطقة عن الأخرى ، بل هي حتمية ضرورية لسيرورة المجتمع الإنساني نحو التقدم و الانفتاح على العالم الخارجي بكافة تجلياته الحديثة ، ولعل الاقتراب أكثر من أشكال العلاقات الاجتماعية و أنظمتها داخل المجال العام لمدينة ورقلة الآن ، يأخذنا بالضرورة إلى عنصر هام يتمثل في سمات التساكن و أثره في أنظمة العلاقات الاجتماعية داخل هذا المجتمع ، فالتحولات الآنية مست تقريبا كل البنى و الأنساق الاجتماعية التي تحتوي بموجبها مجموعة العلاقات الاجتماعية ، التي تربط الأفراد في شبكة من الأنساق و الروابط الاجتماعية التقليدية ، بحيث تنظم و تضبط السلوك العام وفق مجموعة من المبادئ و القوانين المتوارثة لتسيير الحياة الاجتماعية للأفراد داخل المنظومة ككل .

إن التساكن بكافة تجلياته و اختلاف موقعه عبر النسيج العام لمدينة ورقلة ما هو إلا حتميات إيكولوجية اقتصادية و اجتماعية يخلفها راهن التحضر ، عبر معطيات عديدة تتسابق كلها لتجسيد المبدأ العام للحتمية التي يترتب عليها مكان الإقامة ، كذلك حال الأنشطة الاقتصادية الحديثة و ما تفرزه من تحولات في سمات التساكن وعلاقات الجيرة ، هنا في هذا الطرح الأنثروبولوجي نتساءل هل تبقى أنظمة العلاقات الاجتماعية رغم التحولات الراهنة ؟ ، أم تفضي إلى بداية الذوبان في النسق العام للمجتمع ، و إعادة تشكل علاقات اجتماعية جديدة تمدح التمايز و تأطره في شكل بنيات تعتمد على التفاعلات الاجتماعية و تقسيم العمل و تبادل المصالح المشتركة نتيجة لتغير الأدوار و المكانة الاجتماعية للأفراد ، هذا ما نسعى جاهدين من خلال البحث الميداني أن نعالج هذا الطرح ، وفق عناصر محددة تخدم الاجابة على هذه التساؤلات في هذا الفصل .

1. البنية المجالية تقاطعات تشكل الفضاء العام :

لا شك أن كل تلك التكتلات الاجتماعية المختلفة في فضاء مدينة ورقلة وانقسامها في شكل فسيفساء غير مترامية الجوانب ، تتخذ من الاختلاف وعدم التمايز عنواناً لها منذ أول وهلة بحيث يلاحظ الباحث تميز كل فئة عن غيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى ، فكل فئة منها تملك الحق في المجال العام للمدينة بفعل الملكية المجالية المتوارثة عبر الأجيال في ضوابط اجتماعية تنظم هذا الحيز المادي ، إن اهتمامهم القديم بزراعة النخيل في هذا الفضاء الصحراوي الذي يملك خصوصية وفرة المياه السطحية حسب ما تفرزه لنا سلسلة التضاريس التي تبين العرق الشرقي الكبير ، وتشكل الواحات على امتداد واسع في صحراء مدينة ورقلة أي حوالي **3018.5** هكتار مخصصة لأراضي النخيل [164]، مقسمة بين مدينة ورقلة و منطقة الرويسات و التي تصنف ضمن الزراعة الدائمة ، يثبت لنا تلك التقاطعات في البنية المجالية و التي يتقاسمها السكان في هذه الرقعة الجغرافية ، نلاحظها من خلال الاقتراب من مجتمع البحث أنها بالفعل ترسم معالم هذا الفضاء في شكل تقاطعات مختلفة يمكن لزائر المدينة أن يلاحظها بكل سهولة ، يقول **مورغان** (Lewis H Morgan) أن المجتمعات القديمة يشتركون في طريقة امتلاكهم للأرض عن طرق احتلالها في شكل أسر كبيرة الحجم ولا يحق للفرد بيعها حتى لا تفرق خطة حياتهم"[165] ، هذه الأسر تتفاعل في ما بينها في شكل علاقة ثنائية بين الانسان و الأرض فهي تتوزع حسب المجموعات الاجتماعية و امتلاكها لهذا الفضاء المادي منذ زمن ، حيث نجد كل من مجموعة المستقرين القدامى ، و البدو المتمدنين ، يتمركز كل منهما في أماكن مختلفة تطبع بدورها الشكل العام للمدينة ، من شرقها إلى غربها و من شمالها إلى جنوبها .

[164] مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية ، مرجع سبق ذكره .

[165] Lewis H Morgan , Ancient Society " Researches in the Lines of Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilization ", University Library , Chicago , P 546 .

يشير أيضاً **فريديريك إنجلز** إلى أن "... الأرض المزروعة لا تزال ملكاً للقبيلة ، فأعطيت في أول الأمر للعشيرة فوزعتها هذه بدورها في ما بعد على الجمعات البيتية لتستغلها على حسابها "[166] ، فهي فسيفساء مكونة من خليط بشري غير متجانس ، تأخذ أماكن محددة لاستقرارها وممارسة نشاطاتها المختلفة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية ، فهي تجذر الانتماء للمجال من خلال التفاعلات الاجتماعية و الأنساق القرابية داخل المنظومة ككل ، فمثلا نجد أن البنية المجالية للبدو المتمدنين تظهر في كل من بني ثور و الرويسات و لمخادمة و سعيد عتبة كماجل عام لاستقرارهم و تمدنهم ، كما نجد الوراقلة في القصر العتيق وما حوله من تقسيمات للمجال في شكل امتداد للأراضي الفلاحية الخاصة بهم ، هذا ما يفسر لنا أن البنية المجالية التي تمتلكها تلك المجموعات البشرية تؤدي إلى الهيمنة النوعية على المجال المادي ، فهي نتاج حتمي لتشكل الظاهرة الحضرية و بروز المدينة بشكلها الحالي و المميز من خلال تقاطعاتها المختلفة ، فنحن دائماً نشير إلى أن الحضرية مثلما نشاهدها الآن هي بفعل تدفق بوادر تشكل المدينة إلى مجال استقرار هذه المجموعات الاجتماعية .

إن أهمية البنية المجالية في البحوث الأنثروبولوجية للظاهرة الحضرية أمر جد هام حيث تمكننا من الاقتراب أكثر نحو تفسير مفاهيم عديدة يحتويها المجال الحضري بكافة تجلياته و ترسباته الثقافية و الاجتماعية ، لسيرورة نظام السكن و التساكن وعلاقته بحجم الأسرة وكذلك بوادر التحول في بنيتها ، حيث يشير إلى ذلك **آدم فيرغسون** في قوله " ... لا بد من أن يكون واضحاً وضوحاً لا لبس فيه ، أن الملكية تخص التقدم ، فهي تتطلب من بين أشياء أخرى من نتائج الزمن ، منهجاً لتعريف الحيازة "[167] ، لذلك يمكن لنا تتبع أثر البنية المجالية لمدينة ورقلة في كل من ظاهرة تنامي السكن وتوزعه عبر النسيج الأفقي انطلاقاً من السكنات التقليدية القديمة إلى بروز

[166] فريديريك إنجلز ، أصل الأسرة و الملكية الخاصة و الدولة ، تر : أديب يوسف شيش ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، سوريا ، ط1 ، 2011 ، ص 239 .

[167] آدم فيرغسون ، مقالة في تاريخ المجتمع المدني ، تر : حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2014 ، ص 132.

السكنات الحديثة و بداية اجتياحها للمجال بصفة عامة ، إنها حقاً ظاهرة تستحق التأمل من زوايا بحثية عديدة فهي مجموعة من التغيرات ترتبط ببعضها البعض و تتأثر بنسب متفاوتة بين المجموعات الاجتماعية الأخرى ، وكذلك مجموع تفاعلات الأفراد مع الحضرية بشكل عام ومدى مسايرتهم للتحولات التي نشهدها في المدينة بشكل خاص ، فنحن هنا لا نتكلم على مجتمع يمتلك تلك الملامح في البنى الاجتماعية التي نلاحظها في المجتمعات الشمالية في المدن الجزائرية الكبرى مثل الجزائر ، وهران و سكيكدة ...الخ ، إننا نتكلم هنا على خصوصية البنى الاجتماعية لمجتمع مدينة ورقلة في هذا الجانب من الطرح ، من خلال مقاربة أنثروبولوجية اجتماعية و ثقافية تمككنا من ارساء قاعدة حقيقية لتمرير مقاربة أنثروبولوجية حضرية في هذا السياق بالذات ، فعند تحليلنا للمعطيات التي يوفرها المجال من خلال الفاعلين فيه يتبين لنا أن تفكيك هذه البنى الاجتماعية له علاقة وطيدة بالمفاهيم المتعلقة بالقبيلة و العشيرة ، فهي مجتمعات لازالت تقليدية في سلوكياتها و تفاعلاتها مع المجال الحضري ، بغض النظر على مجموعة الوافدين الجدد وتنوع مشاربهم الثقافية وخطاباتهم الايديولوجية المختلفة داخل المجال الحضري العام في المدينة ، حيث يشير في ذلك Mark Cote " أن مدينة ورقلة شهدت في فترة الاستقلال تسارعاً غير مسبوق في استهلاك مساحة المدينة ، بداية من عام 1967 التي بدأت تميل إلى تزويد المدينة بأدوات الإدارة للسيطرة على الواقع الحضري " [168]، فالنسيج العمراني في المدينة مكون من مجموعة من التكتلات الاجتماعية في شكل وحدات سكنية تنظمها العلاقات الاجتماعية انطلاقا من درجة القرابة و تصنيفها حسب الأقرب فالأقرب ، كما أن عامل النشاط الاقتصادي يلعب دور جد هام في هذه التراتبيات المادية ، فالملاحظ هنا أن النشاط الاقتصادي التقليدي في عملية تقسيم العمل و المتمثل في زراعة النخيل و الاهتمام بها ، وكذلك تربية الحيوانات مثل الابل و الماعز و الغنم منذ القدم من طرف هذه المجموعات المستقرة في الصحراء على اختلاف احتلالها لهذا المجال الصحراوي ، يجد أنها تمثل بالنسبة لهم قوة في خلق الانتماء و الهوية

[168] Mark Cote, La ville et le désert le Bas-Sahara algérien ,OP.Cit, P 171 .

لمدينة الواحات الجزائرية ، وبذلك فهي موطن الاستقرار بشكل عام ؛ أي أن هدف البنية المجالية يكمن في توسيع نفوذهم المادي (النسيج العمراني) عبرها بشكل يكفله العرف و النظام الاجتماعي القائم بينهم ، أي أن السلطة التقليدية هي التي كانت تنظم الحياة الاجتماعية للأفراد ، أما بعد تحول المجتمع التقليدي الزراعي إلى المجتمع الحضري الاستهلاكي ما قبل الصناعي أين تظهر نشاطات اقتصادية أخرى بديلة ، فهي تؤثر في سيرورة نظام الملكية الخاصة ، بحيث تصبح هي الأخرى قابلة للتحول كما يشير **إنجلز** في قوله " أن الفلاحين يرون ببساطة أنه من مصلحتهم استبدال الملكية الفردية للأرض عوضاً عن الملكية المشتركة "[169] ، هنا نختم القول أن البنية المجالية في مدينة ورقلة لازالت تحددها ضوابط الملكية الخاصة بالقبيلة و العشيرة فهي التي تتحكم في تنامي نسيجها العمراني على حساب غابات النخيل ، و بداية التحول من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الحضري الاستهلاكي بحيث تتشكل لنا مجموعة من التقاطعات في تقسيم المجال العام للمدينة .

[169] أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، دار الفارابي ، ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2010 ، ص 104.

1.1. الملكية و الميراث و تقسيم الفضاء المادي في خطاب سكان ورقلة :

إن الإنسان منذ القدم اهتم بالأرض و عرف قيمتها من خلال وجود الماء و ما تنتجه من مستخرجات فلاحية تساهم في بقائه من جهة ، واستقراره من جهة أخرى ، فالأرض لها أهمية بالغة لدى المجتمعات التقليدية التي تعيش في مدينة الواحات ، فهي تمثل جماعات متحدة ترابياً يتقاسمون نفس الظروف المعيشية في ظل احتواء و تأطير الضبط الاجتماعي ، يرى **روبرت نسيبت** " ... أن الجماعة المحلية (Gemeinschaft) تمتاز في أنماط علاقاتها بالروابط العاطفية الوثيقة و العميقة و المستديمة ، وبالتعهد الأخلاقي و الانضمام أو الانتماء إلى المجموعة " [170]، فالبنية المجالية تحتضن تلك الترسبات الثقافية و المادية التي تدل على انتمائهم و موطنهم ، فطبيعة النظام الاقتصادي و الاجتماعي وهيمنة الأسرة التقليدية الممتدة قديماً في تنظيمها واحتوائها للأفراد بما تفرزه من عادات و تقاليد ، تعطي من خلالها صورة عن تمثلات الأفراد نحو ممتلكاتهم المادية المتمثلة في قطع الأراضي ، وكذلك مسايرة التنظيم الفلاحي التقليدي الذي يضبط الحياة الاجتماعية العامة من خلال تقاسم المجال بينهم ، فالأرض تمثل لهم ممتلكات ثروة مقدسة يتم من خلالها تطوير منهجية الزراعة ، فهي عبارة على ملكية الاشخاص المتحدين في المجموعة " [171]، وفق أنظمة من العلاقات الاجتماعية و الروابط القرابية ، التي تأثر على سياسة السكن و التساكن في هذا المجال ، وهذا ما يحدد وجوباً علاقات الجيرة كأحد هذه الأولويات في بناء النسيج العمراني .

أيضاً وجب الإشارة إلى أن المجموعات الاجتماعية التي تستوطن فضاء مدينة ورقلة من (المخادمة و بني ثور ، و سعيد عتبة ، و الوراقلة) ، لها ميزة خاصة في تشكل المدينة أي أن آليات المدينة هي من زحفت نحو البنية المجالية لهذه المجموعات الاجتماعية ، فبذلك نعتبر هذه البنية المجالية بمثابة القطب الجاذب لتشكل **ميتروبول** المدينة بشكل عام ، حيث ينقسم المجال المادي لمدينة ورقلة إلى ثلاث قطاعات هامة ، منها البنية المجالية (العقار) التابعة

[170] جيل فريول ، معجم مصطلحات علم الإجتماع ، مرجع يبق ذكره ، ص 50 .

[171] IBID , P552 .

للخواص (المجموعات الاجتماعية) تتكون مساحتها من **942.11** هكتار موزعة عبر الفضاء المادي للمدينة ، بنسبة **39.85 %** ، وكذلك البنية المجالية (العقار) الخاصة ببلدية ورقلة تبلغ مساحتها **566.28** هكتار بنسبة تقدر ب: **23.95 %** ، أما البنية المجالية الخاصة بالدولة فهي **316** هكتار تقدر بنسبة **13.36 %** [172] .

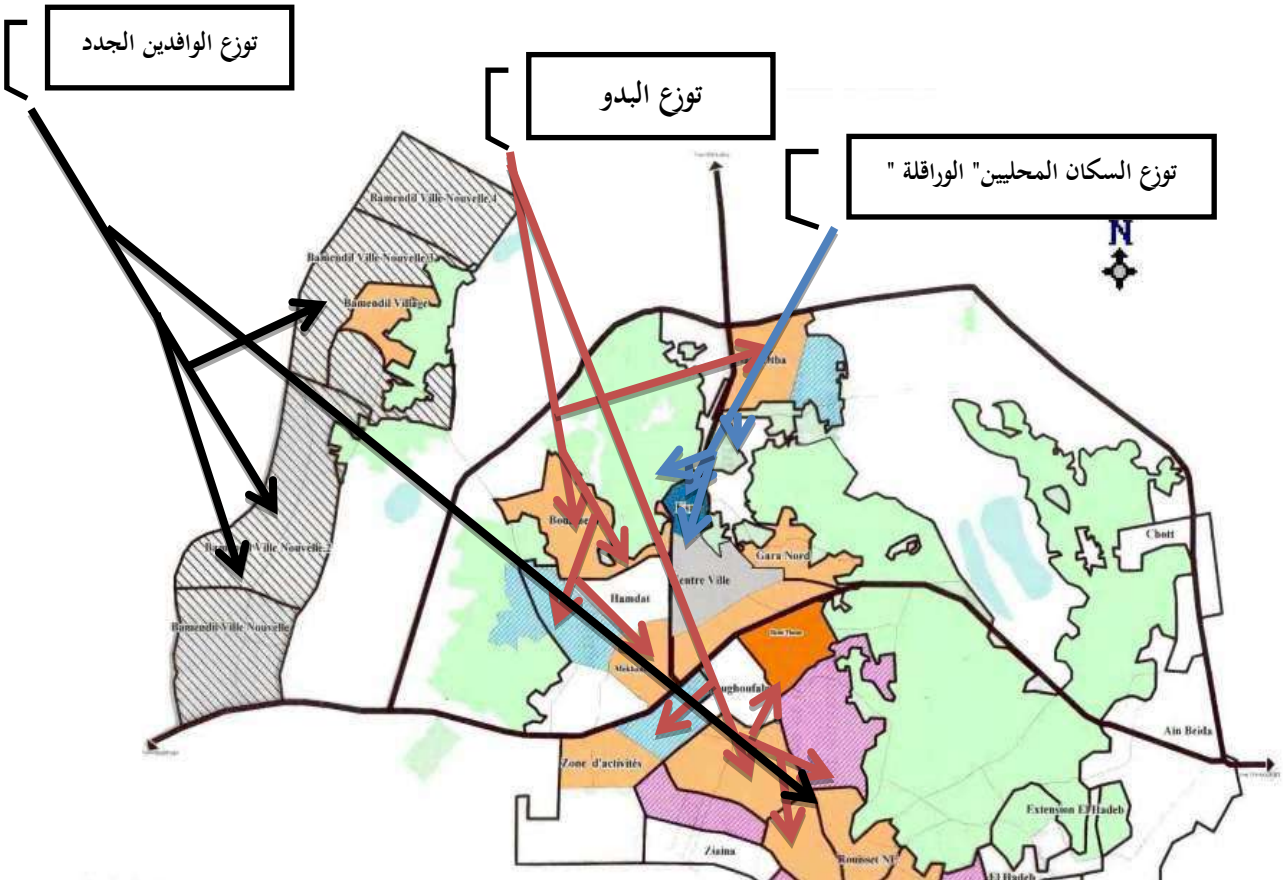

المخطط رقم (06) : مدينة ورقلة " توزع البنية المجالية للمجموعات الاجتماعية "

[172] المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير ، **احصائيات سنة 1998** ، ولاية ورقلة ، زيارة ميدانية يوم : 18/03/2019

ما يهمنا في تحليل هذا العنصر الهام هو معرفة تمثلات الأفراد للمجال (Espace) بشكل عام ، فهذا التحليل الموضوعاتي يقربنا أكثر من فهم آليات تقسيم المجال بين المجموعات الاجتماعية ، وكذلك مدى مراعاتها للآنساق القرابية في هذا التقسيم ، لأن الانطلاق من هذه الفرضية يمكّننا من فهم التصور العام للمجال من خلال خطاب الفاعلين وعلاقته بالتساكن و الحركات المجالية ، نجد كذلك الباحث **عبد القادر خليفة** في شرحه للتمثل الاجتماعي في قوله : " ... فالتمثل الاجتماعي يتكون من خلال رمزية بعد تحليلها يمكن أن تقودنا إلى معرفة معنى هذا الشيء الذي هو المجال عند سكانه ، و علاقتهم به وميكانيزمات إنتاج تعريفهم لهويتهم من خلال احتلاله وتملكه "[173] .

إن ارتباط البدو المتمدنين و المستقرين القدامى بمنظومة البنية المجالية كأحد الركائز التي تدعم الشعور بالهوية و الانتماء للمجال ، من خلال تجسدها بشكل أكثر واقعية يمكن لنا ملامستها عن طريق الملاحظة المباشرة لسكناتهم واعتباراتها داخل أحياء هذه المجموعات الاجتماعية ، فتحليل خطاب المبحوثين نقلا عن أفواههم يبين لنا سيرورة عمليات السكن و التساكن التي تحركها الأسرة بالدرجة الأولى في جانبها الحتمي كنوع من السلطة التقليدية التي تلزم الأفراد باحترام تقسيم الفضاء السكني و الإقاماتي ، و أيضاً الجوانب الحتمية الأخرى التي تفرض وجوب تغيير السكن في شكل إقامة تشبه نوعاً ما الجبرية مثلا في **مقابلة** مع أحد أفراد البدو المتمدنين (**مبحوث**) ، يقطن في حي النصر في سؤالنا له هل اخترت هذا الحي لتسكن فيه كانت إجابته كالتالي :

" أنا كنت نسكن في المخادمة عطاوني سكنة هنا في الخفجي في الإجتماعي ، راني نحوس نبيع مقدرتش نوالف هنا ... نبيع ونرجع نسكن في المخادمة "[174]

[173] خليفة عبد القادر ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية ، مرجع سبق ذكره ، ص 291.

[174] مقابلة مع مبحوث ، جانفي 2019

هذا الجواب يعطي انطباعات عديدة لتمثلات الأفراد للمجال بشكل عام ، كثير من المبحوثين كانت إجابتهم مماثلة سواء من البدو المتمدنين أو المستقرين القدامى ، حيث يثني أغلبهم على فكرة الرجوع لأحيائهم القديمة ، و الراجح هنا في هذا التحليل أن الأحياء القديمة التي تراعي في نشأتها العلاقات الإجتماعية المبنية على أنساق قرابية تخلق مفهوم الحميمية التي تختزل في التضامن و التآزر و الإنتماء بين أفرادها ، فهي تمثل بالنسبة لهم الكيان الروحي الذي يتجاوز الفضاء المادي معبراً على أشكال أخرى من التفاعلات و السلوكيات النفسية ، كذلك نجد إجابة أحد المستقرين القدامى من عرش بني واقين (**مبحوث**) يقول :

" ... أنا مخيرتش الحي هذا (حي النصر) راني في خمسة سنين ذرك ، الصباح خدام و لعشية نطلع للقصر أنا ولولاد ، السكنة هذي غير نبات فيها "[175]

هنا الأمر يتعلق بالإنتماء بشكل كبير للأحياء القديمة رغم ما توفره الأحياء الجديدة من مرافق و خدمات اقتصادية واجتماعية وصحية إلا أن أغلبهم يفضل العودة إلى تلك الأحياء ، هنا يظهر دور السلطة الرمزية للأسرة الممتدة رغم التحولات الإجتماعية و الإقتصادية التي ساهمت في تفتيت بنيتها لتتحول إلى نمط الأسرة الحديثة ومن هنا نجد أن " ... الممارسات الروتينية القديمة يتم الدفاع عنها بالدفع بأن الأشياء جرى العرف على فعلها بتلك الطريقة لفترة طويلة وتلك الحجة التي تدفع باستقرار التقاليد تشبه ما قام **ماكس فيبر**(1978) بوصفه على أنه سلطة التقاليد كأحد أشكال الهيمنة " [176] .

[175] مقابلة مع مبحوث ، سبتمبر 2018 .

[176] برتي السوتارى ، النظرية الإجتماعية و الواقع الإنساني ، تر: علي فرغلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط 1 ، 2015 ، ص 61.

بينما في الطرف الآخر من الزيارة الميدانية لمجموعة من أسر البدو المتمدنين في مجالهم السكني الرويسات و بني ثور أن الحركية المجالية بالنسبة للتساكن أخذت وتيرتها بالارتفاع شيئا فشيئاً مقارنة بالأعوام الماضية ، وفي تحليلنا هذا نركز على الحركية المجالية الاختيارية التي تنتهجها الأسرة ، فبرغم من تسارع وتيرتها إلا أنها لازالت تخضع إلى معايير علاقات الجيرة ، فالتساكن الاختياري لدى البدو المتمدنين تحدده أطر ثقافية واجتماعية واقتصادية معينة ، فالتساكن عندهم لا يخضع إلى الحرية المطلقة في الاختيار ، فهو مقيد نوعاً ما بالعلاقات الاجتماعية المبينة على المصاهرة في أبسط صورها إلى العروبة و الهوية العربية التي تصبح أعمق من مفهوم المواطنة في وقتنا الحالي ، فمن خلال تصريح المبحوثين حول تحول علاقات الجيرة بالنسبة لهم يأخذ بعين الاعتبار تقاسم المجال مع قبائل معينة تربط بينهم علاقات اجتماعية مثل الرويسات و المخادمة و بني ثور ، أما قبيلة سعيد عتبة فيمكن أن نقول عن تجمعاتهم الحضرية أنها " **مونوبول حضري** " بينهم نظراً لهيمنة السلطة التقليدية في عمليات الضبط الاجتماعي للحياة الاجتماعية الخاصة بالمنتمين إليها عرقياً ، فالمعروف تاريخياً أن قبيلة سعيد أول من زارت حوض ورقلة و ذلك سنة 1148 م و آخر من تمدن من القبائل العربية ، لذاك فهي لازالت تحافظ في بنيتها الاجتماعية على أواصل التنظيم الاجتماعي ، فهي بعيدة نوعا ما على سيرورة الفردنة وما تمليه التحولات الجديدة من تفكيك لتلك الروابط الاجتماعية وتعويضها بعلاقات قائمة على مبدأ المصلحة و المنفعة المشتركة ، حيث يقول **بول كولبير** " ... كلما كان التنوع كبيرا تباينت أطياف المجتمع ، وبذلك تزداد المحفزات وتتعدد الاختيارات " [177].

[177] بول كولبير ، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا ، تر: مصطفى ناصر ، عالم المعرفة ، ، الكويت ، (د. ط) ، 2016 ، ص 67 .

2.1. الحوافز الإقتصادية و تأثيرها على الحركية المجالية :

كثيرا ما نجد أن مصطلح الحوافز الاقتصادية (Incitations économiques) يرافق أغلب تفسيرات الفعل الاجتماعي في المدينة ، باعتباره المحرك الأساسي الذي يغذي دينامية التحولات الاجتماعية و الاقتصادية للجماعات الاجتماعية المستقرة ، أيضاً هو من بين الاهتمامات التي يراها المهاجرون إلى المدن كذريعة تقوي شعورهم بالانتماء و الاندماج ، لذلك نرى أن تحولات السكن و التساكن لها علاقة وطيدة بمجموع الحوافز التي تفرزها مدينة ورقلة ، هذه المدينة الفتية هي مبعث للكثير من الطموحات و الأهداف التي يحاول الأفراد و الجماعات تحقيق ذواتهم الاجتماعية و الثقافية من خلال الآليات التي تطرحها كمدينة قيد التشكل ، "... فالوظيفة الأولى و الأساسية للمدينة و ظيفة اقتصادية ، إنها أولا و قبل كل شيء سوق دائم (Un marché permanent) "[178]، إن استنادنا إلى تحليل مجموع الدراسات الميدانية لما لها من حمولة معرفية للبنية الاجتماعية وصيرورتها السوسيومجالية الآنية ن و التي نلاحظ أنها تغذي اتساع تقاطعات الفضاءات العمرانية للبدو المتمدنين و السكان المحليين و كذلك الوافدين الجدد من المدن الشرقية و الغربية و الشمالية ، فالواجهة التي نلاحظها الآن للمدينة بعد تطور البينة التحتية و توسيع شبكة الطرقات ، وبروز الجانب الاقتصادي الذي أفرزته الحضرية من خلال عمليات التعبئة و الاستحداث لكافة القطاعات و المؤسسات ، وانفتاحها على عالم الشغل كقطب محفز (**جاذب**) بعد اكتشاف الثروات الطبيعية في إقليم المدينة (نفط ، غاز) ، إن آليات الحركية المجالية الداخلية للأفراد و الجماعات تتأثر بالتحولات الاقتصادية وديناميتها داخل الفضاء الحضري الصحراوي الجديد ، لذلك نلاحظ أن أغلب المبحوثين يرون أن تشكل الفضاء الحضري يعتمد كل الاعتماد على تقسيم نقاطه المركزية و التي يصنفونها إلى مجموعة نقاط نشطة و حيوية "الكومونات الاقتصادية" و نقاط أخرى ميتة أو ساكنة ، يرى (عباس ، إخباري) :

[178] عبد الرحمان المالكي ، المرجع السابق ، ص 30-31.

"مدينة ورقلة الآن مقسمة إلى مجموعة مناطق فرعية و أخرى أساسية ، هذه النقاط المجالية هي التي تحدد آليات التساكن لدى الكثير من الأسر "[179].

إن الملاحظ لعديد السكنات و الأحياء الموجودة في الفضاءات الخاصة بالبدو المتمدنين أو الفضاءات الخاصة أيضاً بالسكان المحليين داخل وخارج العتيق ، يجد أن الهيكل الخارجي للسكن قد تحول وتغير ، هذه السكنات التقليدية التي كانت تميزها مجموعة من التصميمات الهندسية المغلقة و المفتوحة في بنيتها المورفولوجية المميزة أيضاً للطبيعة الإيكولوجية الصحراوية ، لذلك نجد أن أغلب الأسر التي تملك بيوت بالقرب من المناطق التجارية النشطة للمدينة أخذت تعيد هيكلة هذه البيوت بما يتناسب مع التحولات الاقتصادية ، خصوصاً في الأحياء الجديدة مثل : حي تزقرارت ، حي السعيد 1 ، حي القارة ، حي غربوز ، حي بوغوفالة .. الخ ، إن أغلب الأنماط السكنية لآن في مدينة الواحة تملك في هندستها مجموعة من المحلات التجارية ، و المثير للانتباه حقاً أن هذه الأنماط السكنية الحديثة أصبحت هي الأخرى جزء من النسيج العمراني داخل القصر العتيق (**أنظر الصور رقم : 16.17.18**) ، إن التوسع في المجال العمراني وامتداده خارج التقاطعات المجالية القديمة لمدينة ورقلة الآن أصبح يساير تحول هذه النقاط المجالية النشطة (الكومونات الاقتصادية) ، التي في الغالب نجد أنها قريبة من مراكز الخدمات الاجتماعية المختلفة ، يمكن ملاحظتها في النواة المركزية بالقرب من وسط المدينة وبعض النقاط الأخرى الموزعة في الفضاءات المختلفة ، يمكننا هنا أن نعود إلى هذا الطرح المتعلق بالتساكن في نطاقه (**الضيق ، الواسع**) ، حتى نستطيع من خلال هذا التحليل فهم ديناميات الحركية المجالية بالنسبة لاستراتيجيات الأسرة الصحراوية ، فمجموع الدراسات التي قام بها الكثير من الباحثين في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا في كل من مدرسة **فرانك فورت** و **مدرسة شيكاغو** ، تبين لنا أن الفهم السوسيولوجي و الأنثروبولوجي لظاهرة التحضر يجب أن يطرح لدى الباحث العديد من التساؤلات التي تقوده إلى فهم البنى الاجتماعية وعلاقتها بتحول السكن و التساكن ،

[179] مقابلة مع إخباري ، جانفي 2019

يرى مالك ابن نبي أن "...الجماعة الانسانية تكتسب صفة "المجتمع" عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها ، وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة "[180] ، إذا ما مصير أنظمة العلاقات الاجتماعية التقليدية في ضوء الأنماط الحياتية الحضرية ؟ .

[180] مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، ، لبنان ، ج 1 ، 1974 ، ص 16

2. البنيات الإجتماعية وواقع التحضر في مدينة ورقلة :

إن اهتمامنا بهذا الموضوع جعلنا نستدعي في بادئ الأمر أحد الركائز المفهمية الإيباجوجة ، التي يمكن لنا من خلالها أن نقترب من البنيات الاجتماعية في تجلياتها الأماكينية داخل الواحة ما قبل المدينة ، في تعبيراتها الصارخة التي تجاوزت حدود القراءة السميولوجية في أبعادها ومعطياتها ، مجموعات اجتماعية ترسم العديد من التقاطعات الإثنية المعقدة تتوزع في المجال باختلاف ألوانها ولهجاتها ومشاربها الثقافية و الدينية ، قبائل تجسد منذ سنوات أحد أهم الاستراتيجيات في نمط حياتها و المتعلق برأسمالها البشري في الحفاظ على النسق القرابي في شكل تكتلات اجتماعية تعزز من نفوذها في الفضاء الصحراوي ، يرى كينغسلي بالمر أن لفهم مجتمع ما يجب الاقتراب من أنظمته المعيارية والمعتقدات والعادات والأرض والقانون والحقوق العرفية كلها أمور معقدة تتطلب خبرة التفسير"[181] ، إنها بالفعل صواميل تضبط الهوية الجماعية في هذه التقاطعات المتشابكة في نسيجها العمراني و المتعايشة في نمطها الاقتصادي التقليدي الزراعي و الرعوي قبل مرحلة التمدن ، إن هذه الارتكازات الميدانية تسعى إلى الاهتمام بهذه التجليات الأنثروثقافية في الهيكل البنيوي الاجتماعي لهذه القبائل ما بعد مرحلة التمدن .

1.2. تمثل المجموعات الاجتماعية للمجال : (السكن ، الحي ، علاقات الجيرة)

إن المجال الحضري داخل المدينة يعج بالدلالات الرمزية من خلال محاولة فهم التمثلات و تحليل الممارسات التي نلاحظها كباحثين في مختلف التعبيرات الشفهية الدالة في خطاب الفاعلين الريفي و الحضري ، ذلك المخيال التصوري الذي يكمن في تجاذبات الأفكار و انطباعاتها الرمزيّة التي يصوغها الأفراد في أنماطهم الحياتية الآنية ، انطلاقاً من التفاعلات التي تضم الأحداث الرّاهنة و المواقف الفردية و الجماعية التي تربطهم بالفضاء الاقاماتي (السكن ، الحي ، المدينة) ، أيضاً الارتباط الحميمي الذي نلاحظه في مجموعة العلاقات التي ينسجها الأفراد داخل هذا المجال مع (الأسرة ، الأقارب ، الجيران ، الأصدقاء) ، تحدها المعرفة المتداولة و الحس المشترك داخل

[181] Kingsley Palmer , IBID , P 02 .

هذه الفضاءات الإجتماعية ، يشير **فرديناند تونيز** إلى فكرة التمييز بين المجتمعات المحلية (Gemeinschaft) و المجتمع المحلي العام (Gesellschaft) ، وذلك من جهة الأسرة و الزمالة و الجوار و الأنظمة الروحية "[182] ، نسعى جاهدين من خلال هذا الطرح إلى محاولة التعمق في تحليل خطابهم وسلوكياتهم الحضرية ، أي أننا نقترب أكثر من ثنائية المجال و التمثلات بالنسبة للمجموعات الاجتماعية التي تتعايش في هذا الفضاء الصحراوي ، تستقر فيه وتمتلكه أيضاً ..!، فالمخيال الذي يتصوّره السّاكن لمسكنه وارتباطه بالحي في نطاقه الضيق و الفضاء المديني في نطاقه الواسع يوحي بذلك الإرتباط الوثيق ، إنها نقطة جوهرية وجب حصرها في هذا الجانب بالذات : هل هذه التمثلات و الأفكار هي التي تعطينا تفسيراً أعمق في فهمنا للمجال الصحراوي ؟ ، أم أن المجال هو الذي يفسر و ينظم و يحدد ويهيكل الأفكار و التمثلات و السلوكيات ؟ .

1.1.2. السكان المحليين "الوراقلة" وتمثلهم للمجال :

إن التحولات الحديثة التي كان لها تأثير واضح على الجانب الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي لمجموعة السكان المحليين ، ومن آثارها خروج القصر نحو المدينة وانفتاحه على معالمها المادية و أبعادها الحضرية بعد انهيار أسواره ، أدى إلى انكسار أو بالمعنى الأحرى ضمور تلك الخصوصية التي كان يوفرها المجال العمراني التقليدي لقاطنيه في زواياه الضيقة و المغلقة ، إن الفضاءات الصحراوية في حوض ورقلة محملة بتعبيرات سيميوطيقية لا يمكن ملامستها إلا من خلال الاقتراب من المخزون الثقافي لهذه المجموعات الاجتماعية وتمثلهم للمجال الذي يعيشون فيه ، فالفضاء الاقاماتي أشدّ ارتباطاً بالثقافة في طروحات الأنثروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية ، يقول Jeffrey Bolster في كتابه"Black Jacks " يمكن تخيل الثقافة كنهر ، يغذي كل ما يعترض طريقه " [183] ، إن خصوصية الفضاءات العمرانية التقليدية و ما تحمله الهياكل المورفولوجية للمساكن و الممرات و الساحات و

[182] جيل فريول ، معجم مصطلحات علم الإجتماع ، تر : أنسام محمد الأسعد ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 2011 ، ص 51

[183] Brandon D. Lundy , IBID ,P 03 .

الأبواب الخارجية ، هي في حد ذاتها دلالات رمزية بقيت حاضرة في أذهان السكان المحليين ، يرونها جزء من ذاكرتهم الايكولوجية المحلية ، إنها شذرات تاريخية لأنماط حياتية لا يمكن تجاهلها أو نسيانها ، تقول أحد **المبحوثات** ، تنتمي إلى قبيلة بني ابراهيم :

" نحن نملك الآن سكن خارج القصر منذ سنة 2001 يحتوي على غرف عصرية وواسعة عكس سكننا القديم ، لكن رغم ضيق الغرف في السكن القديم إلا أنني أشتاق إليه كثيراً ، فيه الكثير من الذكريات التي لا يمكن أن أنساها ما حييت ، حتى أن ذلك الشعور مختلف تماماً داخل السكن الحديث "[184]

إن تمثل الوراقلة لسكناتهم القديمة يشير دائماً إلى جزئه الروحي أكثر من المادي الفيزيائي ، فالذاكرة المجالية هي بمثابة خزان يحوي تلك الروابط التقليدية و الممارسات و السلوكيات في جو أسري مفعم بالحميمية ، كما أن دور الأسرة الممتدة ساهم في توسيع فوهة الذاكرة المجالية لدى العديد من المبحوثين ، حيث يقول (الهادي ، **مبحوث**) ينتمي إلى بني سيسين :

"... أنا أسكن حاليا في حي النصر مستفيد من سكن يحوي ثلاث غرف و مطبخ ، ولكنني أتواجد في أغلب الأوقات في القصر العتيق أنا وكل العائلة ، الأولاد يلعبون هناك بكل أريحية مع أقاربهم ، لا نستطيع أن نمارس نشاطاتنا و ممارساتنا بمعزل عنهم ، حتى أن كل المناسبات نحتفل بها في القصر ، الاحتفال هناك له طعم آخر "[185] .

هي اعترافات يمكن أن نستنتج من محتواها أهمية المجال في تحديد المخيال و التمثلات التي يحملها لدى قاطنيه ، و المعبر عنها بمختلف السلوكيات و الأفكار التي ينتجها المبحوثون المنتمون لهذا المجال ، فالسكن و الحي و الممرات هي روح بالنسبة لقاطنيها تنتج نوع من القدسية ، وتحمل الكثير من التصورات انطلاقاً من التصميم الهندسي

[184] مقابلة مع مبحوث ، نوفمبر 2019
[185] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2019

للسكنات القديمة و المميزات التي كانت تزخر بها و الوظائف التي كانت تؤديها رغم بساطتها ، إلا أنها تمثل دلالات قوية ورسائل لا يمكن حصرها في هذا النطاق الضيق للبحث ، فارتباط مجموعة السكان المحليين بمجالهم يفسر لنا تلك الخصوصية التي توفرها لهم التجمعات العمرانية التقليدية داخل القصر العتيق و التجمعات العمرانية الحديثة خارج القصر ، فهي بالنسبة لهم تجمعات اختيارية وحتمية في ذات الوقت ، تمكنهم من حرية ممارسة أنظمتهم الاجتماعية دون تكلف ودون قيود ، عكس الفضاءات الأخرى التي يرون أنها تجمعات مقيّدة تثير لديهم نوع من الصراع التذاوتي ، هذه التقاطعات المجالية التي أوجدها واقع التحضر و الانفتاح على مجموع الثقافات الأخرى أدى إلى خلق نخب اجتماعية جديدة ، فالحوافز التي تقدمها المدينة الصحراوية كقطب جاذب ومجموع المنشآت و المشاريع الحكومية و الخاصة أدت إلى إنتاج التمايز الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي بين المجموعات الاجتماعية الصحراوية ، هذه الآليات المتسارعة في عملية التعبئة الحضرية وتوسيع دائرة المد الحضري إلى أطراف المدينة ، أحدثت شرخا أعمق في مفهومنا للاعتراف و الصراع ، فالانتماء المجالي داخل مدينة الواحة ليس حبيس تمثلاتهم الذهنية الأنطولوجية بقدر ما هو إيتيقا استحضار و استعادة لمجموع الرّوابط القرابية ودلالتها الحميمية في فضاءهم الصحراوي ، هذا الفضاء بالنسبة لهم هو القصر و الواحة ، من الممكن أن نعتبر التمثلات الإجتماعية واقعاً فريدا من نوعه يدل على رسوخ بنية الوعي الجماعي وطابعه الإستعلائي ، أو آلة تصنيف الأشخاص و التصرفات ، أو هيئة وسيطة بين الإيديولوجيات و الممارسات ، أو شكلا خاصاً لفكر رمزي له قواعد تشكيل وانتشار خاص به[186]، إن الجماعة الاجتماعية المحلية تسعى إلى إعادة ضبط أنماطها الحياتية من خلال تمثلاتهم للحضرية ، يطرحون باستمرار مسألة الهوية المجالية في خطاباتهم المتكررة للمجال الموضوعي (l’

[186] نفس المرجع ، ص153

(espace objectif) و المجال الذاتي (l' espace subjectif) في اضطرابات المسافة الاجتماعية[187] ، فهي تعيد إنتاج مسافة اجتماعية وثقافية محدد في تجمعاتهم السكنية داخل القصر وخارجه ، إنها تسعى إلى الحفاظ على علاقات الجيرة القديمة في شكل لحمة اجتماعية تعايشية يعززها المجال المشترك بينهم ، أما بالنسبة لأحيائهم الجديدة خصوصاً الأحياء البعيدة عن القصر مثل حي النصر ، فتمثلهم لها جاف وغير محفز على تقبلها وانسجامهم معها ، عبر تلك العلاقات الثانوية المبنية على المصلحة ، فالقاسم المشترك بينهم هو المجال العام الذي يترجم في غالب الأحيان مجموعة من العلاقات المبينة على الحيطة و الحذر .

2.1.2. البدو المتمدنين وتمثلهم للفضاء الحضري الصحراوي

إن المجال بالنسبة للبدو المتمدنين هو مجموعة من التصورات التي تتجاوز حدود رؤية الساكن لمسكنه و حييه ، أي أنها تمثلات تطبع في أفكارها بعداً أعمق من هذا التحديد الذي يرونه هم نظرة قاصرة في حق المجال كمنتوج ثقافي مرتبط بالبيئة الصحراوية ، فنمط العيش لدى البدو المتمدنين قبل تمدنهم هو ذلك المجال الواسع الذي لا تحده جدران أو زوايا ، ألفو الصحراء و ترعرعوا في كنفها بحثاً عن المرعى و الكلأ و الماء ، هي بالنسبة لهم خزان مليء بالذكريات و الأفكار ، يقول (عبد المالك ، **مبحوث**) أحد البدو المتمدنين من قبيلة سعيد عتبة حيث وجهنا له أسئلة بخصوص الانتماء للمجال وكيف هو تمثلهم له انطلاقاً من السكن ، الحي ، ثم المدينة بشكل عام ، حيث يقول :

" ... أنا وقت نحس أني في الصحراء وقت نكون في بلاصة مفيهاش لا ضوء لا ريزو لا هاتف ، أما ذرك في ورقلة متقولش راني في الصحراء "[188]

[187] عبد الرحمن المالكي ، الثقافة و المجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر و الهجرة في المغرب ، مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية ، المغرب ، ط1 ، 2015 ، ص 55.

[188] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2019

من هذا التصور يمكن لنا أن نختزل طبيعة البدوي وارتباطه بالمجال بشكل أعمق من جانبه المادي الفيزيائي ، يبدو من خلال زيارتنا لأماكن استقرار البدو المتمدنين في مدينة ورقلة ، أن المدينة بالنسبة لهم متنفس اقتصادي واجتماعي تمكنهم من نسج روابط اجتماعية ثانوية مبنية على المصلحة المشتركة ، فالأنماط الحياتية للبدو قبل تمدنهم في حوض ورقلة محملة بنتاج ثقافي واقتصادي مستمد من رحلاتها التجارية في خط يربط بين عمق الصحراء الجزائرية إلى افريقيا السوداء ، وبين المدن الشمالية الأخرى ، فالمجال الذي نشاهده الآن عبر تقاطعاته المختلفة الخاصة بالمخادمة و بني ثور و الرويسات وسعيد عتبة ، "... أي أنه مجال منظم بشكل غير عفوي ، وكل أشكال تنظيم المجال تعبر خلال كل مرحلة تاريخية عن نوع من التنظيم الاجتماعي السائد [189] ، هذه الاستراتيجيات المتبعة في حيازتهم للمجال هي استجابة لتلك الأنماط الحياتية التقليدية ، فالتعدديات الحضرية فضاءات خصبة لتحقيق ذواتهم وتحسين مكانتهم الاجتماعية و الاقتصادية ، إننا نلاحظ من خطاباتهم حول المجال الحضري أبعاد اقتصادية أكثر منها اجتماعية فهم يرون الفضاء الصحراوي الآن عبارة على مجموعة نقاط مركزية تحاكي الحوافز الاقتصادية وتقسيم هذه النقاط المجالية إلى نقاط حية ونقاط ميتة ، فالمتخيل الاجتماعي يمككنا من رؤية المجتمع باعتباره اقتصاداً ، أي منظومة متداخلة من نشاطات الانتاج و التبادل و الاستهلاك ، و هو ما يشكل نظاماً له قوانينه و آلياته الخاصة "[190] ، أما بالنسبة للتصوّرات التي يحملونها اتجاه سكناتهم و حييهم و علاقاتهم مع جيرانهم ، لننطلق من مجموعة أفكار تناقش مضمون التمثلات و الأفكار و السلوكيات التي يحملها البدو بعد تمدنهم ، وكيف يشغلون هذا المجال كجزء من كيانهم المادي و الروحي و القدسي أيضاً ، وهذا ما نلامسه بشكل واضح في التصميم الهندسي لسكناتهم التي نعتبرها مرآة تعكس لنا ثقافة شغلهم للمجال ، يقول **جورج ميد** " ... تكتسب الرموز أهميتها وتصبح ذات دلالة حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها ، نفس المعنى الذي

[189] عبد الرحمن المالكي ، المرجع السابق ، ص 57.

[190] تشارلز تايلر ، المتخيّلات الاجتماعية الحديثة ، تر: الحارث النبهان ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2015 ، ص 95.

كان في ذهن مرسلها أو صاحبها "[191] ، إن الجماعات الاجتماعية البدوية المتمدنة في حوض ورقلة يعطون أهمية بالغة في تخطيط المجال العمراني الخاص بهم في شكل أنساق قرابية ، تحرك وتتحكم في ذات الوقت في ميكانزمات ، وديناميات ، زحفه نحو الامتداد الخاص بهم في غابات النخيل لكل من النسيج العمراني لمخادمي ، و النسيج العمراني السعيدي ، تسميات تجود بها علينا أفواه المبحوثين في تمثلاتهم للمجال العمراني و الفضاء الصحراوي بشكل عام ، هم أيضاً يعيدون إنتاج روابطهم التقليدية في تكتلاتهم الاجتماعية الآنية ، تكشف لنا مدى عمق التفاعلات التي ينسجونها بينهم وبين ذواتهم ، عبر تصاميم مغلقة توحي بوجود تراكمات ثقافية ساهمت في هيكلة هذا المجال بنوع من الخصوصية ، تحفظها مساكنهم المرتبطة بالجزئيات الرّوحية التذاوتية التي تجمع الأسر في علاقات حميمية تتعدى تلك الحواجز المورفولوجية المادية ، إلى تفاعلهم مع فضاءهم الخارجي في الحي و السوق و المسجد و الساحات العامة ، هذه المجالات السوسيوثقافية و الأنثروبوثقافية ما تلبث أن تصبح خزان لذكرياتهم القديمة في الصحراء ، فهي صورة نمطية لحياة قديمة و نمط عيش لازال متجذر في ذاكرتهم المجالية .

[191] محمود عودة ، المرجع السابق ، ص 96 .

2.2. السلطة العائلية احتواء وتنظيم للعلاقات :

كثيرا ما نجد أن علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا يرون أن شذرات البحث السوسيو أنثروبولوجي تعتمد كل الاعتماد على فهم الجماعة المحلية كنقطة مركزية للبحوث الامبريقية (Empirique) الجادة ، التي يعول عليها في الاقتراب من نماذج السلطة التقليدية وتفكيكها ، وتفسير تأثيراتها على الأنماط الحياتية للأفراد و الجماعات الانسانية ، فالرّوابط المكانية و الإيكولوجية للجماعة الاجتماعية الصحراوية هي بمثابة الداعم الأساسي للانتماء و المصير المشترك في ثبات نماذج السلطة التقليدية في تسلسلها الهرمي قاعدته القبيلة ثم العشيرة ثم الأسرة ، لذلك تعتبر السلطة التقليدية أحد المحركات الأساسية التي تمارسها العائلات ، في شكل مجموعة من القوانين و العلاقات المسيّرة لحياة الأفراد الذين ينتمون إليها ، في شكلها المتناسق و المتكامل الذي يساهم في وحدة البناء الاجتماعي من خلال الممارسات و السلوكيات المختلفة ، يقول **إنجلز** أن "... الشرط الأول لوجود الدستور العشيري أنه يجب على أفراد العشيرة أو القبيلة أن يعيشوا معاً في الأرض نفسها " [192]، فهو يحدد ويضبط توجهات الأشخاص من خلال نشاطاتهم و قراراتهم المختلفة ، هذه النماذج السلطوية تستمد في الغالب شرعيتها من المعتقد الديني ، تصوغها الموروثات الثقافية و الاجتماعية في شكل أعراف و عادات و تقاليد تختلف من مجموعة إلى أخرى ، يتشاركون في إنتاجية الفعل الاجتماعي وبناء الهابيتوس (habitus) لخلق تصوراتهم الذهنية للسلطة ، إنها بمثابة استعداد مبرمج لآليات الطاعة و الولاء ... ، وادراك الحقائق و المعارف السائدة في تنظيم السلوك وفق دلالات يرى الفاعلون أنها حتمية في اتباع الجماعة واقرارها للأنظمة الاجتماعية المتعلقة بالزواج و الطلاق و الميراث و الملكية و غيرها ، "...إن المنظومة الرمزية بما هي أدوات تواصل ومعرفة تشكل بنيات تخضع العالم لبنيات ، تؤدي وظيفتها السياسية من حيث هي أدوات لفرض السيادة[193] ، فالسلطة هنا تأخذ بعدها الرمزي بين الأفراد لما لها

[192] فريديريك إنجلز ، المرجع السابق ، ص 250 .

[193] بيير بورديو ، الرمز و السلطة ، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط3 ، 2007 ، ص 51.

من احترام و قبول لدى الجماعة المحلية ، نلاحظ أنها تنتقل بشكل تسلسلي منضبط انطلاقاً من سلطة الفوقية للجماعية التي تحدد جملة من القرارات تفضي إلى العمل بها و تأديتها من قبل الأفراد في شكل نظام معقد يكفل حقوق وواجبات كل فرد حتى لا تفقد شرعيتها في الاستحقاق ، ثم بعد ذلك تمرر هذه السلطة إلى العائلة في شكلها المصغر الذي يمكن الجد أو الأب أو الابن الأكبر من ممارستها داخل الأسرة للحفاظ على متانة العلاقات و الروابط العائلية داخل المجال الاقاماتي ، فهي أقرب منها إلى المرجع الاجتماعي فمن الصعب تصور عمل ملموس من نظام متكامل يكفل الحقوق و الالتزامات المتبادلة بين أفراد المجتمع "[194] ، فالسلطة التقليدية للمجتمعات الصحراوية تمرر رسائلها الضمنية و العلنية في أشكال عاطفية تنمي روح الجماعة في علاقة تذاوتية تطرح من خلالها انشغالات الأفراد المتعلقة بالنظام المعيشي الصحراوي ، يحدد من خلالها الدور و المكانة التي يشغلها كل فرد داخل المسكن وخارجه .

1.2.2. تاجماعت بين روح الماضي ونبض الآتي :

إن مورفولوجيا التجمعات العمرانية القديمة ما هي إلا محاكاة للأنماط الحياتية بدقة ، كون هذه التجمعات جاءت تلبية للحتمية الايكولوجية و الخيارات الثقافية ، نجد أنها مدمجة في أجزاء المسكن الداخلية و الممرات الخارجية للحي و الساحة و السوق و المسجد ، كلها كيانات مادية لها وظائفها داخل النسق الاجتماعي ، أي أن هذه التصميمات الهندسية ليست وليدة الصدفة أو نسخ لمواقع أخرى من الأبنية ، بل هي تراكمات ثقافية و اجتماعية و اقتصادية أدت إلى خلق دينامية متساوية بين التجمعات العمرانية و الاحتياجات البشرية ، و المثير للدهشة و التساؤل في ذات الوقت داخل قصر ورقلة إلى جانب ما يحمله من هياكل غامضة و معقدة في وظائفها ، وجود فتحات صغيرة مربعة الشكل تتوسط الجدران الخارجية للمساكن ، نلاحظها بشكل مباشرة عند تواجدنا

[194] Talcott Parsons , The Social System , This edition published in the Taylor & Francis e-Library , The British Library , 2005, P 08 .

في ممراته الضيقة ، أخبرنا أحد المبحوثين أن وظيفة هذه الفتحات الهندسية الصغيرة هي توفير الاضاءة ، حيث يعمد القاطنون داخل القصر العتيق إلى وضع مصابيح زيتية تعمل على الاضاءة الليلية في كامل تفرعات و ممرات القصر ، بجانب هذه الفتحات نجد أماكن مخصصة للجلوس (**أنظر الصور رقم : 20.21**) ، يمكن أن يجتمع فيها أكثر من عشرة أفراد ، من هنا جاء مفهوم تاجماعت أو توكدودت و هو أحد أشكال التجمعات المتعارف عليها عند السكان المحليين ، هذه الأماكن تتوزع عبر هذا النسيج العمراني التقليدي ، يجتمع أفراد كل القبائل و العشائر في هذه النقاط المركزية الهامّة في تنظيم شؤون الأسرة و الحي وصولا إلى الواحة ثم القبيلة ككل ، هذا التنظيم الذي يسمونه تاجماعت يحدث يومياً في أوقات محددة ، يخبرنا بعض المبحوثين أن هذه الاجتماعات روتينية يومية من الصباح الباكر أي قبل خروجهم للعمل في الواحات و بعد صلاة العصر إلى وقت المغرب تقريباً ، حيث تقول (زينب ، إخبارية) :

"... احنا في لقصر كاين لكبار تاع لقصر هوما إلي يحكمو القرارات تاع الأسر و المجتمع ترجع ليهم ، يعني تقريباً لقصر هو عبارة على أسرة كبيرة ، الجماعة تاع القصر عندهم مكان يقعدو فيه عندهم وقت باين من بعد العصر حتى للمغرب يتناقشو في أمور تاع لقصر" [195]

إن تاجماعت هنا في حوض ورقلة يمثل أحد أهم أشكال التنظيم الاجتماعي للجماعة المحلية ، فهو بالنسبة لهم رمز من رموز السلطة التقليدية ، بقيادة ضبطية الجماعة المكونة من عدد من كبار السن الذين لهم دراية واسعة بالعادات و التقاليد و الأعراف الاجتماعية ، يجتمعون في هذه الأماكن لتحديد ماهية الحياة الاجتماعية للأفراد المنتمون إليها عرقيا ، من الأماكن التي يجتمع فيها الأفراد داخل القصر العتيق حسب ما أخبرنا به (العيد ز ، إخباري) هي :

[195] مقابلة مع إخباري ، أكتوبر 2018 .

- ✓ **أماكن التجمع الخاصة ببني واقين** : جماعة باب الربيع ، جماعة ندقيش ، جماعة باعياد ، جماعة باهداج ، جماعة نثاوقين.
- ✓ **أماكن تجمع الخاصة ببني سيسين** : جماعة نعروسة ، جماعة نتزيغم ، جماعة سلاحفيا .
- ✓ **أماكن تجمع الخاصة ببني ابراهيم** : جماعة نتوارس ، جماعة نعزي ، جماعة ميزاب امقران ، جماعة ميزاب أكشيش ، جماعة لالة منصورة ، جماعة نتوعبادي ، جماعة نتيربا [196]

أما بالنسبة لبقايا التجمعات العمرانية التقليدية للبدو المتمدنين في مدينة ورقلة لا نجد هذه الأماكن المخصصة لاحتواء رمزية السلطة التقليدية للجماعة المحلية ، فالبدو يملكون أيضا أشكالا رمزية من أنظمة السلطة الذاتية أو الجماعية في تنظيم أنماطهم الحياتية قبل و بعد مرحلة التمدن إلى غاية الآن ، إلا أن الاختلاف الجوهري يكمن في تحديد الأماكن المخصصة للاجتماع داخل النسيج العمراني ، يُجيب بعض المبحوثين أن أماكن الاجتماع غالبا ما يحتضنها أحد ممثلي السلطة المحلية في بيته ، يطلق على هذه الشخصية ذات الهالة الرمزية تسمية الميعاد وهي تسمية أقرب منها إلى الزعامة ، تتمتع هذه الشخصية بقدرتها على المنح و العطاء المعنوي و المادي ، يمكن أن يتجلى لنا الجانب المادي في أمور عدة أهمها تحضير الوليمة الخاصة بالحاضرين من أعيان القبيلة أو القبائل الأخرى قبل بداية الاجتماع ، هذه الوليمة تعكس في أذهانهم قيمة المكانة الاجتماعية و الاقتصادية لممثل السلطة التقليدية ، أيضاً تعكس لهم مدى قدرته على احتواء المشاكل الفردية و الجماعية المتعلقة بالنزاعات المتمثلة في حوادث القتل أو الطلاق أو الملكية و الميراث ... ، أيضاً المتعلقة بالمناسبات الدينية و الثقافية المتمثلة في الزواج و أشكال التضامن الآلي الأخرى ، هذه القدرة تمنح صاحبها نوع من الاعتراف الجماعي بأحقيته في ممارسة هذا النموذج من الزعامة ، يمتد تأثيرها إلى باقي التحالفات الأخرى القائمة بين القبائل في كل من بني ثور و لمخادمة

[196] مقابلة مع إخباري ، أكتوبر 2018 .

و سعيد عتبة ، في البنيات الاجتماعية التي توضح لنا قيمة ترابط العلاقات الاجتماعية التذاوتية بين الأفراد و الجماعات منذ احتلالها وتملكها للمجال الصحراوي .

يبدو أن التغير في بنية الأسرة وانتقالها من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية و كذلك التغير في علاقات الجيرة و السعي نحو التغيير و الإندماج في الحياة الحضرية الحديثة قد أثر بشكل واضح على جملة العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ، مما جعل رمزيتها تتراجع نوعاً ما في بعض السلوكيات و التفاعلات الناتجة عن اندماج الأفراد في السلوك الحضري ، يرى عبد القادر خليفة أن "... تشكيلها وصياغتها جاء تجاوبا مع التحولات في إطار مجتمع وطني غالب دون فقدان الهيكلة الإجتماعية التقليدية و الأصيلة المعبرة عن الهوية الإجتماعية "[197] ، غير أن الملفت للانتباه أن هذه النماذج من السلطة التقليدية لمجموعة السكان المحليين أو مجموعة البدو المتمدنين ما تلبث أن تعيد أواصرها من جديد في المجتمع الصحراوي ، ولعل دور القبيلة أو العشيرة لازال قائماً في ذهنية الأفراد ، فلا يمكن الجزم هنا أن أنظمة العلاقات الحديثة التي أفرزها المجتمع الحضري الاستهلاكي ، قد أحدثت قطيعة مع أنظمة العلاقات التقليدية التي أفرزها المجتمع الزراعي سابقاً ..! ، فرغم التحولات الاجتماعية و الثقافية و السياسية التي تمر بها المجموعات الاجتماعية في فضاءاتها الحضرية الصحراوية من نماذج أكثر تعقيدا في هياكل مؤسساتها التنظيمية المحلية ، بعد ظهور السلطة الحكومية المركزية و تفعيلها لآلياتها الحديثة و تأثيرها على هياكل التنظيمات الاجتماعية ، إلاّ أن دور المؤسسة التقليدية الجماعية لازال يؤثر في الأنماط الحياتية الحديثة لأفرادها ، نلاحظها في نماذج السلطة الرمزية الضمنية و العلنية ، تحتفظ بها الأعراف و العادات و التقاليد التي تحتويها البنى الإجتماعية لغاية اليوم .

[197] عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو أنثروبولوجية لمدينة تقرت (واد ريغ) ، مرجع سبق ذكره ، ص 359.

2.2.2. لالة منصورة : وعاء ثقافي واجتماعي مليء بالطقوس

إن وجودنا في ميدان الدراسة قادنا إلى تتبع مظاهر بعض الاحتفالات التقليدية الصحراوية باعتبارها مخزون ثقافي واجتماعي مرصع بالكثير من الدلالات الرمزية و القيمية في مخيال الجماعة الاجتماعية ، تعد الثقافة في دلالتها الأنثروبولوجية بمثابة النص الرمزي القابل للفهم و التأويل[198] ، و التي يمكن من خلالها فهم أنظمة العلاقات و التفاعلات و السلوكيات وما تحتويه من رموز و هياكل بنيوية ، تسدل الاحتفالات و المناسبات الثقافية و الدينية سُتر الغموض الذي يشوب صُروحها القدسية ...، لقد كان لنا لقاء مع بعض الاخباريين الفاعلين و الممثلين لنموذج السلطة التقليدية تاجماعت في تقاطعات النسيج العمراني الخاص ببني ابراهيم أين يتم الاستعداد لافتتاح احتفالات شهر أفريل في أيامه 26،27،28 سنة 2018 ، احتفالات سنوية بسيطة تخلو من مظاهر الترف يشارك فيها الأطفال و النساء و الرجال على اختلاف شرائحهم الثقافية ومكانتهم الاجتماعية ، تعطي للملاحظ بعدا أعمق في فهم قيم الترابط و التماسك الإجتماعي و التضامن الآلي في المجتمعات الصحراوية.

نلاحظ تجمع العديد من الأفراد داخل القصر العتيق و انشغالهم بتقسيم الوظائف و الأدوار ، ربما يغيب الدور الأساسي الذي يمثله **أمغار** إلا أن رمزيته بقيت حاضرة لدى الجماعة في ممارستها للسلطة التقليدية ، يتفقون على جمع الطعام و المال وبعض العطور التقليدية المحلية من قبائل بني سيسين وبني ابراهيم وبني واقين تمهيدا لعيد القصر العتيق بعد ضمه إلى المعالم الأثرية ، أيضاً الاحتفال بباب رابعة و الأهم هنا هو الاحتفال بلالة منصورة (**أنظر الصور رقم 3.2.1**) ، العروس الشبح كما يصطلح عليها بعض الباحثين في تسمياتهم ، إن تفاصيل هذه القصة الواقعية تعود إلى اختفاء منصورة في يوم زفافها حياء من والدها ، بعد أن فاجأها بالدخول إلى غرفتها وهي

[198] بسام الجمل ، مرجع سبق ذكره ، ص 93.

في قمة التزين و التجمل ، مخالفًا في ذلك الأعراف و القيم السائدة داخل القبيلة و التي تنص في تقاليدها على تفريق العروس عن أهلها من الرجال إلى حين انتهاء مدة الاحتفال بالزواج .

إن الأنماط الحياتية الثقافية و الاجتماعية للجماعات الاجتماعية الصحراوية مبعث للكثير من الطقوس و الاحتفالات التي تحاكي العالم الغيبي كنوع من الاتصال و التفاعل مع أحداثه إنطلاقاً من تقديس الأولياء و الصالحين في تجسيدهم لمخيال الضريح و اعترافهم بالهالة التي يطبعها في عقول المؤمنين به و بخوارقه الكاريزماتية ، يعبر عنها الأفراد بحضور تفاعلي رمزي تصوغها الإحتفالات و الولائم و الطقوس الفلكلورية ذات الأبعاد السيميوطيقية ، التي ما تلبث أن تصبح متلازمة لحياة الانسان وتفاعله مع الطبيعة و الفضاء و الكون بصفة عامة ، يرى Richard Weiss أن " ... هناك بعض الصور التعبيرية البسيطة أو وسائل العرض التي تتكرر دائماً كعناصر احتفالية " [199] ، إن العادات و التقاليد و الاعراف و القيم يصطلح عليها إدوارد تايلور بمفهوم جامع يندرج ضمن الثقافة ، يقول Brandon D . Lundy " يجب أن يكون الشخص قادراً على إلقاء نظره على فضائه المادي عبر جماليات المجال كقطعة فنية "[200]، إن الفضاء الصحراوي في مدن الجنوب الجزائري مليء بالذاكرة الطقوسية التي تحتاج إلى نبش في محتوياتها و العمل على استرجاعها عبر تحليل الممارسات و السلوكيات ، إنها براديكمات يمكن لها أن توصلنا إلى فهم المرئي و الغير مرئي في أنظمة العلاقات الاجتماعية ، أيضاً بنية الوعي و اللاوعي تراتبية سيكولوجية تظهر في أبنية من العلاقات التذاوتية ، يرى أيضاً موريس أنه يجب "...إعادة النظر في نتائج فينومينولوجيا الإدراك الحسي ، و العمل على تعميقها و الوصول بها إلى بلورة أنطولوجية[201] ، إنها أبنية حضورية مقدسة بين الذات و الآخر الكيان الخارق في تمثلاتهم و تعبيراتهم و تصوراتهم للحياة و الكون ، سيرورة قيمية يأخذها الإنسان من مجاله وبيئته المحمّلة بموروثات ثقافية واجتماعية مشحونة بالرمزيات المقدسة ،

[199] علي حسن الصغير ، مرجع سبق ذكره ، ص 167.

[200] Brandon D . Lundy , The art of anthropology / The anthropology of art , Newfound Press The university of tennessee libraries , Knoxville , Virginia , 2011 , P02 .

[201] موريس مورلوبونتي ، المرئي و اللامرئي ، مرجع سبق ذكره ، ص23.

لذلك نرى أن علم الإنسان الأجدر في اقتحام هذه المضامين التي تكون في الغالب خفية داخل النظام الاجتماعي للمجتمع ، أما الظاهر فيها يمكن ملامسته بشيء من الوضوح من خلال العادات و التقاليد الاحتفالية .

يجتمع الأهالي في الساحة بجانب أحد أبواب المدينة العتيقة وهو باب عمر في منطقة بني ابراهيم ، هذه المنطقة العمرانية بالذات هي مهد أسطورة لالة منصورة ، قصة تعود إلى عقود من الزمن يرويها لنا عدد من المبحوثين ، تحتفظ بحيثياتها الغامضة ذاكرة أفراد القبيلة في سردهم لأحداثها وتفاصيلها الدقيقة وتمثلاتهم لهذه الأحداث ، إن أسطورة لالة منصورة ليست كغيرها من الأساطير التي بقيت حبيسة الأبيات الشعرية الملحونة أو مجرد قصة يرويها الآباء و الأمهات لأبنائهم فقط ، بل هي أسطورة يجسّدها أهلها (بني ابراهيم) واقعيا من خلال إعادة تمثيل أحداثها من جديد ، نلاحظ في تجليات الأنماط الثقافية الصحراوية أن النساء تحظى بمكانة اجتماعية تمكنها من حفظ الموروث الثقافي و الاجتماعي ، إنها إن صح التعبير خزان للذّاكرة الاجتماعية وحاوية فكرية ومعرفية تجتمع فيها العادات و التقاليد ، يصنعن قبل فترة الاحتفال أنواع من البخور المحلي ويعملن على تزيين السرير بالحلي الفضية وبعض الأقمشة القديمة (الحولي ، الفولارة) التي يقال أنها من بقايا أغراض لالة منصورة يحتفظون بها لهذا اليوم المقدس من كل سنة ، "... قد تكون العلاقة في الرمز بين الرامز (le symbolisant) و المرموز إليه (le symbolisé) نازعة إلى شيء من الثبات [202]"، تحضر جماعة تمغارن وجبة العشاء قبل يوم الاحتفال يوضع بعدها السرير المهيأ للعروس في ساحة بني ابراهيم ، سرير مصنوع من سعف النخيل في شكل هرمي ، يلتف حوله الحاضرون يراقبونه في ذهول وغرابة ، يعتقد الكثير منهم أن السرير يهتز وهي اشارة تدل على صعود لالة منصورة وقعودها في داخله ، يزين هذا المشهد فرقة موسيقية تعزف إيقاعات يمتزج فيها صوت المزمار مع قرع الطبول في صورة فلكلورية مهيبة ، يجتمع الرجال في حلقة دائرية يرفعون أيديهم للدعاء ، بعد اهتزاز السرير بثواني تعطى الاشارة لرفعه على أكتاف أربعة رجال من نفس التسلسل العائلي الذي تنتمي إليه لالة منصورة ، تجتمع النساء

[202] بسام الجمل ، المرجع السابق ، ص 23 .

و الفتيات على أخذ شيء من التراب تبركا به فهو يحمل بالنسبة لهنّ السعادة ويقرب موعدهنّ للزواج ، بعد حمل السرير و الإلتفاف به في شكل حركة دائرية ممزوجة برقصة فلكلورية تحمل تعبيرات سيكولوجية مفعمة بالفرح و السعادة ، ثم يتجهون معا إلى مكان يسمى بابا منون أين يقيم أقارب لالة منصورة ، سواء داخل القصر العتيق أو خارجه في الامتداد العمراني التابع لبني ابراهيم يتبعهم الحضور وترافقهم الفرقة الموسيقية التي يهتز لوقعها الرجال و النساء ، يعيدون احياء طقوس هذا الزواج في مخيالهم وتمثلاتهم الأماكينية ، يتجهون بعدها إلى ضريح سيدي عبد الرحمن تبركا بزيارته ، ثم يعودون أدراجهم إلى نقطة الانطلاق الأولى معلنين انتهاء مراسيم هذا الإحتفال .

يرى دور كهايم أن الطقوس تشكل جوهر المجتمع ، وهي تمد الفاعلين بمعان لأفعالهم ، وتضبط إيقاع الحياة الاجتماعية و الحياة الداخلية "[203]، إن استحضار الطقوس الاحتفالية الخاصة ب لالة منصورة تحيلنا إلى مضامين أخلاقية تحاط بها الفضيلة و المآثر الحميدة التي بقيت عالقة في الذاكرة الشعبية التقليدية ، فالحياء ليس حكر على النساء فقط بل هو صفة حميدة مميزة للرجال كذلك وملازمة للشرف و الكرم والرفعة ، إن النظرة الجوهرية للخير منسجمة مع الاعتراف بوجود شيء يؤدي تأمله إلى الاستحواذ على احترامنا [204] ، كمنبع أخلاقي يمكن أن ينهل منه الحاضرون قدر المستطاع في تجليات هذه الاحتفالات البسيطة المجتثة من ماضيهم البعيد ، والمعبرة في ذات الوقت عن أنماطهم الحياتية التقليدية ، إن وظيفة المقدس في طقوس الاحتفال هي تجديد الأواصر العلاقاتية بين الذات و الآخر وبين الذات و الكون ، هذه الأواصر هي مبعث للارتياح النفسي و الجسدي ، تتفرع منه علامات سيميوطيقية هي أقرب منها إلى تجسيد صواميل الهوية الجماعية الصحراوية ، ودلالات رمزية تحتفظ

[203] جيامبيترو جوبو ، إجراء البحث الإثنوغرافي ، تر: محمد رشدي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2014 ، ص 337 .

[204] تشارلز تايلر ، منابع الذات تكون الهوية الحديثة ، تر: حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1 ، 2014 ، ص 161.

بارتباطاتها الايكولوجية في احيائها لتراثها الثقافي المادي و اللامادي ، إنها احتفالات سنوية تعيد إنتاج منابع أخلاقية متجذرة في ذواتهم في نوع من الحرص على بقائها و السعي إلى تمريرها إلى أجيال قادمة .

3.2. مجتمع حضري بخلفية بدوي : (السكان المحليين ، البدو المتمدنين)

إن تتبع مجموع التنظيرات الابستيمولوجية لدى الكثير من الباحثين الأنثروبولوجيا و المهتمين بأشكال تطور الحياة الاجتماعية و أنساقها القرابية ، نجد أنها تحيط بتفكيك القبيلة و العشيرة في معطياتها الامبريقية ، وذلك عبر استنطاق هياكل هذه البنى باعتبارها أحد أهم أشكال التجمعات البشرية القديمة ، لقد خاض في هذه المفاهيم الكثير من العلماء و الباحثين و الرحالة المستكشفين لهذه الحلقة من التجمعات الاجتماعية المنفتحة و المنعزلة في كثير من نقاط العالم ، حيث كان النصيب الوافر من هذه الدراسات يقبع تحت مظلة البحث الأنثروبولوجي منذ بداية القرن التاسع عشر ، كل هذه الانتاجات الضخمة في علم الانسان ماهي إلا حلقة من البراديكمات التي يمكن أن تزود القارئ بنظرة مستفيضة حول أشكال الثقافات الاجتماعية المتنوعة و أنماطها الحياتية باختلاف نقاطها الجغرافية وبنيتها الإيكولوجية ، إلا أن الملاحظ هنا في الدراسات الأنثروبولوجية الآنية في شمال إفريقيا و الجزائر خاصة يجد أن هذه الاشكال من الهياكل الاجتماعية القبلية لازالت تؤدي دورها الثقافي و الهوياتي في الفضاءات الحضرية الجديدة ، ولعل استنطاقنا للعديد من المعطيات التي تفرزها سلوكيات الجماعة الاجتماعية في استراتيجيات التمدن و الاستقرار توحي لنا بوجود العديد من الأنظمة التقليدية التي تمارسها القبيلة في ضبطها للحياة الاجتماعية الخاصة بسيرورة الأنماط الحياتية للأفراد و الجماعات التابعة لها عرقيا رغم سنوات التمدن و الاستقرار ، إنها بالفعل تحديات و تجليات واضحة يعبر عنها المجال الصحراوي لمدينة ورقلة في تقاطعاته المختلفة .

إن تنظيم المجال الخاص بالمجموعات الاجتماعية وتموضعها داخل هذه الفضاءات الصحراوية في شكل تكتلات من الأنسجة العمرانية المتفرقة لم تأتي هكذا صدفة ، بل هي نتاج لتراكمات طويلة جسدتها مجموعة من الروابط و العلاقات و الأنظمة التي يحتويها النسق القرابي و الاجتماعي لكل منها ، في شكل بنى مادية (السكن ، الحي ، المحلات ، المساجد ... إلخ) تم تجسيدها لتملك المجال و الإستقرار فيه ، فالهوية العمرانية تعبر عن تلك الروابط

الاجتماعية و القرابية لقاطنيها ، قادتنا الدراسة الميدانية في أحياء المدينة إلى وجود آثار البنى القبلية ، هذه البنى تثير لدينا تساؤلات عديدة ، ما هو مستقبل هذه الهياكل القبلية ؟ هل مصيرها الذوبان و الانصهار في النسيج العام للمجتمع الحضري قيد التشكل ؟ ، أم أنها تخلق دينامية تعيد من خلالها أواصر الروابط التقليدية القديمة للحفاظ على الهوية القبلية و استمرارها في المدينة ، يشير أيضاً عبد القادر خليفة أن " ... التنظيم السائد و الواضح هو "بقايا" البناء القبلي ، بالرغم من سنوات التمدن و التثبيت إلاّ أن الشعور بالروابط ودراية كل أفراد المجموعات بالأنساق القرابية وتفرعاتها و الشعور بالوحدة تلك القبيلة أو العرش أو الفرقة مهما كان تباعدها الجغرافي " [205] ، فرغم التطور الذي تشهده مدينة ورقلة من خلال آليات التشييد و البناء و توسيع شبكات الاتصال و التواصل ، وكذلك ظهور نخب اجتماعية جديدة في هذا الفضاء الصحراوي ، و مجموع التحولات المورفولوجية التي أفرزها الواقع الحضري في مركز المدينة كقطب جاذب لم يستطع تفتيت هياكل القبيلة وما تحمله من مؤشرات و دلالات توحي لدى الباحثين أنها لازالت موجودة .

يذهب الكثير من الباحثين إلى أن القبيلة تضمحلّ بمجرد اضمحلال المجتمع التقليدي الزراعي ، وتحوله إلى مجتمع حضري استهلاكي ، هذه التحولات تفضي إلى تفتيت أشكال التضامن الآلي بين الجماعة الاجتماعية ، تمهيدا لبداية خلق نوع آخر من التضامن العضوي نتيجة تراجع نماذج السلطة التقليدية المحلية ، وتسارع اندماج الأفراد و الجماعات في السلوك الحضري ، و ما يحمله من قيم اجتماعية ، و أخلاقية ، و ثقافية ، تجسدها الحضرية كاستجابة لأنماطها الحياتية الحديثة ، يرى إميل دوركهايم أن " ... التضامن الآلي ينهار (Mechanical Solidarity) حينما يتجمع الناس أصحاب الأصول المختلفة في مناطق حضرية ويضطرون إلى التنافس مع

[205] عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيوأنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ) ، مرجع سبق ذكره ، ، ص 265 .

بعضهم البعض من أجل البقاء [206] ، يمكن أن نلاحظ أن الروابط الاجتماعية في مدن الشمال الجزائري مثل الجزائر العاصمة و وهران ، عنابة ، سكيكدة ...إلخ ، هذه المدن السائرة إلى الميتروبول تحقق تنبؤات بعض الأبحاث الاستشرافية حول مصير البنى و الهياكل القبلية ، فالانتماء في هذه المدن ليس انتماء قبلي أو إلى جماعة اجتماعية معينة بل هو انتماء للأماكن و الأحياء و المقاطعات الصغرى ، و الكبرى ، نلاحظها في خطاب الفاعلين و المنتمين إليها في تعبيراتهم المختلفة : أنا ولد باب الواد ، أنا ولد الحراش ... ، إن هذه الأماكن بالنسبة لهم مرجعية هوياتية تمكنهم من فرض نوع من الهيمنة على الفضاء الاقاماتي ، كدليل على الانتماء أولاً و ثانياً كتعويض لغياب الانتماء القبلي و الهوية الجماعية داخل المدينة ، التي يبدو أنها قد تجاوزت تلك المرحلة القبلية أو أنها ذابت في النسيج الحضري العام ، فالمدينة إن صح التعبير متنفس اجتماعي تتداخل فيها أشكال من التنظيمات الاجتماعية ، و تعددية ثقافية تفرزها الجماعات الاجتماعية الاثنية .

إن تتبع مصير هياكل البنى القبلية واقتفاء آثارها داخل المدن الشمالية أمر يؤرق الكثير من الباحثين و المهتمين بالدراسات الأنثروبوثقافية ، لذلك "... لا يمكن ملاحظة الأعراف و العادات الاجتماعية بشكل مباشر ، لكنها تتخذ شكلاً عملياً مادياً في الاجراءات التفصيلية الروتينية اليومية للمبحوثين ، وقواعد سلوكهم في الممارسات الاجتماعية و الأعمال الروتينية التي تفرز ثقافة الجماعة أو التنظيم وتعيد فرزها"[207] ، وبالعودة إلى مجتمع الواحة نجد أنه هذه القبائل قد أخذت حضها الوافر في تقسيم الفضاءات داخل المدينة ، يمكن أن نستحضر بعض أشكال التعبير الهوياتي من أفواه المبحوثين مباشرة : " **أنا مخادمي أو أنا من المخادمة ... أنا من بني ثور ... أنا من السعيد ... أيضاً أنا من القصر**"[208] ، يتساءل البعض عن طوبونيميا هذه الأماكن وارتباطها بمسميات القبائل الصحراوية ، هذه المسميات هي أحد دلائل وجود القبيلة في المدينة رغم سنوات من

[206] محمود عودة ، المرجع السابق ، ص 128 .
[207] جيامبيترو جوبو ، إجراء البحث الإثنوغرافي ، المرجع السابق ، ص 336 .
[208] بعض ملاحظات ميدانية : الباحث

التمدن ، إن المثير حقاً للانتباه أن المدينة زحفت بآلياتها وسلوكياتها نحو هذه الفضاءات العمرانية التقليدية ذات البنى القبلية لكل من الرويسات ، و بني ثور ،و سعيد عتبة ، و المخادمة ، و قبائل القصر العتيق ، فالانتقال هنا هو أحد أشكال التحول من التجمعات الريفية ذات بنى قبلية إلى تجمعات حضرية ذات بنى قبلية أيضاً ، إذا الفارق هنا بين أشكال هذه التجمعات الاجتماعية يكمن في تحول النسيج العمراني فقط من العمران التقليدي الذي يتمثل في القصور المفتوحة للبدو المتمدنين و القصور المغلقة للسكان المحليين ، إلى العمران الحديث الذي نشاهده الآن في تقاطعات المدينة وانتاجاتها السوسيومجالية ، هنا تجدر الاشارة إلى أن بورديو حريص تماماً على إظهار البنى و المكان الاجتماعي باعتباره مشغولا من قبل الأفراد ، ولذلك يعترض على المنهجية الإثنية (الإثنوميثودولوجي) التي تزعم أن البنى تعمل في فراغ ، فالمكان الاجتماعي يتضمن البنى و التصورات التي يكونها الفاعلون عنها "[209] .

إن تتبع الحركات المجالية للسكن و التساكن و استراتيجياته في الفضاء الحضري الصحراوي ، يحيلنا إلى ثنائية سوء التنظيم الاجتماعي (Désorganisation sociale) و اعادة التنظيم الاجتماعي (Réorganisation sociale)[210] ، فالحركة المجالية العمرانية يمكن أن نفسر ديناميتها في بادئ التحولات كنوع من الصراع بين ما هو حتمي اجباري و ما هو ثقافي اختياري ، لذلك نرى الآن نماذج واضحة من إعادة التنظيم الاجتماعي للجماعات الاجتماعية الصحراوية ، يعيدون انتاج الرّوابط التقليدية المبنية على الانتماء القبلي و العشائري ، أي أن القبيلة في الصحراء لم تنصهر بعد في المجتمع الحضري الاستهلاكي الجديد ، فهي تسعى إلى إعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية في شكل أنماط حياتية تحاكي و تساير التطور و التحول من السلوك القروي إلى السلوك الحضري ، فالعلاقة التذاوتية التي يحملها الأفراد و الجماعات هي دلائل واضحة تفسر ما يحملونه من مرجعية فكرية مرتبطة

[209] محمد عبد الكريم الحوراني ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص 79 ، 80 .

[210] عبد الرحمن المالكي ، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة ، مرجع سبق ذكره ، ص 109.

بالعادات و التقاليد و الأعراف ، تظهر في كل من الاحتفالات و الممارسات و الشعائر و غيرها ، هي بالنسبة لنا بمثابة طروحات ثقافية ساخنة تحمل في طياتها العديد من التصورات حول النظام القبلي في شكله الرمزي و السلطوي ، لذلك ينبغي الإشارة إلى أن المجتمع الحضري في الصحراء ، هو مزيج متنوع من الهياكل التنظيمية البدوية ، أي أن القبيلة لم تفقد دورها داخل المجتمع الصحراوي الآني ، بل لا زالت تنتج أنظمة من العلاقات الاجتماعية التي لا تبدوا واضحة في شكلها الظاهر كما كانت من قبل ، إلا أنها تسير الحياة الاجتماعية للأفراد المنتمين إليها .

3. التساكن : استراتيجيات معقدة تطرحها المدينة الصحراوية

إن الاقتراب الميداني المحمّل بالإرتكازات النظرية و الإرث التحليلي لمدرسة شيكاغو في فهمها لسوسيولوجيا التحضر ، يدفعنا إلى تفكيك هذه المسارات المعقدة التي تسلكها الجماعات الاجتماعية الصحراوية بحذر ابستيمي منهجي ، كون هذه الإستراتيجيات غير واضحة وغير دقيقة في ذات الوقت ، ربما تظهر كنتيجة للكثير من التحولات المؤثرة في أنظمة العلاقات الاجتماعية وسيرورة السكن و التساكن داخل النسيج العمراني ، إلا أنها تخفي استراتيجيات أخرى ضمنية يصعب تفسيرها و تحليلها ، يرى رادفيلد أن " المجتمع الحضري نموذج مناقض لمجتمع الفولك (الريفي)[211] ، من هذا المنطلق نحاول أن نفسر دينامية هذه العلاقات داخل الأنظمة الإجتماعية التقلدية ، عبر تتبع مسارات التساكن لكل من البدو المتمدنين و مجموعة السكان المحليين ، إن استمرار هذا البناء ليس استمرارا ستاتيكيا كاستمرار مبنى من المباني ، وإنما هو استمرار ديناميكي يشبه استمرار البناء العضوي للجسم الحي ، فالكائن العضوي يتجدد بناؤه باستمرار طيلة حياته ، وكذلك الحياة الاجتماعية تتجدد باستمرار البناء الاجتماعي[212] ، نتساءل هل أثرت الحركية المجالية على الخصوصية التقليدية لأنظمة العلاقات الاجتماعية للأفراد و الجماعات..؟ ، أم أنهم يعيدون إنتاج مختلف الرّوابط الإجتماعية التي كانت تضبط أنماطهم الحياتية في أحيائهم القديمة ، قبل التطرق إلى الشروع في التحليل و الاستنتاج وجب علينا توضيح النتائج المتحصل عليها من الميدان ، وذلك من خلال المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين طيلة الفترة الممتدة بين سنة 2017 إلى بداية سنة 2019 ، نلخصها في الجدول التالي :

[211] Guy Rocher , Introduction a la sociologie générale , l’organisation social , éditions hmg , Paris , 1986 , P 88 .

[212] حسين فهمي ، قصة الانثروبولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د ، ط) ، 1986 ، ص 131

جدول (09) : يوضح سيرورة تحولات التساكن في مدينة ورقلة

تحول السكن	عدد الأسر	النسبة %
التغيير الحتمي للسكن (التساكن خارج الحي)	23	28.75
تغيير الحي (تساكن اختياري)	37	46.25
تغيير السكن (داخل الحي)	16	20
غير محدد	4	5
المجموع	80	100

المصدر : تحقيق ميداني من طرف الباحث فترة (2017،2019)

من خلال المعلومات التي يختزلها هذا الجدول و التي تظهر في مجموعة من الاحصائيات تبين لنا أن استراتيجيات الأسرة تأخذ منحنى تصاعدي في مسايرتها للسلوك الحضري و التفاعل مع دينامية النسيج العمراني داخل المدينة بشكل عام ، وهو ما يمكن أن نصطلح عليه بالديناميات الحضرية التي تتفاعل من خلالها الأسر في مجالها الصحراوي ، في ثنائية التساكن الإختياري و التساكن الحتمي في ظل التحولات الأنثروبوثقافية و السوسيومجالية في سلوك الأفراد ومسايرتم لواقع التحضر في حوض مدينة ورقلة .

1.3. محددات التساكن لدى مجموعة السكان المحليين "الوراقلة" :

عُرف القصر العتيق منذ القدم كأشهر نسيج عمراني في حوض مدينة ورقلة ، حيث يعتبر من القصور التي لازالت تنبض بالحياة داخل هذا المجتمع ، رغم هشاشة جدرانه و تصدع بنيته المادية نتيجة لعوامل طبيعية و بشرية ، إلا أنه لا يزال صامداً معبراً على نمط السكن الصحراوي المستمد من البيئة المحلية ، على عكس غيره من القصور الصحراوية التي اندثرت و أصبحت من الرواسب التاريخية ، إن الموروث الثقافي و الاجتماعي الصحراوي له دور كبير في تنظيم الحركة المجالية داخل النسيج العمراني في كل من السكن و التساكن ، انطلاقاً من ضبط وتحديد أنماط علاقات الجوار في نمو و توسع النسيج العمراني الذي يعتمد كل الاعتماد على الأنساق القرابية (قرابة الدم ، المصاهرة) ، هذا الترابط الذي نلاحظه في الهياكل العمرانية داخل وخارج القصر العتيق هو ترجمة

للترابط الوظيفي في البنى الإجتماعية لهذه الجماعات الاجتماعية ، و هو ما أكده Bevlin بقوله " ... تظهر هذه الأنشطة الإجتماعية في المجتمعات التقليدية ، مما يؤدي إلى وجود بنى اجتماعية مترابطة وظيفياً [213]، فنموذج السكن داخل القصر العتيق هو نتاج حتمي للبناء الاجتماعي و الذي يتم بموجبه الحفاظ على النسق القيمي في أنظمة العلاقات الاجتماعية ، إن الملاحظ للسكن داخل القصر العتيق يجد أنه مفعم بحيوية تأطرها علاقات الجيرة القرابية بامتياز ، في ظل وجود نماذج من السلطة الذاتية التقليدية للجماعة الاجتماعية في أحياء كل من بني سيسين و بني واقين و بني ابراهيم ، إنها سلطة تاجماعت التي يتم من خلالها تفعيل أنظمة الحياة الاجتماعية ، تقول (زينب ، إخبارية) :

تراجع النشاط الزراعي التقليدي و ظهور البدائل الاقتصادية الحديثة ، أدت نوعاً ما إلى تفكيك تلك الروابط الاجتماعية الأولية لهذا المجتمع[214] .

إن تراجع التركيبة البنائية للأسرة الممتدة وظهور الأسرة الحديثة (النووية) في كل من قبيلة بني سيسين و بني واقين و بني ابراهيم ، نتيجة التحولات المتسارعة و كذلك النمو الديمغرافي الذي أجبر العديد من الأسر نحو التفكير في إعادة هيكلة سكناتهم التقليدية ، هذه الأفكار تجسدت واقعياً في المجال العمراني الخاص بالسكان المحليين ، إن الملاحظ للنسيج العمراني داخل القصر العتيق (**أنظر الصور : 8.9.10**) ، يجد أن بعض الأسر القاطنة فيه قامت بتهيئة سكناتهم بنماذج هندسية حديثة ، من خلال تصريحاتهم نجد أن هذه النماذج الجديدة من السكنات تلبي رغباتهم و ميولاتهم السيكولوجية و الاجتماعية أفضل من النماذج السكنية التقليدية ، أما البعض الآخر فقد اختار التساكن خارج القصر عبر نسيج متراص في شكله البيضوي ، الذي يأخذ من ملكية الأراضي الزراعية مبعثاً للتّوسع عبر فضاءات سكنية أفقية :

[213] علي حسن الصغير ، مرجع سبق ذكره ، ص 111 .
[214] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018 .

الصورة رقم (03) : زحف النسيج العمراني على حساب غابات النخيل (مدينة ورقلة)

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2019/04/05)

من هنا نسعى جاهدين نحو فهم آليات التساكن هل تخضع إلى محددات القرابة أم لا ؟ ، لقد وجهنا هذا السؤال إلى العديد من أفراد البحث أثناء قيامنا بالمقابلة المباشرة ، حيث يقول أحد المستقرين القدامى و هو ينتمي إلى بني ابراهيم (مبحوث) :

" ... السكنات إلي هنا كامل تابعة بني ابراهيم ... جيراني كامل من الأقارب ... كل واحد بنى في غابة والديه ولا جدودو "[215] .

إن آليات التساكن الأسر خارج القصر العتيق لازالت تراعي علاقات الجيرة إلى غاية يومنا هذا ، فالمحدد الأساسي لها هو النسق القرابي لما له من أهمية في تعزيز الأمن و الحفاظ على الهوية الجماعية في المجال الصحراوي الآني ، يشير ماركس في قوله أن "... علاقات التعاون تفرض نفسها على البشر ، في حالة الإنتاج ، مرتضين ذلك ليسيطروا على الطبيعة ، في علاقات اجتماعية "[216] ، فرغم التحولات التي تشهدها مدينة الواحات إلا أنها لم تؤثر على علاقات الجيرة التي تكفلها أنظمة العلاقات الاجتماعية للسكان المحليين ، إن تحليل المعطيات التي بين أيدينا الآن حول موضوع التساكن الحتمي و الذي يجبر بعض الأسر على السكن في الأحياء الأخرى الموزعة في فضاءات المدينة بشكل عام ، وفق مجموع الصيغ المستحدثة في استراتيجيات الاستفادة من السكن في تنظيم قوانين الاصلاح و التعمير داخل مدينة ورقلة (الاجتماعي ، الهش ، الوظيفي ، التساهمي ... إلخ) ، نجد أن العديد من المستفيدين من هذه النمذج من الصيغ يريدون بيع سكناتهم و العودة إلى بناء سكنات أخرى في أحيائهم القديمة ، إن تفكيك تمثلات الساكنين لأحيائهم القديمة تهدف إلى إعادة إنتاج تلك الروابط التقليدية و السعي نحو المحافظة عليها رغم هذه التحولات يرى خليفة عبد القادر إلى أن " ... التضامن القرابي في المجموعات

[215] مقابلة مع مبحوث ، أكتوبر 2018

[216] أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، مرجع سبق ذكره ، ص 110 .

الاجتماعية يتخذ شكل حلقات دائرية تضعف كلما ابتعدت عن المركز أي قوة نواة القرابة ، مركز العائلة أو العشيرة " [217].

إن تحليل خطابات الفاعلين المنتمين إلى الجماعة الاجتماعية للسكان المحليين في فهمنا لآليات السكن و التساكن ، و التي لامسناها في أشكال التفاعلات و الممارسات اليومية التي تبدو أنها سلوكيات حضرية في ظاهرها إلا أنها لازالت تخضع إلى تأثير روابط النسق القرابي ، نجد في خطاب أحد المستقرين القدامى ينتمي إلى قبيلة بني ابراهيم (**مبحوث**) يوضح لنا سيرورة عملية التساكن رغم التطور و الاندماج في الحياة الحضرية حيث يقول :

" النسيج العمراني للأحياء القديمة في القصر يعتمد على القرابة بالدرجة الأولى أي أن علاقات الجيرة تربطها علاقات قرابة (رابطة الدم ، المصاهرة) ، بعد تهالك أغلب سكنات القصر و تزايد النمو الديمغرافي حيث أصبحت تلك السكنات التقليدية غير قابلة في طاقة استيعابها لأفراد جدد ، كما أن عمليات إعادة التهيئة لهذه السكنات التقليدية تصطدم بعدة عوائق أهمها النسيج المتراص للقصر العتيق الذي لا يسمح بالتغيير و الزيادة ، و أيضاً عوائق إدارية بخصوص إعادة البناء لأن القصر أصبح مصنف كمعلم أثري ، كلها أسباب أدت إلى انتقالنا إلى هذه الأحياء الجديدة ، لكن بقيت الروابط التقليدية التي تحدد علاقات الجيرة عند القاطنين هنا "[218]

إن تساكن أغلب الأسر في هذه الجماعة الاجتماعية (بني سيسين ، بني واقين ، بني ابراهيم) دائماً يخضع إلى منطق التدرج في السلالات القرابية وتنظيمها لعلاقات الجيرة في نسيجها العمراني ، وجدنا نسبة 90% من الفاعلين يتفقون على أهمية ترسيخ العلاقات التقليدية للجيرة ، فهي تساعد حسب رؤيتهم على توطيد علاقات

[217] عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيوأنثروبولوجية لمدينة تقرت (وادي ريغ) ، مرجع سبق ذكره ، ص 280 .

[218] مقابلة مع مبحوث ، نوفمبر 2018

التعاون و التآزر و الحماية ، وكذلك هي وسط يشجع على تلقين التنشئة الإجتماعية و العمل على تهيئة الأفراد وتشبعهم بالقيم و الأخلاق و العادات و التقاليد الموروثة عبر الأجيال .

2.3. التساكن لدى البدو المتمدنين : أبعاد و غايات

إن مجموع الزيارات الميدانية المتنوعة في الفترة الزمنية الممتدة من سنة 2017 إلى بداية سنة 2019 و التي كانت وجهتها نحو الفضاءات العمرانية الخاصة باستقرار البدو المتمدنين ، على اختلاف مجموعاتهم الاجتماعية في كل من بني ثور و الرويسات و المخامة و سعيد عتبة ، هذه الفضاءات التي أصبحت تعج بالمحلات التجارية بفعل قربها من وسط المدينة و تأثرها بالتحولات الاقتصادية و الاجتماعية ، إن هذا التنوع الإقتصادي كان له أثر جد واضح على مستوى تحولات السكن و التساكن ، لقد بدأت تلك الحدود التقليدية و التقاطعات المجالية تضمحل شيئاً فشيئاً في الفضاءات العمرانية لكل من بني ثور و الرويسات ، بناء على ما توصلنا إليه من معطيات اختزلناها في هذا الجدول :

جدول (10) : محددات علاقات الجيرة في مدينة ورقلة حسب العينة

محددات علاقات الجيرة	عدد الأسر	النسبة %
علاقات الجيرة المبينة على (الحتمية أو الاجبارية)	23	28.75
علاقات الجيرة المبنية على (قرابة ، مصاهرة)	20	25
تحول علاقات الجيرة (اختيارية ثقافية)	32	40
غير محدد	5	6.25
المجموع	80	% 100

المصدر : تحقيق ميداني من طرف الباحث فترة (2017،2019)

نلاحظ أن محددات التساكن التي كانت مبنية على أسس قرابية في تنظيم علاقات الجيرة ورسمها لمعالم النسيج العمراني نجد أنها قد تغيرت لدى كل من قبيلة بني ثور و الرويسات ، يبدو لنا أن هذه الجماعات الاجتماعية تعطي لنا تصورات حيوية أكثر تعقيدا من ذي قبل ، يمكن أن نلاحظها ببساطة في خطاب الفاعلين وجود ملامح واضحة للفردانية ، فتحول بنية الأسرة من الأسرة الممتدة إلى الأسرة الحديثة (النووية) تزامنا مع تحول هذه الجماعات الاجتماعية الزراعية التقليدية إلى مجتمع حضري استهلاكي يبعث على الكثير من التساؤلات حول مصير الأنظمة الاجتماعية التقليدية في الفضاء الصحراوي ، يرى **إنجلز** " ... أن كل سلطة سياسية ، إنما تستمد منشأها من وظيفة إقتصادية للمجتمع ، فهي تنمو وتتطور بمقدار ما يحول انحلال المشاعية البدائية ، أعضاء المجتمع إلى منتجين خاصين"[219] ، إن تشظي جزئيات أنظمة العلاقات الاجتماعية التقليدية للجماعة البدوية و انقسامها إلى فضاءات مختلفة وسط المدينة ، هو تعبير واضح على تحول استراتيجيات الأسرة في تحديد و اختيار أماكن استقرارها بعيداً عن تكتلاتها الإجتماعية التقليدية ، يخبرنا (محمد ، إخباري) ينتمي إلى قبيلة الرويسات بعد اجتماعنا به في أحد المقاهي الموجودة في منطقة الرويسات ، شد انتباهنا صديقه الذي كان بصحبته و الذي يبدو من لهجته أنه لا ينتمي إلى البدو المتمدنين فقد كانت أقرب إلى لهجة سكان الشمال ، بدأت المقابلة حول فهم أثر التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية على هذه الجماعة الاجتماعية البدوية و تمثلاتهم للمجال الحضري الجديد :

" ... نحكو على الرويسات لأنك تقدر تقول أنو الرويسات وبني ثور قبيلة وحدة وراهم مختلطين في بعضاهم من زمان ، قبل كانت ديار ديار ساكنة هنا كيما راك تشوف يعني راس راس هذا علاه سموها الرويسات ... وبعد استقرارنا هنا في الجيهة هذي كانت كل عايلة تسكن في مكان معين وأك تعرف كبر العرش وتعمرت لبلاصة هذي وكل واحد بنى سكنة بالطوب و السيما وتغيرت الحالة على قبل ، لكن بقت

[219] أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، مرجع سبق ذكره ، ص 101 .

الجيرة نفسها تلقى جارك من نفس اللقب الأب أو الأم ، الجار قبل الدار من بكري نعرفوها ، لكن الحالة ذرك تبدلت تقدر تسكن في أي بلاصة في ورقلة ... هذا صاحبي راه من بجاية خدام هنا و يسكن هنا في الرويسات بوليداتو "[220] .

إن آليات التساكن في جوهرها ما تلبث أن تصبح ترجمة لأنماط حياتية معبرة عن السلوكيات الحضرية للأفراد و الجماعات ، لذلك نجد أن أغلب المبحوثين لا تربطهم أنساق قرابية مع جيرانهم ، من خلال تحليل خطابهم نقلا عن أفواههم نستنتج أن تلك الروابط التقليدية على وشك أن تتحول إلى مجموعة أنساق ثقافية تعززها المنفعة المشتركة التي تحتضنها أنظمة العلاقات الثانوية ، فالاندماج الاجتماعي لكل من بني ثور و الرويسات وبعض أحياء المخادمة أدى إلى تحلل المظاهر الاجتماعية التقليدية و تأثيرها على الحركية المجالية للأسرة ، دون اغفال أحد الجوانب الأخرى المهمة التي تشهدها المدينة في توسع ديناميات التعبئة الحضرية و تأثيرها أيضاً على السكن وتحول التساكن ، مجموع الاحصائيات التي تحصلنا عليها من مديرية السكن تبين وجود **24495** وحدة سكنية موزعة في مدينة ورقلة بمختلف أنواعها منذ سنة **2005** إلى غاية اليوم ، هذه المشاريع و المنشآت العمرانية التي نجدها في أنماط مختلفة من السكن العمومي الايجاري و السكن الاجتماعي التساهمي و الترقوي المدعم و الترقوي العمومي و البيع بالإيجار و الإلزامـي ، ساهمت في تفتيت الأنسجة العمرانية التقليدية داخل الفضاءات الصحراوية ، على غرار **10068** وحدة سكنية في طور الانجاز وموزعة على الأحياء الجديدة و القديمة في المدينة:

[220] مقابلة مع إخباري ، نوفمبر 2018

جدول (11) : يوضح البرامج السكنية بمدينة ورقلة

البرامج		المسجلة	المنتهية	في طور الإنجاز
السكن العمومي الايجاري	**PEC**	4500	4500	0
	2009 – 2005	9277	8446	831
	2014 – 2010	11500	7052	4448
المجموع الجزئي 01		**25277**	**19998**	**5279**
السكن الاجتماعي التساهمي و الترقوي المدعم	**PEC**	382	382	0
	2009 – 2005	2765	2472	293
	2014 – 2010	629	500	129
	2018	1000	0	0
المجموع الجزئي 02		**4776**	**3354**	**422**
السكن الترقوي العمومي	**2014 – 2010**	436	189	247
المجموع الجزئي 03		**436**	**189**	**247**
البيع بالإيجار	**2002**	500	500	0
	2014 – 2010	1400	100	1300
	2019 – 2013	3985	0	2600

المجموع الجزئي 04		**5885**	**600**	**3900**
الإلزامـــي	**2009 – 2005**	250	250	0
	2014 – 2010	350	104	220
المجموع الجزئي 05		**600**	**354**	**220**
المجموع العام		**36974**	**24495**	**10068**

المصدر : مديرية السكن لولاية ورقلة ، زيارة ميدانية (2019)

إن أغلب الأسر الآن لا تبحث في أولوياتها على علاقات الجيرة و القرابة بل تسعى إلى تحديث استراتيجياتها في ضوء المنافع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، فالتمايز الطبقي و ظهور النخب الاجتماعية الجديدة أحدث خلل في الأنظمة الاجتماعية التقليدية لدى أغلب الأسر البدوية المتمدنة ، يقول أحد البدو المتمدنين (**مبحوث**) ينتمي إلى قبيلة المخادمة :

" أنا أعمل حاليا في قطاع التعليم عائلتي الكبيرة مستقرة في منطقة بوعامر ، أما بالنسبة لي فقد قمت بشراء قطعة أرضية لغرض بناء سكن مستقل بالقرب من بني ثور نظرا لقربها من مكان عملي ، أيضاً هذا الموقع استراتيجي لأنه قريب جدا من وسط المدينة ، رغم أن الجيران لا تربطني بهم صلة قرابة إلا أنهم جيدون في المعاملة ، أغلبهم يعمل في قطاع التربية و التعليم و لا شك أن علاقتي بهم ستصبح جيدة مع مرور الوقت "[221]

إن التقسيم المعقد للعمل الناتج عن السلوك الحضري الجديد في المدينة الصحراوية و اندماج أفرادها في المهن الحديثة و العمل المأجور و تنوع الدخل الفردي ، أدى إلى تلاشي دور الأنظمة الاجتماعية التقليدية في ضبطها لإيقاع الحياة الاجتماعية الحديثة ، يرى روبرت بارك أنه تم استبدالها بأخرى تقوم على المصلحة الوظيفية و المهنية

[221] مقابلة مع مبحوث ، نوفمبر 2018

"[222] ، أما بالنسبة لتحليل خطاب الفاعلين المنتمين إلى قبيلة سعيد عتبة نجد أن **90 %** من المبحوثين تربطهم علاقات قرابية بينهم داخل نسيجهم العمراني ، و المثير للاهتمام أن قبيلة سعيد عتبة لازالت تحافظ على أنسجة العلاقات التقليدية في تنظيمها للمجال رغم التحولات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ، يرى أغلبهم أن أهمية وجود التجهيزات الخارجية لأحيائهم مثل الدكاكين و المقاهي و المحلات التجارية تساهم بدور كبير في توطيد تلك العلاقات الاجتماعية من خلال الممارسات اليومية .

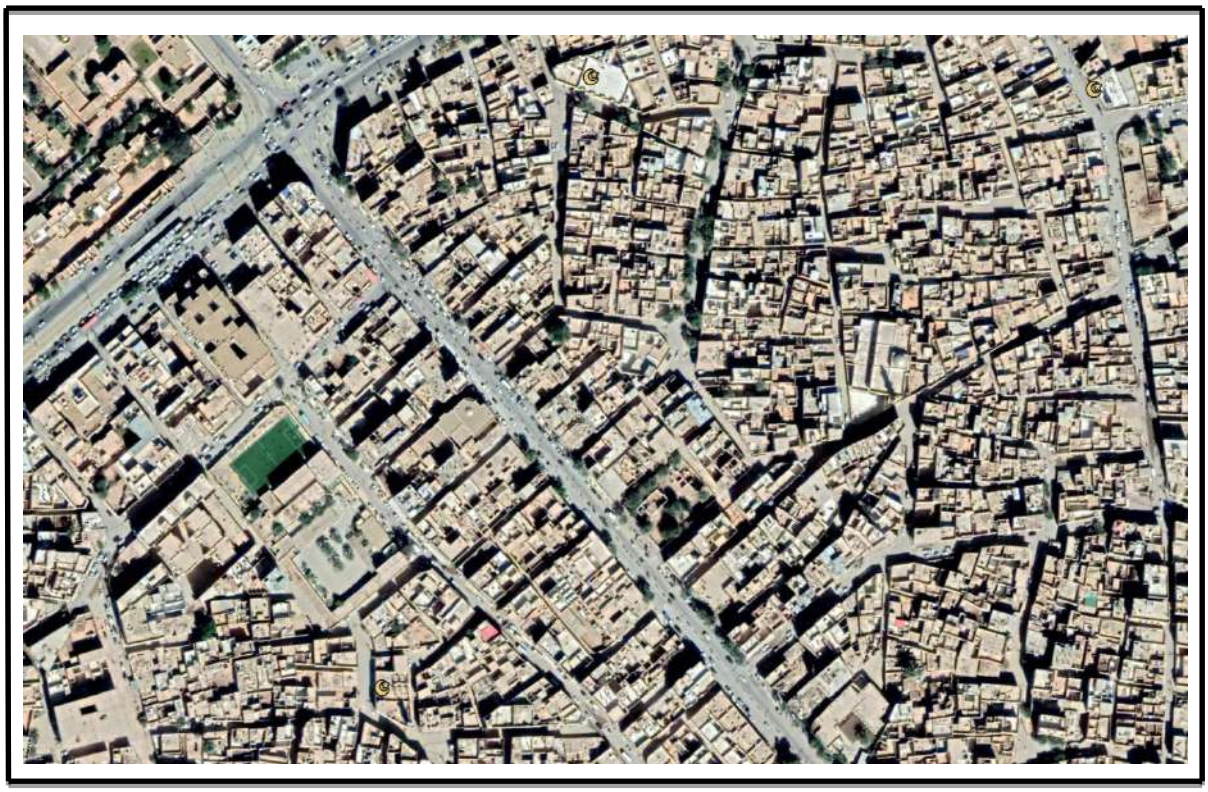

الصورة رقم (04) : تحول السكن من التقليدي إلى المعاصر لدى البدو المتمدنين (الرويسات ، بني ثور)

المصدر : إنجاز الباحث (الإعتماد على تطبيق **Google Earth Pro** ، يوم 2018/10/19)

[222] السيد عبد العاطي السيد ، علم الاجتماع الحضري بين النظرية و التطبيق " الجزء الثاني مشكلات و تطبيقات ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د ، ط) ،1998 ، ص 38 .

3.3. الوافدون الجدد إلى المدينة : اندماج أم إعادة تنظيم

إن أغلب المدن الصحراوية الآن هي أقطاب جاذبة للكثير من الأفراد و الجماعات ، سواء ما تعلق بالدائرة المحيطة و التي يعبر عنها بالأرياف و الهوامش القريبة أو الدائرة الواسعة ، و التي يمكن أن ندركها في النقاط البعيدة للمدن الأخرى ، إن التحضر السريع للمدن قيد التشكل في الجنوب الجزائري ومن بينها مدينة ورقلة كأحد أكبر الأقطاب الجاذبة للأشخاص ، يرى (سليمان ، إخباري) :

" **أن مدينة ورقلة من أكثر المدن التي تستقبل المهاجرين من المدن الآخرى ، و الأقل خروجاً منها** [223]

فالأنماط الحياتية التي نلاحظها الآن في المدينة هي بالفعل سلوكيات حضرية تمارسها المجموعات الإجتماعية بوضوح في المجال الحضري الجديد ما قبل الميتروبول ، إن البحوث الأنثروبولوجية الحضرية لا يمكن فهمها إلا من خلال إسقاط دراساتها على العلاقة بين الثقافة و المجال ، فالتركيبة البشرية التي تحتل الفضاء الآن و تتفاعل معه في أشكال متعددة من نماذج المجموعة الحضرية (Communauté urbaine) ، هي أيضاً مؤشرات واضحة على تحول الأنماط الحياتية الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، فالتحليل السوسيوثقافي و الأنثروبوثقافي للمدينة وتعدد المشارب الثقافية للمجموعات الاجتماعية هو في حد ذاته تباين اجتماعي ، يقول جورج زيمل " ... أن كل مجتمع أصبح يتشكل وفق هذا الإيقاع الحضري الجديد "[224]، فالأفراد و الجماعات يجدون أنفسهم محاطين بمجموعة من الأشكال و العناصر الثقافية التي ينتجها أشخاص آخرين ، تمثل لنا مجموعة من السلوكيات ثقافية واجتماعية حضرية لا يمكن الهروب منها .

[223] مقابلة مع إخباري ، أفريل 2018.

[224] عبد الرحمان المالكي ، المرجع السابق ، ص 41 .

إن مجموع الحركات المجالية المتفاوتة و التحولات التي تفرضها آليات التحضر المتسارعة ، ساهمت في إنتاج نخب اجتماعية جديدة لها وزنها الفاعل في كل من المؤسسات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و حتى السياسية ، إن الحضرية وما تحمله من أشكال في أنماطها المعيشية الحديثة في مدينة الواحات الآن تستهوي الكثير من النخب الاجتماعية ، نجد في بادئ الملاحظة المباشرة أنها تتعايش وفق أنماط من السلوكيات الحضرية التي تفرضها المدينة قيد التشكل ، يطلق عليها جورج زيمل مصطلح العقلنة الحضرية ، فكل من الجماعات الاجتماعية في مدينة الواحات تعيد إنتاج نفسها من خلال توسيع حيازة الفضاء الصحراوي و احتلاله و تملكه عبر تقاطعات مجالية في شكل وحدات و تكتلات عمرانية تبيّن حجم كل ميكالوبول خاص بهم في الفضاءات المختلفة للمدينة ، يشير بول كولبير إلى أن "... المهاجرون جزءا من المجتمع وليسوا أفراداً من ضمن القوى العاملة ، وهكذا فإنهم يندمجون مع الآخرين بطرق مختلفة ، وبذلك يعمل المهاجرون على زيادة التنوع المجتمعي "[225] ، هذا التنوع يمنحنا إمكانية تفكيك وتفسير آليات الضبط الاجتماعي في فهمنا لمجموع الأنظمة الاجتماعية للوافدين إلى حوض ورقلة من المدن الشرقية و الشمالية و حتى الغربية ، فتتبع عمليات الاندماج أو الانصهار لهذه المجموعة الاجتماعية تظل حبيسة الارتكازات النظرية لمدرسة شيكاغو و مرافقتها لمفهومي التحضر و الهجرة ، يقول فيصل أحد الوافدين الجدد (مبحوث) قادم من مدينة تبسة ، مستقر في الرويسات بالضبط في الحي الشعبي لمنطقة سكرة منذ سنة 1996م :

" لم أكن أنوي الاستقرار هنا في مدينة ورقلة ، بل كنت أعمل في ورشات البناء الحكومية و الخاصة لمدة طويلة ، كل فترة شهر أو شهر ونصف أعود إلى مدينة تبسة ، إلا أن تواجد العديد من الأقارب الذين يقطنون هنا في هذا الحي شجعني على الاستقرار ، خصوصاً بعد الزواج وانجاب الأبناء " [226]

[225] بول كولبير ، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا ، مرجع سبق ذكره ، ص 67 .

[226] مقابلة مع مبحوث ، ديسمبر 2018

إن المدينة كقطب جاذب هي متنفس اقتصادي واجتماعي يرى المهاجرون إليها أنها حقل خصب في تحقيق ذواتهم وطموحاتهم ، لما تطرحه من حوافز متجددة تأخذ أبعادا عميقة في تشكل فضاءاتها العمرانية ، فهي بمثابة مختبر يمكننا من قياس مؤشرات العلاقات الاجتماعية ومدى مسايرتها للأنظمة الاجتماعية المحلية ، هذه المؤشرات نجد أنها أكثر تعقيداً من باقي المدن الصحراوية الأخرى مثل مدينة غرداية و مدينة إليزي ، إن المثير للإهتمام في مدينة ورقلة كنقطة مركزية هامة ومقصودة لدى الكثير من المهاجرين كونها تحتضن الكثير من المجموعات الاجتماعية الغير متجانسة ، يرى بعض المبحوثين أن هذا التنوع العرقي (أمازيغ ، عرب) له الفضل في اختيار المدينة كمختبر ثقافي واجتماعي واقتصادي وثقافي يمكنهم من تحقيق الاستقرار ، يخبرنا أحد الوافدين (يزيد ، مبحوث) :

"...أنا في ورقلة منحسش بالغربة ، ورقلة بلاد الزوالي ، راه 48 ولاية كامل هنا[227] .

إن تجربة الأفراد المهاجرين (أقارب ، أصدقاء ... إلخ) إلى المدينة هو بمثابة حافز جد مهم في استقطاب المهاجرين الآخرين من المدن الأخرى ، يمكن أن نلاحظ تشكلات لبعض الأحياء العشوائية في هوامش المدينة ، و بعض النقاط القريبة من الفضاءات العمرانية للبدو المتمدنين من أهمها منطقة سكرة "الرويسات" ، المخادمة ، حي النصر (الخفجي) ، نستنتج من خلال تحليل المقابلات أن مجموعة الوافدين الجدد القاطنين في حي النصر يعملون في وظائف رسمية تابعة للحكومة (الصحة ، التعليم ، التكوين المهني ...إلخ) ، أما باقي الوافدين القاطنين بالقرب من الفضاءات الخاصة بالبدو المتمدنين في كل من الرويسات و المخادمة يشتغل أغلبهم في مجال الحرف والمهن عند الخواص مثل (البناء ، الطلاء ، الخياطة ، التجارة ... إلخ) ، إن الملاحظ لأشكال التفاعل و أنظمة العلاقات الاجتماعية للمهاجرين إلى المدينة من باقي المدن الأخرى ، يجد أنهم يأخذون في استراتيجياتهم الخاصة بالاستقرار أولوية اختيار الأحياء العمرانية بدقة ، يخبرنا (عبد الباسط ، مبحوث) :

[227] مقابلة مع مبحوث ، ديسمبر 2018

وقت جيت لورقلة كريت في المخادمة بالضبط في بوغوفالة قعدت قريب عام ومن باعد بدلت كريت سكنة في سكرة ، أغلب ولاد بلادي يسكنوا في الحي هذا[228] .

إن هذه الاستراتيجيات تسعى إلى إعادة هيكلة أنظمة العلاقات الاجتماعية المتشابهة مع المجموعات الأخرى المتقاربة عرقياً أو ثقافياً ، يرى أيضاً ماكس فيبر أن " الكثافة السكانية المرتفعة في المجال تؤثر على معرفة سكان المدن بعضهم ببعض معرفة شخصية و متبادلة ، و بذلك يحدث انغماس أو اختفاء كل واحد في هويته المجهولة (Anonymat)[229] ، أردنا التحقق من هذا التفسير الذي طرحه فيبر في تحليله للأنماط الحياتية داخل المدينة بشكل عام ، واسقاطه على الأنماط الحياتية داخل مدينة ورقلة باعتبارها مدينة فتية تمكننا من جس نبض بعض المؤشرات التي نادى بها حول انغماس و اختفاء الوافدين في هوياتهم المجهولة ، إن هذا الطرح يحقق جزء من البراديكمات المفسّرة للسلوك الحضري للأفراد و الجماعات المهاجرة ، لذلك نلاحظ أن الكثير من الوافدين الجدد يبحثون دائماً على الانتماء الهوياتي الذي يجمعهم مع أفراد آخرين ينحدرون من نفس المكان الذي كانوا ينتمون إليه سابقاً (قرية ، مدينة) ، إن آليات اعادة التنظيم هي استراتيجية دينامية يسعى من خلالها المهاجرون في حوض ورقلة إلى خلق تكتلات اجتماعية خاصة بهم داخل المدينة ، إن تحليل مجموع المعطيات التي صرح بها المبحوثون و الفاعلون في الفضاء الحضري تحيلنا إلى فهم الكثير من الحقائق المرتبطة ببعضها البعض حول علاقة الوافدين الجدد بالمجموعات الاجتماعية المحلية ، نجد أن وليم إسحاق طوماس يُثير أهمية " ... الاعتماد على التصريحات الشخصية التي يتم تجميعها في مقابلات الأبحاث الميدانية ، واعتبارها وثائق صحيحة " [230] ، كثيراً ما نسمع بوجود مقاهي و أماكن خاصة يتجمع فيها بعض الوافدين في أوقات مختلفة من النهار ، قررنا أن نذهب إلى أحد هذه الأماكن وقد اخترنا مقهى يطلقون عليه تسمية " قهوة التباسة " موجود بالقرب من وسط المدينة ، من

[228] مقابلة مع مبحوث ، ديسمبر 2018

[229] عبد الرحمان المالكي ، المرجع نفسه ، ص 29 .

[230] المرجع نفسه ، ص 104 .

خلال الملاحظة تبين لنا أغلب رواد المقهى من الشرق الجزائري ، يتواصلون مع بعضهم عبر مصطلحات منها " أهلا ولد البلاد " ، " أهلا لبلاد " هذا النوع من التحايا له دلالات رمزية واضحة يتم من خلالها تحديد نسق التفاعل بينهم ، تهدف هذه التجمعات إلى مناقشة الانشغالات اليومية في شكل علاقات حميمية تحتضنها الهوية الجماعية ، يشير فرانس بواز (Franz Boas) إلى أن " تفسير التباين بين الفاعلين الاجتماعيين يتم على مستوى السلوك لمعرفة الاختلافات العرقية "[231] .

إن تفسير دينامية التساكن لدى الوافدين الجدد عبر تفكيك الكثير من التصريحات و التعبيرات التي يرى الفاعلون أنها استجابة ثقافية واجتماعية لاستقرارهم في المدينة ، إن عوامل الاستقرار الأولية بالنسبة لهذه الشريحة الاجتماعية تكون في الغالب إجبارية وحتمية يفرضها المجال الصحراوي ، لكن بعد معرفتهم للخصائص الاجتماعية و الثقافية لباقي المجموعات الاجتماعية الأخرى ، يأخذون منحى آخر في استراتيجيات الاستقرار داخل المدينة ، لذلك نرى أن العوامل التي كانت في بادئ الأمر حتمية اجبارية قد تحولت إلى خيارات ثقافية و اجتماعية ، هذه الخيارات الجديدة تحدد أولويات السكن و التساكن انطلاقاً من درجة القرابة أولاً ، ثم الانتماء الهوياتي للجماعة الاجتماعية ثانياً ، ثم بعد ذلك يأخذ الاختيار الاقاماتي نوعاً آخر من الترتيب تحدده الزمالة المهنية ، أو العلاقات الثنائية القائمة على مبدأ المصلحة المشتركة ، فهم يتباينون على مستويات عديدة منها اللهجة و العادات و التقاليد و أيضاً مجموعة التمثلات و التطلعات الخاصة بهم ، من خلال الهوية الجماعية التي يعطونها لأنفسهم داخل هذا المجال الصحراوي .

[231] عبد الرحمان المالكي ، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة ، مرجع سبق ذكره ، ص 99.

إن هذا الطرح نوعاً ما معقد بعض الشيء ، خصوصاً إذا تعلق الأمر بتحليل وفهم توجهات الفاعلين الاجتماعيين في هذا الفضاء الصحراوي ، الذي يملك خصوصيات تميزه عن غيره من المجتمعات الانسانية التي تعيش في الشمال ، لذلك لا يظهر الاندماج أو الانصهار كنوع من الذوبان في البيئة الحضرية الصحراوية من خلال الممارسات و التمثلات الخاصة بالوافدين الجدد ، حيث نستنتج من خلال تفكيك المعطيات وتفسيرها أن مجموعة الوافدين الجدد يعملون على إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية بما يتناسب و أنماطهم الحياتيه القديمة (قبل الهجرة) ، و التي شاهدناها في بعض المناسبات و الاحتفالات أو حتى في مراسم الحزن ، فهي تتم عبر تكتلات اجتماعية تبرز من خلالها أهمية الهوية الجماعية ، فهي مرآة تعكس هوية كل جماعة على حدى عبر تسميات عديدة منها التباسة ، الجواجلة ، لقبائل ، لبساكرة ، تاع الغرب ... إلخ ، كل هذه التسميات مستمدة من الميدان مباشرة تحددها شبكة من العلاقات الثنائية منها الجوار و المهنة و المصلحة المشتركة ..

خلاصة الفصل :

إن الفضاء الصحراوي لمدينة ورقلة هو بمثابة خريطة بشرية و عمرانية تستحق التأمل من زوايا العمل الأنثروبولوجي ، لأن مستهلات هذه الدراسة الميدانية لا تستطيع أن ترصد حقائق هذا المجال الخصب بالشكل الكافي ، خصوصاً أنها تهدف إلى الكشف عن هياكل هذه المجموعات الاجتماعية التي تعيش في هذه الرقعة الجغرافية بشكل مميز ، إنه تتبع لنمط عيش إنسان عمّر الفضاء الصحراوي عبر تفاعلاته و أفكاره و سلوكياته التي تتجسد في تاريخيه المعماري ، إنها أنظمة من العلاقات الاجتماعية المتشابكة ، التي ما تلبث أن تطفو على السطح من جديد رغم التحولات التي اجتاحت مدينة الواحات ، يبدو من خلال تحليل النتائج المتعلقة بسمات التساكن و أثرها على أنظمة العلاقات الاجتماعية ، أن عمليات التعبئة الحضرية من خلال استقطاب مجموعات بشرية جديدة و التي حصرناها في تسمية الوافدين الجدد ، بعد سياسة الاصلاحات السكنية التي تبعث على تنوع الصيغ المتعلقة بالسكن .

وهو ما ساهم بشكل واضح في رسم معالم النسيج العمراني الحضري في الصحراء ، هذا الواقع الاجتماعي للمدينة أدى إلى التحول في بنية الأسرة و اندماجها في الحياة الحضرية ، بما تمليه من شروط وواجبات ثقافية واجتماعية و سياسية ، تؤثر بدورها على تراجع بسيط في الأنظمة الخاصة بالعلاقات الاجتماعية التقليدية ، ولعل تأثير تحول التساكن على أنظمة علاقات الجيرة كمؤشر لهذا الطرح ، مكننا من خلاله أن نفهم التصورات و التمثلات الاجتماعية للأفراد ، فبرغم من تحول التساكن سواء ما تعلق بالحتمي الاجباري ، أو الاختياري الثقافي كنوع من استراتيجيات الأسرة ، استجابة إلى نموذج الحياة الاجتماعية العصرية ، وسعياً منها إلى إعادة ترتيب الفضاء الخاص بالسكن و الحي ، لدى كل من الوراقلة و البدو المتمدنين ، و الوافدين الجدد ، حيث نستنتج من خلال طروحات متنوعة لفهم التكوين البنائي (Structure Formation) لهذا المجتمع الغير متجانس ، أن هذه المجموعات الاجتماعية بقيت ثابتة في هذا الفضاء الصحراوي ، رغم تحولات السكن و التساكن و

الميكانزمات المتحكمة في هذه الثنائية الخاصة بالبحث ، فهي تعيد دائماً بناء أنسجة العلاقات القديمة رغم التحديات الحضرية ، حيث نلاحظ تشكيل مونوبول حضري يعبر من خلاله على الهوية المجالية المبنية على أنساق قرابية ، مثل أحياء سعيد عتبة و الأحياء الجديدة للسكان الأصليين ، كذلك هو الحال مع الوافدين الجدد مثلما وجدناه في أحياء الرويسات كحي سكرة مثلا ، هي استراتيجيات التعامل مع المجال الحضري من جهة ، و المحافظة على هياكل أنظمة العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى .

الخلاصة و الاستنتاجات العامة

1. الخلاصات و الاستنتاجات العامة في الدراسة الميدانية :

لقد ضم الجانب الميداني ثلاث فصول هامة يقوم عليها موضوع الدراسة ، لذلك سوف نقوم بعرض مجموعة من الخلاصات و الاستنتاجات العامة التي حضينا بها من وحي الميدان مباشرة ، بعد دراسة معمقة حول بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن في هذا الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري ، الذي يشهد تحولات متسارعة وغير مترامية الجوانب بين ما هو تقليدي متجذر و ما هو عصري يتصف بالغرابة و الغموض ، لقد تبنينا مقاربة أنثروبولوجية حضرية نظراً لنجاعتها في تفكيك معطيات الدراسة و تحويلها إلى الميدان لاستنطاق خطاب الفاعلين مباشرة من خلال الاستراتيجيات المعتمدة في الواقع الحضري الجديد ، و ما يفرضه من تنوع في أنماط العيش المختلفة وكيف أثرت في تحول بينة الأسرة التقليدية في صحراء مدينة ورقلة ، كذلك استراتيجياتها في التعامل مع الحياة الاجتماعية الحديثة و ما تفرضه كذلك من خيارات حتمية أو اختيارية يمكن من خلالها اعادة التموقع في المجال الجديد وفق التحولات التي شاهدناها في الوسط الحضري في كل من السكن و التساكن و أثرهما على أنظمة العلاقات الاجتماعية في مدن الجنوب .

1.1. استنتاجات الفصل الميداني الأول : نعالج تحولات بينة الأسرة

إن المرور من خلال البنيات الاجتماعية لمجتمع مدينة ورقلة ، عبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية و التي من خلالها قمنا بتفكيك التكوين البنائي لهذا المجتمع الصحراوي ، وكذلك الاقتراب من مجموعة الآليات المتحكمة في بينة الأسرة و تحولها في هذا الفصل ، حيث تطرقنا إلى كل من الرباط الاجتماعي التقليدي وكيف تحول في ضوء ما تشهده المدينة من تطور و ديناميكية ، أيضا لكي نفهم بنية الأسرة في هذا المجال الصحراوي ، رأينا ضرورة الاقتراب الميداني من مجموعة الممارسات و السلوكيات التي تنسجها الأسرة و تتفاعل معها داخل البناء الاجتماعي ، فالأسرة ديناميكية في سيرورة حياتها فهي بذلك تسعى إلى بناء استراتيجيات داخل المدينة قيد التشكل ، من خلال مشروع إقاماتي يتعلق بالسكن ، وما تتطلبه الحياة الاجتماعية من ضرورة الإندماج في

الهيئات و المؤسسات الحضرية ، و كذلك رسم تطلعاتها لبناء تصورات ثقافية و اجتماعية و اقتصادية تحافظ من خلالها على كيانها المادي و الروحي .

إن الأسرة في دورة حياتها خصوصاً في هذا المجتمع الصحراوي ، قد بدأت في التحول بعد التصدع في بينتها التقليدية التي كانت تحتويها الأسرة في شكلها الممتد وذلك لشدة ارتباطها بالأرض و المستخرجات الفلاحية في غابات النخيل عبر جني التمور ، إن ملكية الأرض التي تمثل ثروة تتوحد من خلالها المجموعة في ظل المصير المشترك عزز مكانة الأسرة الممتدة كنوع من الرأس مال الاقتصادي البشري ، وما تفرضه السلطة التقليدية من تنظيم العلاقات الاجتماعية وتوحيدها في شكل أنساق و روابط قرابية واجتماعية متينة ، نسيج متداخل و متراص انعكس بدوره على النسيج العمراني التقليدي القديم ، مثلها نشاهده الآن في القصر العتيق و بعض أحياء البدو المتمدنين القديمة .

تراجع النشاط الاقتصادي التقليدي خصوصاً بعد الاستقلال واكتشاف الثروات التي تزخر بها المدينة (غاز ، بترول ... إلخ) ، أدى إلى تسارع التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية و ما تمخض عنها من تراجع الأنشطة التقليدية مقارنة بسرعة تشكل الواقع الحضري الذي يفرض ميكانزمات اقتصادية جديدة (مهن جديدة ، نخب اجتماعية جديدة ، مؤسسات اقتصادية حكومية وخاصة ، التعليم ، تنوع الدخل ، العمل المأجور ، خروج المرأة للعمل ، ... إلخ) ، ساهمت هذه الآليات في ضمور انتاجية واحات النخيل وبالتالي حدوث تصدع داخل الأسرة الممتدة التي كانت ترسخ فكرة المصير المشترك بين أفرادها ، لتضمحل أمام ما تقدمه الحياة الاجتماعية الحديثة من خيارات و توجهات ثقافية و اجتماعية واقتصادية ، لقد أخذت الأسرة في دورة حياتها تعيد هيكلة أفرادها تماشياً مع هذه التحولات الحديثة ، هي استراتيجيات إعادة التموقع من جديد في الفضاء الحضري .

2.1. استنتاجات الفصل الميداني الثاني : نعالج تحول السكن وعلاقته ببنية الأسرة

هي علاقة جدلية تربط ثنائية (**الأسرة / السكن**) ، كل منهما يؤثر في الآخر فالأسرة تغيير في السكن كما أن السكن يغير في بنية الأسرة ، حيث تبين لنا من خلال هذا الفصل أن استراتيجيات الأسرة في الواقع الحضري الجديد ، تعيد إنتاج هيكلها المادي و المتمثل في السكن ، حيث تقوم بمجموعة من التحولات تتمثل في إعادة بناء سكنها وفق ما يتماشى مع الحياة الاجتماعية الحديثة ، خصوصاً بعد تراجع بنية الأسرة الممتدة نتيجة التحولات الراهنة في المدينة قيد التشكل ، لنجد أن الأسر النووية تتمايز في ما بينها في المجتمع الصحراوي ، أسر تعيش مع بعضها في نفس السكن في شكلها النووي و أسر قررت العيش في سكن خاص نتيجة لعد عوامل منها تزايد عدد أفراد الأسرة ، و تعرض بعض الكثير من السكنات التقليدية القديمة إلى الانهيار و التصدع في أجزائها مثلما يحدث في النسيج العمراني للقصر العتيق و خروج قاطنيه إلى غابات النخيل الخاصة بهم ، إلى جانب عامل أخر هام وهو توفر الشروط المادية التي تعين الأسرة في عملية ترميم سكنها أو الاستفادة من قطعة أرض أو شرائها ، كذلك الاستفادة من برنامج الاصلاحات السكنية الحكومية في الصحراء ، عبر صيغها المتنوعة حسب الحالة المادية و المهنية للأشخاص (**سكن اجتماعي ، تساهمي ، وظيفي ، الهش ..إلخ**) .

ستنتج كذلك أن الأسرة الحديثة في دورة حياتها تحاول تسريع استراتيجياتها في إعادة تهيئة الهيكل المادي للسكن بما يتماشى و المواصفات العصرية في التصميم ، و أيضاً تعزيز المكانة الاجتماعية بعض ظهور الرأسمالية و بداية التمايز الطبقي و الاجتماعي في صحراء ورقلة ، من خلال العمل على زيادة حجم الغرف خصوصاً بعد ظهور نمط السكن الفردي ذو طوابق وهو تمهيد لبناء أسرة نووية مستقلة لأحد الأبناء أو ربما أكثر ، لذلك وجدنا أكثر من أسرة نووية تعيش مع بعضها في نفس السكن و هناك من يتقاسمون مطبخ مشترك بينهم ، إذا جدلية ثنائية (**الأسرة / السكن**) جدلية ديناميكية بينهما ، فهي تسعى إلى تبني هوية عمرانية عصرية وفق اختياراتها الثقافية و الاجتماعية و إمكانياتها الاقتصادية بعد اندماجها في سوق العمل الذي يوفره المجتمع الصناعي و ما

يفرزه من مؤسسات اقتصادية خاصة و حكومية ، حيث مست هذه التعديلات و التصميمات الهندسية الجديدة ، مكونات السكن التقليدي القديم في مدينة الواحات ، فلا فرق اليوم بين النسيج العمراني في صحراء و رقلة و بين النسيج العمراني في المدن الشمالية ، هي حضرية تفرض موقعها و حتمياتها في الفضاء الصحراوي ، علاقة جدلية بينهما تتأرجح بين القبول و الرفض في خطاب الفاعلين المنتمين لهذا المجتمع عن طريق تحليل ممارساتهم و تمثلاتهم لراهن الواقع الحضري .

3.1. استنتاجات الفصل الميداني الثالث : نعالج تحول التساكن و أثره في أنظمة العلاقات الإجتماعية

من خلال هذا الفصل الميداني نستنتج أن الفضاء الصحراوي لمدينة ورقلة هو بمثابة خريطة بشرية و عمرانية تستحق التأمل من زوايا العمل الأنثروبولوجي ، لأن مستهلات هذه الدراسة الميدانية لا تستطيع أن ترصد حقائق هذا المجال الخصب بالشكل الكافي ، خصوصاً أنها تهدف إلى الكشف عن هياكل أنظمة هذه المجموعات الاجتماعية التي تعيش في هذه الرقعة الجغرافية بشكل مميز ، إنه تتبع لنمط عيش إنسان عمّر الفضاء الصحراوي عبر تفاعلاته و أفكاره و سلوكياته التي تتجسد في تاريخيه المعماري ، إنها أنظمة من العلاقات الاجتماعية المتشابكة ، التي ما تلبث أن تطفو على السطح من جديد رغم التحولات التي اجتاحت مدينة الواحات ، يبدو من خلال تحليل النتائج المتعلقة بسمات التساكن و أثرها على أنظمة العلاقات الاجتماعية ، أن عمليات التعبئة الحضرية من خلال استقطاب مجموعات بشرية جديدة و التي حصرناها في تسمية الوافدين الجدد ، بعد سياسة الاصلاحات السكنية التي تبعث على تنوع الصيغ المتعلقة بالسكن .

وهو ما ساهم بشكل واضح في رسم معالم النسيج العمراني الحضري في الصحراء ، هذا الواقع الاجتماعي للمدينة أدى إلى التحول في بنية الأسرة و اندماجها في الأنماط الحياتية الحضرية ، بما تمليه من شروط وواجبات ثقافية واجتماعية و سياسية و اقتصادية يقتضيها السلوك الحضري ، تؤثر بدورها على بداية التحول في الأنظمة الخاصة بالعلاقات الاجتماعية التقليدية ، ولعل تأثير تحول التساكن على أنظمة علاقات الجيرة كمؤشر لهذا الطرح

، مكننا من خلاله أن نفهم التصورات و التمثلات الاجتماعية للأفراد ، فبرغم من تحول التساكن سواء ما تعلق بالحتمي الاجباري ، أو الاختياري الثقافي كنوع من استراتيجيات الأسرة ، استجابة إلى نموذج الحياة الاجتماعية العصرية ، وسعياً منها إلى إعادة ترتيب الفضاء الخاص بالسكن و الحي ، لدى كل من المستقرين القدامى و البدو المتمدنين ، و الوافدين الجدد ، حيث نستنتج من خلال طروحات متنوعة لفهم التكوين البنائي (Structure Formation) لهذا المجتمع الغير متجانس ، أن هذه المجموعات الاجتماعية تسلك منحنى التغيير في هذا الفضاء الصحراوي ، إثر تحولات السكن و التساكن و الميكانزمات المتحكمة في هذه الثنائية الخاصة بالبحث ، رغم هذه التحولات نجد أنها تعيد دائماً بناء أنسجة العلاقات القديمة رغم التحديات الحضرية ، حيث نلاحظ تشكيل مونوبول حضري يعبر من خلاله على الهوية المجالية المبنية على أنساق قرابية ، مثل أحياء سعيد عتبة و الأحياء الجديدة لمجموعة المستقرين القدامى "الوراقلة" ، كذلك هو الحال مع الوافدين الجدد مثلما وجدناه في أحياء الرويسات كحي سكرة مثلا ، هي استراتيجيات التعامل مع المجال الحضري من جهة ، و المحافظة على هياكل أنظمة العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى .

قائمة مصادر و مراجع الدراسة

✓المراجع باللغة العربية :

01. أحمد عبد المنعم حسن ، أصول البحث العلمي ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ،ج1، ط1 ، 1996 .

02. أحمد العجلان ، التوظيف السياسي لنظرية البيئة الطبيعية بين ابن خلدون ومونتسكيو ، دار ومؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2008 .

03. اسماعيل ابراهيم الشيخ دره ، اقتصاديات الإسكان ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1988 .

04. أجنر فوج ، الإنتخاب الثقافي ، ترجمة : شوقي جلال ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2005 .

05. أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 .

06. الحسن ابن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ج2 ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

07. آدم فيرغسون ، مقالة في تاريخ المجتمع المدني ، تر : حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2014 .

08. أحمد فقيه ، أنثروبولوجيا سارتر و الماركسية ، دار الفارابي ، ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2010

10. السيد عبد العاطي السيد ، علم الاجتماع الحضري بين النظرية و التطبيق " الجزء الثاني مشكلات و تطبيقات ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، (د ، ط) ، 1998 .

11. بسّام الجمل ، من الرمز إلى الرمز الديني بحث في المعنى و الوظائف و المقاربات ، مطبعة التفسير الفني بصفاقس ، تونس ، ط1 ، 2007 .

12. برتي السوتارى ، النظرية الإجتماعية و الواقع الإنساني ، تر: علي فرغلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2015 .

13. بول كولبير ، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا ، تر: مصطفى ناصر ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د. ط) ، 2016 .

14. بوشناقي بوزيان ، في التحضر و الثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح ، الحوار الأكاديمي و الجامعي ، المغرب ، ط1 ، 1988 .

15. بيار بورديو ، الهيمنة الذكورية ، تر: سلمان قعفراني ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان ، ط 1 ، 2009 .

16. برتي السوتارى ، النظرية الإجتماعية و الواقع الإنساني ، تر: علي فرغلي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، ط 1 ، 2015 .

17. بول كولبير ، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا ، تر: مصطفى ناصر ، عالم المعرفة ، ، الكويت ، (د. ط) ، 2016 .

18. بيير بورديو ، الرمز و السلطة ، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط3 ، 2007

19. تشارلز تايلر ، المتخيّلات الاجتماعية الحديثة ، تر: الحارث النبهان ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط1 ، 2015 .

20. توماس هيلاند إريكسن ، فين سيفرت نيلسن ، تاريخ الأنثروبولوجيا ، تر: عبده الريس ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1، 2014 .

21. جيزيل فروند ، التصوير الفوتوغرافي و المجتمع ، تر: وسام مهنا ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، القاهرة ، 2010 .

22. جون ستوري ، النظرية الثقافية و الثقافة الشعبية ، تر : صالح خليل أبو أصبع و فاروق منصور ، هيئة أبو ظبي للسياحة و الثقافة ، أبو ظبي ، ط 1 ، 2014 .

23. جيامبيترو جوبو ، إجراء البحث الإثنوغرافي ، تر: محمد رشدي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2014 .

24. جيلبير دوران ، الأنثروبولوجيا : رموزها ، أساطيرها ، أنساقها ، تر: مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2006 .

25. حسين فهمي ، قصة الانثروبولوجيا ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د ، ط) ، 1986 .

26. حليم بركات ، المجتمع العربي في القرن العشرون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2000 .

27. حسين عبد الله بانبيله ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ط 1 ، 1984

28. دلال ملحس أستيتية ، التغير الاجتماعي والثقافي ، دار وائل للنشر و التوزيع ، ، الأردن ، ط2، 2008

29. روبرت إيمرسون و آخرون ، البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية ، تر: هناء الجوهري ، المركز القومي للترجمة ، ط 1 ، القاهرة ، 2010 .

30. رضوان شافو ، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة أنموذجاً 1844-1962م ، دار المحابر للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2015 .

31. سهير أحمد سعيد معوض ، علم الإجتماع الأسري ، جمعية البر بالأحساء، السعودية ، (د. ط) ، 2009

32. شارلين هس ، بيبر باتريشيا ليفي ، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ، تر : هناء الجوهري ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2011 .

33. طلعت إبراهيم لطفي ، علم إجتماع التنظيم ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، (د ، ط) ، 2007 .

34. عبد المجيد سيد منصور ، زكريا أحمد الشربيني ، الأسرة على مشارف القرن21 ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، 2000 .

35. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، دار الكتاب اللبناني ، ج12 ، 1961 .

36. عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد البكري ، المسالك و الممالك ، دار العربية للكتاب ، ، تونس ، ج1، 1992 .

37. عبد الله السايح ، صفحات من تاريخ ورقلة ، دار هومة ، الجزائر ، (د ، ط) ، 2010 .

38. علي حسن الصغير ، التوافق البنيوي بين النسق القرابي و المجال العمراني قصر ورقلة ، الأشرف للكتاب العربي ، الجزائر ، ط1 ، 2018 .

39. عميراوي أحميدة و آخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916) ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، ، عين مليلة ، الجزائر، (د، ط) ، 2009 .

40. عبد الله بن ناصر السدحان ، الآثار الاجتماعية للتوسع العمراني المدينة الخليجية أنموذجاً ، سلسلة كتاب الأمة ، قطر، العدد 132 ، 2010 .

41. عبد الحميد دليمي ، دراسة في العمران السكن و الإسكان ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، ميلة ، الجزائر ، (د، ط) ، 2007 .

42. عبد الرحمان المالكي ، مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، (د، ط) ، 2016 .

43. عبد الرحمن المالكي ، الثقافة و المجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر و الهجرة في المغرب ، مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية ، المغرب ، ط1 ، 2015 .

44. عبد الله السايح ، صفحات من تاريخ ورقلة ، دار هومة ، الجزائر، (د ، ط) ، 2010 .

45. عباس مكي ، دينامية الأسرة في عصر العولمة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (د ، ط) ، 2007.

46. عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

47. غاستون باشلار ، جمالية المكان ، تر: غالبا ماسا ، دار المجد ، بيروت ، 1987 .

48. فيليب لا بورت تولرا ، جان بيار فارنييه ، إثنولوجيا أنثروبولوجيا ، تر : مصباح الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 .

49. فريديريك إنجلز ، أصل الأسرة و الملكية الخاصة و الدولة ، تر: أديب يوسف شيش ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، سوريا ، ط 1 ، 2011 .

50. محمد محمد قاسم ، المدخل إلى مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1999 .

51. محمد عبد الكريم الحوراني ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ، دار مجد لاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 .

52. محمود عودة ، أسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

53. مجاهد عبد الناصر ، مفهوم الغيرية عند هورسل ، مجلة تطوير جامعة الطاهر مولاي سعيدة ، الجزائر ، المجلد 4 ، العدد 4 ، ماي 2017 .

54. مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، ، لبنان ، ج 1 ، 1974 .

55. مارك أوجيه ، جان بول كولاين ، الأنثروبولوجيا ، تر : جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، (د ، ط) ، 2008 .

56. ماكيفر شالزبيج ، المجتمع ، تر : علي أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1961 .

57. مرسيا الياد ، المقدس و العادي ، تر: عادل العوا ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ،(د.ط)، 2009.

58. موريس مورلوبونتي ، المرئي و اللامرئي ، تر: عبد العزيز العيادي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2008.

59. موريس ميرلوبونتي ، العين و العقل ، تر : حبيب الشاروني ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، (د.ط) ، (د.ت) .

60. ميرسيا الياد ، تاريخ المعتقدات و الأفكار الدينية ، تر: عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، ط1 ، 1986.

61. ميشيل فوكو وآخرون ، التحليل الثقافي ، تر : فاروق احمد مصطفى وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2008 .

62. مارمول كرباخال ، إفريقيا ، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار المعرفة ، ، الرابط ، المغرب ، ج3 ، 1989 .

63. مهدي محمد القصاص ، علم الإجتماع العائلي ، (د . ط) ، القاهرة ، 2008 .

64. مصطفى العليان : مناهج و أساليب البحث العلمي ، دار صفاء للنشر ، عمان ، ط1 ، 2000 .

65. محمد عاطف غيث ، دراسات في علم الإجتماع القروي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د ، ط) ، (د ، ت).

66. محمد الجوهري ، عليا شكري ، علم الإجتماع الريفي الحضري ، مكتبة نهضة الشروق ، القاهرة ، 1980 .

67. محمد بيومي خليل ، سيكولوجية العلاقات الأسرية ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، (د. ط) القاهرة ، 2000 .

68. يسرى عبد الرزاق الجوهري ، دراسات في جغرافيا الإنسان "الجماعات البدائية " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، القاهرة ، ط1 ، 1979 .

69. يوليوس ليبس ، أصل الأشياء بدايات الثقافة الانسانية ، ترجمة: كامل اسماعيل ، دار المدى للثقافة و النشر ، دمشق ، سورية ، ط2 ، 2006 .

70. يحي وزيري ، العمارة الإسلامية و البيئية ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 304 ، الكويت ، 2004 .

✓ المعاجم و القواميس :

71. جيل فريول ، معجم مصطلحات علم الإجتماع ، تر : أنسام محمد الأسعد ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 2011 .

72. شاكر مصطفى سليم ، قاموس الأنثروبولوجيا ، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1981 .

73. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د ، ط) ، (د ، ت) .

✓ المجلات و المقالات العلمية باللغة العربية :

74. إبراهيم إسماعيل عبده محمد ، التحولات الإجتماعية ما بعد الربيع العربي وانعكاساتها على الشباب من منظور علم الإجتماع السياسي : دراسة حالة مصر خلال الفترة من 2011 م 2018م ، مركز جيل البحث العلمي ، مجلة جيل الدراسات السياسية و العلاقات الدولية ، العدد 14 ، لبنان ، يناير 2018 .

75. أحمد ذكار ، مدينة ورقلة التسمية و التأسيس (دراسة تاريخية) ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، العدد 17، 2014 .

76. بوشعور الغازي رضية ، بوزيان محمد ، النموذج السكني المرغوب من الجماهير الجزائرية ، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 33 ، لبنان ، جويلية 2017 .

77. خليفة عبد القادر ، من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد الأول ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، 2010 .

78. خليفة عبد القادر ، الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة ورقلة ، العدد الثامن ، 2012 .

79. خليفة عبد القادر ، المجموعات الإجتماعية في المدينة الصحراوية بين التمايز و الذوبان ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، عدد خاص بلملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية – تقاطع مقاربات حول التحول الإجتماعي و الممارسات الحضرية ، جامعة ورقلة ، 2015 .

80. عبد الرؤوف مشري ، آمنة بودن ، مظاهر التغيير الاجتماعي للأسرة الجزائرية بالمدينة الصحراوية في ظل راهن التحضر ، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة ورقلة ، عدد خاص بالملتقى الدولي تحول المدينة الصحراوية – تقاطع مقاربات حول التحول الاجتماعي و الممارسات الحضرية- 03،04 مارس 2015 .

81. عماد صولة ، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار : قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي ، إنسانيات : المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية ، الجزائر ، العدد 28 ،2005 .

82. فهد بن سلطان السلطان : المنهج الإثنوغرافي – رؤية بحثية تجديدية لتطور واقع العمل التربوي ، مجلة المعرفة ، وزارة التربية و التعليم بالمملكة العربية السعودية ، عدد 150 ، 2007 .

83. قويدر سيكوك ، نافجة عبد المالك ، التحول في الفضاءات العمومية و الخاصة ة تأثرها على العلاقات المجتمعية في المدينة الصحراوية ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، عدد خاص بلملتقى الدولي تحولات المدينة الصحراوية – تقاطع مقاربات حول التحول الإجتماعي و الممارسات الحضرية ، جامعة ورقلة ، 2014 .

84. نورية سوالمية ، الهادي بووشمة ، الساكن و الفضاء السكني علاقة حميمية مقاربة أنثرووولوجية ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 10 ، العدد 02 ، معسكر ، الجزائر ، 2018 .

85. نجاة قناطي ، حنان بوناب ، الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية القصر القديم بمدينة الأغواط ، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، العدد 22 ، جامعة ورقلة ، 2015 .

✓ الرسائل الجامعية :

86. دليلة زرقة ، سياسات السكن و الإسكان بين الخطاب و الواقع – دراسة ميدانية بمدينة وهران – ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع ، كلية العلوم الإجتماعية قسم علم الإجتماع ، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد ، الجزائر ، السنة الجامعية 2016/2015 .

87. عبد القادر خليفة ، تحولات البنى الإجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية دراسة سوسيو أنثروبولوجية لمدينة تقرت (واد ريغ) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم في علم الإجتماع تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية و ثقافية ، جامعة بسكرة ، الجزائر، السنة الجامعية 2011/2010 80. عبد القادر خليفة ، الهياكل الإجتماعية و التحولات المجالية في النزلة – تقرت – مقاربة أنثروبولوجية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2005 .

88. ليلى مكاك ، عمل المرأة و أثره على الإستقرار الأسري بالمجتمع الجزائري "دراسة ميدانية بمدينة الشمرة ولاية باتنة" ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع العائلي ، جامعة الحاج لخضر – باتنة – ، الجزائر ، السنة الجامعية 2016/2017 .

✓ الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية :

89. Chaouche Benchrif Meriama , La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable CAS du Bas-Sahara , Mémoire De Doctorat En Sciences Option Urbanisme, Universite Mentouri , Constantine , Année Universitaire 2005-2006 .

✓المراجع باللغات الأجنبية :

90. Alain Beitone , Sciences Sociales , 2 eme édition Dalloz édition , Paris , 2000.
91. B. Malinowski , The Family Among The Australian Aborigines A Sociological Study , Edited Byl .T.Hobhouse And E.A. Westermarck , University Of London , London , 1913.
92. Brandon D . Lundy , The art of anthropology / The anthropology of art , Newfound Press The university of tennessee libraries , Knoxville , Virginia , 2011 .
93. Dan Sperder , L'étude anthropologique des repersentations , problémes et perspectives , in les représentations sociales sous la direction de denise jodelet , sociologie d'aujoued'hui puf , Paris , 1989 .
94. Claude Levi Strauss , Structural Anthropology , Translated from the French by Claire Jacobson and Brooke Grundfest Schepf , New York , 1963 .
95. Chris Hann , Teach Yourself Social Anthropology, London, 2000.
96. Depaule.J.C , Vie Quotidienne et espace habité au Machrek , In : Espace des autres : Lectures anthropologiques , Les éditions de la villette, Paris, 1987.
97. Eliad Mircéa , Traité d'histoire des religions , Petite bibliothéque Payot , Paris , 1977 .
98. Guy Rocher , Introduction a la sociologie générale , l'organisation social , éditions hmg , Paris , 1986 .
99. Kingsley Palmer , Australian Native Title Anrhropology Strategic Practicr , The Law And The State , Published by ANU Press The Australian National University , Australian , 2018 .
100. Lewis H Morgan , Ancient Society " Researches in the Lines of Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilization ", University Library , Chicago .
101. Maria Montessori , Pedagogical Anthropology , Translated From the Iitalian by Frederic Tabaer Cooper , Frederick A. Stokes Company , NEW YORK , 1913 .
102. Marc Cote , si l'oued m'était conté … Petite géographie de Ouargla , tr: dadéne hadi , 2016 .
103. Mark Cote , La ville et le désert le Bas-Sahara algérien ,Editions Karthala et Iremam , Paris , 2005.
104. Rolf Ziegler , The Kula Ring , of Bronislaw Malinowski " A Simulation Model of the Evolution of an Economic and Ceremonial Exchange System " , Bayerische Akademie der Wissenschaften , Germany , 2007 .

105. Rymond boudon , Philippe Besnard et autres , Dictionnaire de sociologie , larouse , Paris , 1999 .
106. Talcott Parsons , The Social System , This edition published in the Taylor & Francis e-Library , The British Library , 2005 .

✓مواقع الأنترنت

107. خرائط مدينة ورقلة : https://www.google.com/search? ، تاريخ زيارة الموقع ، 2019/3/16 .

108. دراسة مناخية و عمرانية واقتصادية واجتماعية لمدينة ورقلة :
https://www.google.com/search? ،تاريخ زيارة الموقع ، 2019/3/10 .

ملاحق الدراسة

ملاحق الدراسة

1. نموذج أسئلة المقابلة

2. صور من ميدان الدراسة

3. نماذج بعض المحادثات الميدانية

✓ **الملحق رقم (01) : نموذج أسئلة (المقابلة ، الاستمارة) المتبعة في الاستجواب الميداني**

دليل استجواب ميداني (المقابلة) حول موضوع :

بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة .

بعد دخولنا في الدراسات الميدانية كان لزاماً علينا بناء لبنة أساسية يمكن من خلالها مخاطبة المبحوث والعمل على فتح الحوار معه في شكل مقابلة ، وقد رأينا أن نوجه هذه الأسئلة مباشرة بعد توضيح مساعي الدراسة التي بين أيدينا وأهدافها الأكاديمية ، كما أريد أن أنوه إلى اللحظة التي تجمعنا مع كل مبحوث ، فهي تفتح لنا مجالات كثيرة تبدأ من الأسئلة البسيطة لتتحول مع مرور الوقت إلى أسئلة معمقة في صلب الموضوع ، حيث تعتمد هذه الطريقة من البحث الميداني على سرعة الباحث وطريقته في بناء الحوار ، ومن جهة أخرى تعتمد على راحة المبحوث وانغماسه في الموضوع .

❖ المحور الأول : أسئلة خاصة بتحولات بينة الأسرة

1. **كم عدد أفراد أسرتك ؟** .....
2. **هل لك زوجة واحدة أم أكثر من زوجة ؟** .....
3. **هل لك علاقة قرابة تربطك بزوجتك / زوجك؟** .....
4. **هل زوجتك عاملة أم ماكثة في البيت ؟** .....
5. **هل لك أبناء متزوجون ؟** .....
6. **هل زوجاتهم من نفس الروابط القرابية ؟** .....
7. **هل تشترك مع أبنائك المتزوجون نفس المطبخ ، أم يوجد هناك أكثر من مطبخ ؟** .....
8. **هل يقيم معك أحد أقربائك من جهة الأب أو الأم ؟** .....
9. **هل تشارك أفراد أسرتك في مجموع قراراتك ؟** .....

❖ المحور الثاني : أسئلة خاصة بتحول السكن و أثره في بنية الأسرة

10. هل تملك سكن فردي خاص بك ؟ ، أم تشترك مع أسرتك في نفس السكن ؟ .....
11. ما هو نوع السكن الذي تملكه / تملكونه ؟ .....
12. كيف تحصلت / تحصلتم علية ؟ .....
13. هل قمت / قمتم بالتعديلات الخاصة بإعادة هيكلة السكن كلياً أم جزئياً ؟ .....
14. من الذي قام بتصميم هذا السكن ؟ .....
15. هل قمت / قمتم ، بتغيير السكن قبل هذا الوقت ؟ .....
16. هل أنت مرتاح في مسكنك الحالي ؟ .....
17. هل تود الاستقلال في سكن خاص بك ؟ .....

❖ المحور الثالث : أسئلة خاصة بتحول التساكن و أثره على أنظمة العلاقات الاجتماعية

18. ما هو اسم الحي الذي تسكن فيه ؟ .....
19. هل تربطك علاقة قرابة بجيرانك ؟ .....
20. هل كنت تسكن في حي آخر قبل وجودك في هذا الحي ؟ .....
21. هل أنت / أنتم ، مرتاح في هذا الحي ؟ .....
22. كيف هو تواجدك في هذا الحي ؟ .....
23. هل تود تغيير هذا الحي في المستقبل ؟ .....
24. ما هي علاقتك بحيك القديم ؟ .....
25. هل تشارك أفراد حيك القديم في المناسبات و الأفراح ؟ .....
26. كيف هي علاقتك بجيرانك الجدد ؟ .....
27. هل شعرت بالإنتماء لهذا الحي ؟ ، كيف هو شعورك ؟ .....

*** دليل استجواب ميداني (الاستمارة) :**

وزارة التعليــم العالي و البحث العلمــي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا

تخصص : أنثروبولوجيا اجتماعية و ثقافية

دليل الاستبيان حول موضوع :

بنية الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة .

استبيان رقم : .....

هذه الاستمارة خاصة بالبحث الميداني و التي يمكن أن تدفع عجلة التقدم في هذا الموضوع ، و ذلك بفضل مساعدتكم في الاجابة على عناصر أسئلتها بتمعن و صدق ، حتى يركن تحليل معطياتها إلى مصاف الموضوعية في معالجة الموضوع الذي هو بين أيدينا الآن و المدون أعلاه ، تقبلوا مني فائق الاحترام و التقدير ....

المحور الأول : بيانات شخصية خاصة بالمبحوث

1. الجنس : ذكر ☐ ، أنثى ☐
2. السن :
3. المستوى التعليمي : ابتدائي ☐ ، متوسط ☐ ، ثانوي ☐
   جامعي ☐ ، دون مستوى ☐
4. الحالة العائلية : أعزب ☐ ، متزوج (ة) ☐ ، أرمل (ة) ☐
5. عدد أفراد الأسرة :
6. المهنة : موظف (ة) ☐ ، أعمال حرة ☐ ، متقاعد (ة) ☐

المحور الثاني : بيانات خاصة بالأسرة

7. هل أنت متزوج (ة) : نعم ☐ ، لا ☐
8. هل تربطك علاقة قرابة ، بزوجتك / زوجك : نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الاجابة ب نعم : ما هي درجة هذه القرابة ؟ : .....

9. هل لك أبناء متزوجون : نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الإجابة ب نعم : هل يعيشون معك في نفس المنزل ؟ : .....

10. هل تشترك مع أبنائك المتزوجون نفس المطبخ : نعم ☐ ، لا ☐
11. هل يقيم معك أحد أقاربك مع أسرتك في نفس المنزل : نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الاجابة ب نعم : ما هي درجة هذه القرابة ؟ : .....

المحور الثالث : بيانات خاصة بالسكن

12. هل تشترك مع أسرتك نفس السكن : نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الاجابة ب نعم : هل لك سكن مستقل خاص بك ؟ :

..... ☐ ☐

13. ما هو نوع السكن : سكن تقليدي ☐ ، سكن عادي ☐
    العمارة ☐ ، سكن فاخر فيلا ☐

14. كيف حصلت على هذا السكن : استفادة ، شراء ، ملك

15. هل هذا السكن : ملك خاص ، مستأجر

16. كم عدد الغرف في هذا المنزل ؟ : ....

17. هل قمت / قمتم ، بتعديلات في المنزل ؟ : نعم ، لا

إذا كانت الاجابة ب نعم ، ما نوع هذه التعديلات ؟ : جزئية ، كلية

لماذا قمت / قمتم ، بهذه التعديلات ؟ : .....

18. من يصمم هندسة بناء السكن : تصميم خاص ، تصميم البناء

مقاول ، مختص

19. ما هي الأجزاء التي يحتوي عليها السكن ؟ : مطبخ ، غرف النوم

مكان استقبال الضيوف ، فناء ، محلات تجارية

إذا كان هناك أجزاء أخرى أذكرها ؟ : ....

20. هل تملكون حيوانات (إبل ، غنم ، ماعز ، دجاج ، .. .إلخ) ؟ : نعم ، لا

إذا كانت الاجابة ب نعم : هل هناك أماكن مخصصة لها في المنزل ؟ ، أم أن هناك أماكن أخرى بعيدة على المنزل ؟ : ....

21. هل لكم خط أنترنات ؟ : نعم ، لا

22. هل أنت مرتاح في مسكنك الحالي ؟ : نعم ، لا

إذا كانت الاجابة ب لا : لماذا ؟ ....

المحور الرابع : بيانات خاصة بتحول التساكن (تغير مكان الإقامة)

26. ما هي صلتك بجرانك ؟ : أهل ، أقارب ، أصدقاء

لا صلة لك بهم

27. هل تلتقي مع جيرانك ؟ : كثيرا ، أحياناً ، قليلاً

28. هل تتبادل مع جيرانك الزيارات ؟ : نعم ، لا

29. هل أنت مرتاح في هذا الحي ؟ : نعم ، لا

إذا كانت الاجابة ب لا : لماذا ؟ ....

.....

30. هل تريد تغيير الحي الذي تسكن فيه الآن ؟ : نعم ، لا

31. هل تشعر بالرفض من طرف جيرانك ؟ : نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الاجابة ب نعم : لماذا ؟ .....

32. هل سبق لك و أن غيرت الحي الذي كنت تسكن فيه ؟: نعم ☐ ، لا ☐

إذا كانت الاجابة ب نعم : لماذا ؟ .....

هل تحافظ على علاقات الجيرة المبنية على القرابة في المستقبل ؟ : ☐ ، ☐

إذا كانت الاجابة ب لا : لماذا ؟ .....

شكراً على تعاونكم معنا

✓ الملحق (02) : نماذج بعض المحادثات الميدانية

الحالة رقم (1) : أسرة من الوافدين الجدد من الشمال

لقد جمعنا لقاء مع السيد جمال أب لثلاثة أطفال يقطن في حي النصر ، قد من ولاية عنابة واستقر في مدينة ورقلة سنة 2012 ، يعمل حاليا في احدى شركات حاسي مسعود ، تجاذبنا أطراف الحديث حول قدومه إلى مدينة ورقلة واستقراره فيها ، وكيف تفاعل مع الفضاء الصحراوي من خلال ممارساته و تفاعلاته مع هذا المجتمع حيث يقول :

" لقد قدمت إلى مدينة ورقلة بعد تحصلي على وظيفة في الشركات النفطية المتواجدة في حاسي مسعود ، في أول الأمر كانت هناك صعوبات في التأقلم مع البيئة الصحراوية ، أيضاً مشكلة اختيار مكان أفضل للسكن ، لقد كنت أقطن في حي من أحياء الرويسات أين يتواجد العديد من الأسر القادمة من الشمال خصوصاً من الشرق الجزائري ، من تبسة ، عنابة ، أم البواقي ... إلخ ، فقد قمت بكراء سكن في منطقة سكرة سنة 2012 ، غير أن ذلك الحي لم يعجبني كثيراً فقد كان حي شعبي فيه كثافة سكانية عالية إلى جانب حدوث بعض الحالات من الشجار و العنف ، لذلك فكرت في التنقل و تغيير مكان إقامتي ، بعد ما قمت ببناء الكثير من العلاقات مع سكان المنطقة ، نصحوني بحي النصر (الخفجي) فهو من الأحياء الجديدة و الآمنة إلى جانب وجود عدد كثير من الأسر الوافدة من الشمال ، أيضاً هو حي عصري قريب من المرافق و الأماكن العمومية خصوصاً بعد وصله بشبكة الترامواي ، إلى جانب أمر هام آخر يتمثل في أن أغلب سكان هذا الحي موظفون لدى المؤسسات الحكومية و الخاصة ، لذلك قمت وقتها بكراء سكن في أحد عمارات هذا الحي ، هناك فرق شاسع بين الأحياء الشعبية و الأحياء الحديثة ، خلال فترة وجيزة استطعت تكوين مجموعة من العلاقات مع أشخاص قادمون من الولايات الشمالية ، ففي فترات الراحة نقوم بممارسة رياضة كرة القدم ، إلى جانب المشاركة معهم في الاحتفالات

الدينية و غيرها من أشكال التضامن الأخرى التي تجمعنا مع بعض خصوصاً في أوقات شهر رمضان المبارك ، لقد بدأت أتعود على البيئة الصحراوية و كذلك أصبحت أقرب من سكان المدينة لأصليين ، في علاقات الانسجام و التفاعلات التي تجمعنا اقتصادية أو اجتماعية ، يقصد (البدو المتمدنين و السكان الأصليين) ، إن الصحراء بلد خير و بركة لأن أهلها كرماء و متواضعون ".

الحالة رقم (2) : أسرة من المستقرين القدامى "الوراقلة"

عن طريق مساعدة بعض الأصدقاء عبر سلسلة من العلاقات التي قمنا ببنائها طيلة فترة العمل الميداني ، استطعنا الاقتراب من بعض الأسر لدى السكان الأصليين ، فقد التقينا في أواخر سنة 2017 مع العديد من الأسرة حيث قمنا ببناء جسور من المحادثات ، التي تعطي لهذا العمل صبغة تميل أكثر إلى الموضوعية ، حيث جمعنا لقاء مع عمي الطاهر أحد السكان الأصليين من بني ابراهيم ، أب لخمسة أولاد منهم ثلاثة متزوجون ، يقطن في حي بني ابراهيم الجديد ، تكلمنا معه بخصوص تحولات الأسرة و السكن وأنظمة العلاقات الاجتماعية :

" قديماً كانت مدينة ورقلة واحة كبيرة وعملاقة ليست كما تشاهدها الآن ، فقد كان اهتمامنا ينصب حول خدمة الأرض و العناية بها ، وكانت تنتج وقتها الكثير من التمور حتى أن الفائض منها كنا نقوم بمبادلته مع البدو الرحل قبل تمدنهم و ذلك في أوقات الخريف ، نعطيهم التمور و يعطوننا الحبوب و القمح و بعض الحاجيات الأخرى الخاصة بالأقمشة وغيرها ، كنا نقطن داخل القصر وما تراه من ضيق في ممراته و سكناته إلا أن قلوب أهله كانت كبير بالمحبة و التضامن و التآزر كالجسد الواحد ، كنا نشترك في المنزل الواحد أكثر من أسرة واحدة ، مع أسرة العم و أبناء العمومة وكذلك أسرة الخال و أبنائه ، نجتمع من وقت لآخر في اليوم الواحد في مكان مخصص لهذا الأمر ، يقرر الكبار في السن شؤون الجميع من بني واقين و بني سيسين و بني ابراهيم ، قرارات مثل الزواج أو لا قدر الله الطلاق ، أو مساعدات مالية لعائلة أو خدمات مشتركة أخرى ، لكن بعد سنوات الاستقلال تغير الوضع الاقتصادي و انخرط اغلب الشباب في الوظائف الحديثة داخل مدينة ورقلة و في منطقة

حاسي مسعود ، حيث تغير الوضع الاقتصادي لأغلب الأسر وكذلك فبدأ الكثير منهم يعيد ترميم السكن القديم ومنهم من قام بهدمه و بنائه من جديد ، كذلك مع ارتفاع النمو الديمغرافي هجر الكثر منهم القصر و أخذوا يبنون مساكن جديدة خارج القصر في أماكن نخيلهم ، وهي أراضي مقسمة بينهم بالميراث و الأعراف السائدة ، تغيرت الحياة الاجتماعية و تراجع الاهتمام بالنخيل التي كانت تمثل رمز من رموز الحياة ، كذلك تراجع دور العائلات الكبيرة لم يعد منها إلا القليل ، لم تعد الأسر تتوحد يشكلها القديم ، ومشاركة العم أو الخال نفس السكن ، اليوم تجد أن الأسر تتكون من أبنائها فقط و أحيانا تجد أبناء متزوجون يعيشون مع أسرهم ، إلا أن بعضهم قاموا ببناء سكن آخر فوق منزلهم الجديد واستقروا فيه هم و وزوجاتهم و أبنائهم ، ومنهم من قام ببناء سكن خاص بجانب سكن أسرهم (أباءهم) ، لقد تغير الوضع كثيراً عن السابق ، إلا أن علاقة الجيرة لازالت كما هي في السابق تحافظ على درجة القرابة مثلما كانت داخل القصر العتيق" .

الحالة رقم (3) : أسرة من البدو المتمدنين

كان لنا لقاء مع أحد البدو المتمدنين في أواخر سنة 2018 ، حيث قمنا في هذه الفترة بتكثيف الزيارات الميدانية بعد حصادنا لشبكة من العلاقات مع مجتمع مدينة ورقلة ، التقينا ب عبد الله في مقهى وسط المدينة حيث كان لنا موعد معه سابقاً ، ينحدر من قبيلة المخادمة ، أب لأربعة أولاد غير متزوجون ، يسكن في بيت الأسرة القديمة مع والديه و شقيقه الأقل منه ، يعمل في التجارة الحرة و أحيانا سائق أجرة ، تكلمنا في لقائنا هذا حول موضوع تحول بينة الأسرة و كيف أثرت على تحول السكن و التساكن ، وهذا بعض ما جاء في الحوار الذي دار بيننا في مدة تزيد على ستون دقيقة :

" اليوم مدينة ورقلة بدأت تتغير و تتحول لم تكن في السابق هذه البنايات و الطرق و المشاريع بهذا الحجم ، تضافت مئات المرات ، فمنذ بداية انفتاح العمل في مؤسسات النفط في مدينة حاسي مسعود تغير الوضع نهائيا ، لقد تراجع الاهتمام بالنخيل و مهنة الرعي وتربية الحيوانات ، صاحبت هذه التحولات نماذج السكن من سكنات عادية إلى عمارات و سكنات فاخرة ذات طوابق و فيلات ، و أصبح أغلب الأشخاص يبحثون عن سكنات مستقلة خصوصاً بعد الزواج ، إلى جانب استفادة فئة كبيرة منهم بالسكنات الاجتماعية وكذلك السكن الهش ، وسط المدينة الآن لا يوحي أنك في الصحراء بل إنها تشبه إلى الحد البعيد المدن الشمالية الأخرى ، لهم بحر و لنا صحراء هذا هو الفارق الوحيد ، أيضاً تغيرت علاقات الجيرة القرابية خصوصاً في الأحياء القريبة من المرافق العمومية ، فهي تشهد طلب متزايد على شرائها إما من سكان و رقلة أو القادمين من المدن الأخرى ، فكثرة المهن و تحرك السوق الخاص جعل الكثير من اصحاب السكنات يعيرون أهمية وجود محلات تجارية كجزء من السكن الحديث .... "

✓ **الملحق رقم (03) : صور توضيحية من ميدان الدراسة**

الصورة (1) : احتفالات سكان القصر العتيق **"حي بني ابراهيم"** ، من تصوير الباحث (2018)

الصورة (2) : احتفالات سكان القصر ، **لالة منصورة** ، من تصوير الباحث (2018)

الصورة (3) : من تصوير الباحث (2018)

الصور (1.2.3) : صور من إنجاز الباحث وذلك أثناء المشاركة في الإحتفالات الخاصة بالقصر العتيق و كذلك طقوس الاحتفال بلالة منصورة من طرف السكان الأصليين ، سكان القصر العتيق (بني سيسين ، بني واقين ، بني ابراهيم) ، إحتفالات سنوية تقام أيام **26.27.28**. من شهر أفريل .

الصورة (4) : شوارع القصر العتيق ، تصوير الباحث (2017)

الصورة (5) : شوراع القصر العتيق ، تصوير الباحث (2017)

الصورة (6)

الصورة (7)

الصور (6،5): التوسعة الفرنسية داخل القصر (شارع داخل النسيج العمراني في القصر العتيق بمحاذاة قبيلة بني سيسين) ، تصوير الباحث (2017)

الصورة (8)

الصورة (9)

الصور (9.8) : صور توضح انهيار بعض المباني داخل القصر ، تصوير الباحث (2018)

الصورة (10) : إعادة بناء السكنات داخل القصر العتيق بمواصفات عصرية ، تصوير الباحث (2019)

الصورة (11) : نمط السكن الفاخر داخل القصير العتيق ، تصوير الباحث (2017)

الصورة (12)

الصورة (13)

الصور (13.12) : السكنات التقليدية داخل القصر ، تحتوي على باب خاص بالعائلة و باب آخر خاص بغرفة الضيوف ، تصوير الباحث (2017) .

الصورة (14) : جدوع النخيل **"تازقاغت"** التي كان يستخدمها سكان مدينة ورقلة في بناء سكناتهم ، تصوير الباحث (2018)

الصورة (15) : فتحات التهوية في السكنات التقليدية في القصر العتيق ، تصوير الباحث (2019)

الصورة (16)

الصورة (17)

الصورة (18)

الصور (18.17.16) : بناء بعض المحلات التجارية بعد ترميم السكنات داخل القصر **"تحول في أجزاء السكن"** ، تصوير الباحث (2019)

الصورة (19) : نموذج سكن تقليدي داخل القصر قام صاحبه بتهيئته تماشياً مع النمط التقليدي القديم ، تصوير الباحث (2018)

الصور (20)

الصورة (21)

الصور (21.20) : أماكن تجمع سكان القصر العتيق "تاجماعت" ، هنا يجتمع كبار الأهالي ويقررون مسار الحياة الاجتماعية للأفراد ، "السلطة التقليدية" ، تصوير الباحث (2018)

الصورة (22) : نموذج العمارة الحديثة في حي النصر ، تصوير الباحث (2018)

الصورة (23) : نموذج العمارة في حي من أحياء المخادمة ، تصوير الباحث (2019)

الصورة (24)

الصورة (25)

الصور (25.24) : توضح سكنات فرنسية في الفترة الكولونيا لية ، حي لاسيليس

الصورة (26) : مشروع سكني داخل واحة النخيل (**زحف النسيج العمراني**) ، **تصوير الباحث**

الصورة (27) : حي من أحياء قبيلة سعيد عتبة (**تمايز بين القديم و الحديث**) ، **من تصوير الباحث**

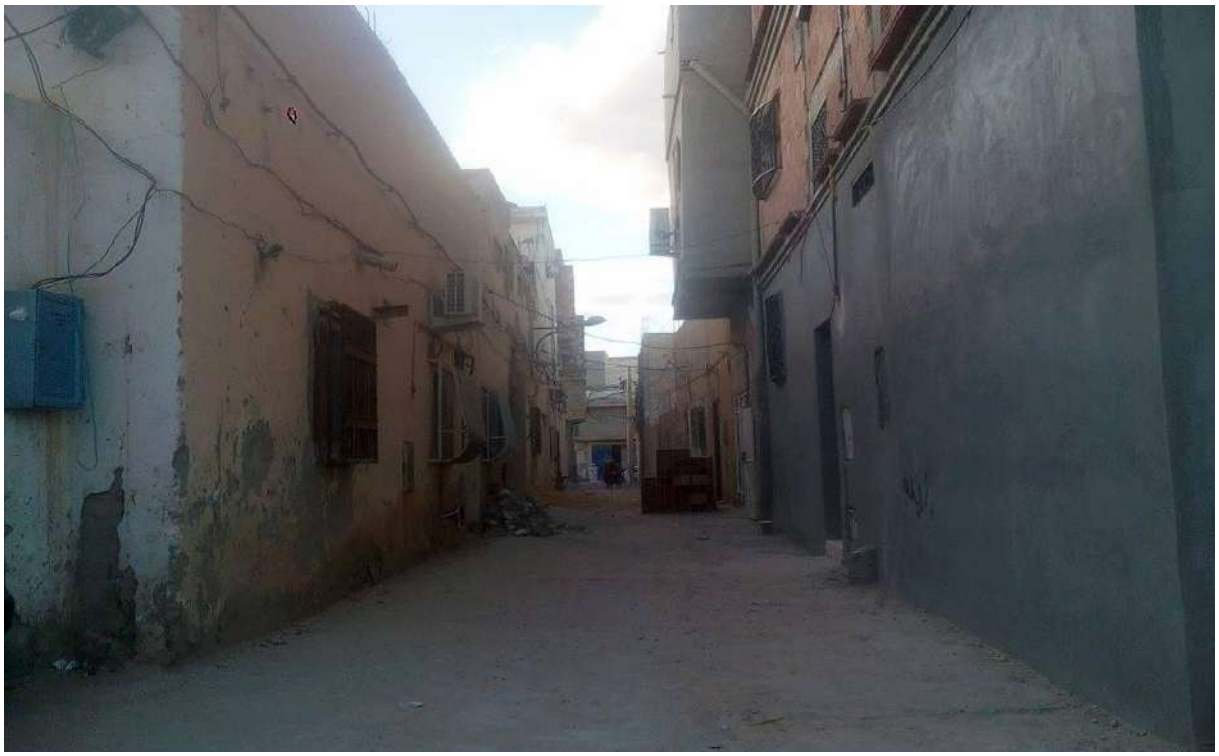

الصورة (28)

الصورة (29)

الصور (28.29) : بعض أحياء بني ثور القديمة ، (حي بوزيد) ، تصوير الباحث

الصورة (30) : صورة من أحياء الرويسات (حي سكرة) ، تصوير الباحث

الصورة رقم (31) : قبيلة سعيد عتبة و هي تمارس الترحال في الفضاء الصحراوي سنة 1872

المصدر : قبيلة سعيد عتبة في رحلة الشتاء و الصيف ،

https://www.facebook.com/groups/1905268859692741/ ، **2019/09/13** ، **15:40** .

الصورة (32) : صورة مدينة ورقلة في الستينات من القرن الماضي

المصدر : مدينة ورقلة في الستينيات ،

https://www.google.com/search?q=%D8%B5%D9%88%D8%B1+%D9%85%D9%86+%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9+%D9%88%D8%B1%D9%82%D9%84%D8%A9&source=lnms&tbm=isch&sa=X&ved=0ahUKE

wiK49Te5LXlAhWtAGMBHUOyAQIQ_AUIEigB&biw=1366&bih=657#imgdii=LvYn5NRL6_E3qM:&imgrc
=ppTcrOFmOyihdM:. **2019/08/15** ، **22:13** .

الصورة (33) : مدينة ورقلة حالياً سنة 2019 ، تصوير الباحث

✓ بعض نماذج السكنات حسب تصميم أصحابها

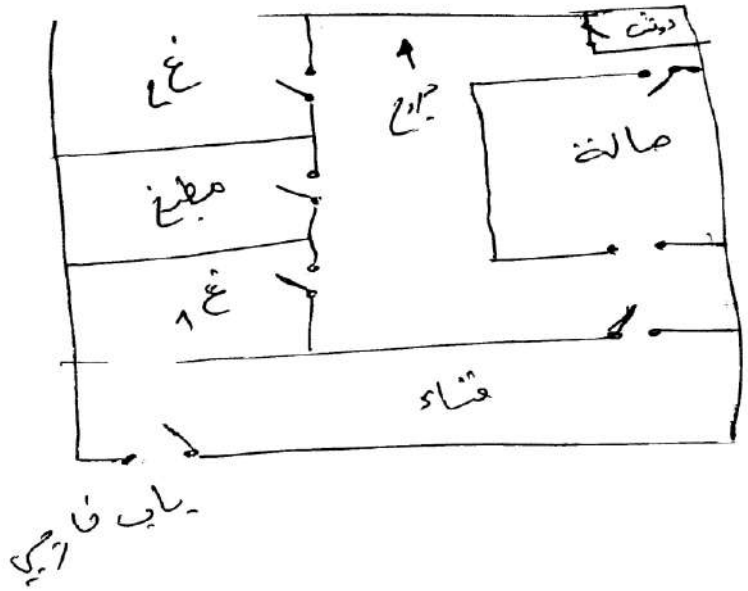

نموذج تصميم سكن حديث

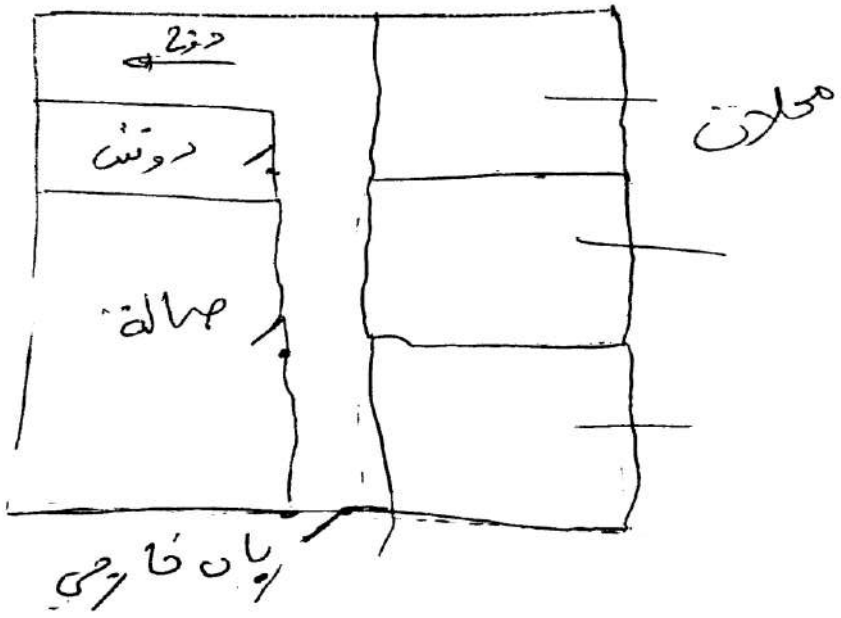

نموذج تصميم سكن يوجد في أجزائه محلات تجارية عند البدو المتمدنين

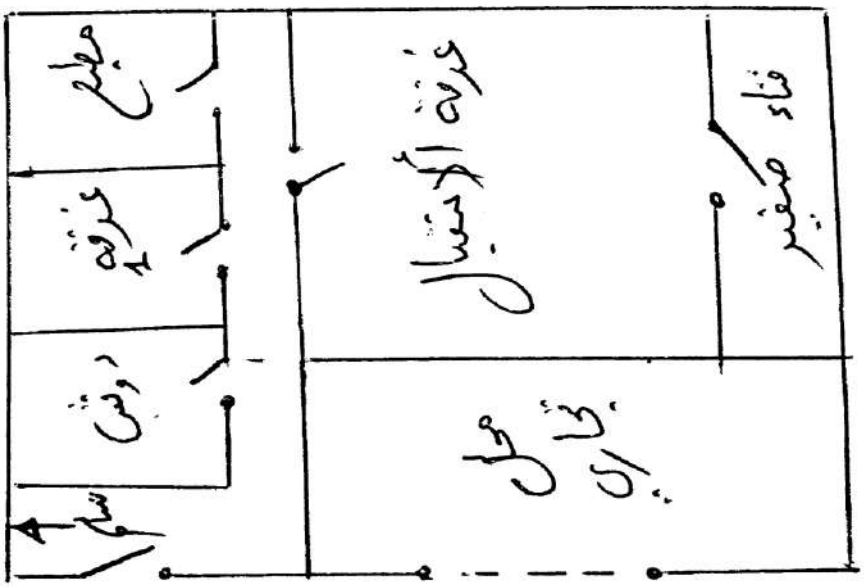

نموذج تصميم سكن حديث (نمط فاخر) عند الوراقلة

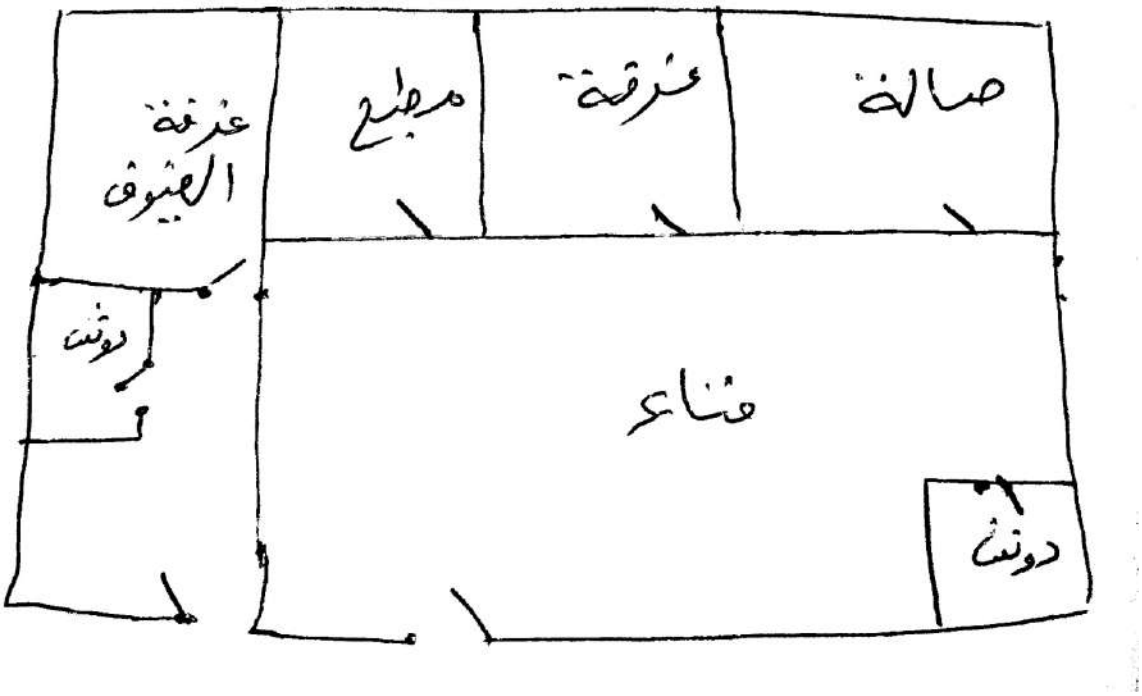

نموذج تصميم سكن تقليدي القديم عند البدو المتمدنين

✓ **ملخص الدراسة :**

بينة الأسرة و تحولات السكن و التساكن في الفضاء الحضري الصحراوي الجزائري
دراسة أنثروبولوجية في مدينة ورقلة

الملخص :

إن مضامين هذه الدراسة الأنثروبولوجية تصب جملة اهتمامها على بنية الأسرة و تحولاتها في مدينة من مدن الجنوب الجزائري ، أي فهم تحولات البنى الاجتماعية الجديدة وعلاقتها بتحول السكن و التساكن عبر تتبع الاستراتيجيات و التمثلات و الممارسات في هذا الفضاء الحضري الصحراوي الحديث ، من خلال مقاربة أنثروبولوجية حضرية تمكننا من فهم النمط المعيشي للأسرة و كذلك واقعها الاستراتيجي داخل هذه المدينة قيد التشكل ، لقد فرضت الدراسة الميدانية أسلوبها الكيفي الذي يساير المنهج الاثنوغرافي عبر تقنيات و أدوات بحثية ناجعة في ضبط المتغيرات ، و جعلها محاور صارمة للأسئلة التي تقودنا إلى بحث أنثروبولوجي موضوعي ، يغذيه الوصف و التحليل الدقيق للممارسات و التفاعلات التي تنتجها الأسرة في دورة حياتها وكيفية مسايرتها للحياة الحضرية الحديثة ، من خلال تتبع مجموع التحولات على مستوى السكن و النسيج العمراني ككل ، ومعرفة أثر هذه التحولات على أنظمة العلاقات الاجتماعية في هذا المجتمع الصحراوي ، بعد التحول من المجتمع الزراعي إلى المجتمع الاستهلاكي الحديث .

إن دور السلطة التقليدية في المحافظة على ملكية الأرض التي تمثل ثروة تتوحد من خلالها هذه المجموعات الاجتماعية في ظل المصير المشترك ، عزز مكانة الأسرة الممتدة كنوع من الرأس مال الاقتصادي البشري في الماضي ، عبر تنظيم العلاقات الاجتماعية و توحيدها في شكل أنساق و روابط اجتماعية متينة ، تظهر في النماذج المادية للمستقرين القدامى و كذلك البدو المتمدنين على اختلاف أماكن استقرارهم ، أما الأسرة الحديثة اليوم تساير التحولات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية من خلال فرض استراتيجياتها في التعامل مع المجال الحضري الحديث من جهة ، و المحافظة على هياكل أنظمة العلاقات الاجتماعية التقليدية من جهة أخرى .

كلمات مفتاحية : الأسرة ، السكن ، التساكن ، التحولات .

Family structure, housing transformations and coexistence in Algeria's desert urban space an anthropological study of the city of Ouargla

Abstract :

The contents of this anthropological study into a sentence on family structure and its transformations in the Algerian city of southern cities, any understanding of new social structures and transformations relate to turning accommodation and friendliness across the track and strategies and practices represents the urban desert space talk Through an urban anthropological approach enables us to understand the lifestyle of the family as well as strategic realities within this city being formed , field study has imposed her style matched by qualitative ethnographic approach through effective research tools and techniques in controlling variables, and make them strong axes questions that lead us to find an objective description, fuelled by an anthropological and careful analysis of practices and the interactions produced by the family in turn h Very rich and how modern urban life, followed by tracking the total housing level shifts and urban fabric as a whole and the impact of these changes on systems of social relations in this desert community, after the shift from agrarian society to a modern consumer society.

The role of the traditional authority in the preservation of land ownership, which represents a wealth through which these social groups unite under a shared destiny, has strengthened the extended family's status as a kind of human economic capital in the past by organizing and consolidating social relations in the form of strong social structures and ties, The modern family today corresponds to the social, economic and cultural transformations through the imposition of its strategies in dealing with the modern urban area on the one hand, and the maintenance of the structures of systems Traditional social relations.

Keywords : Family , housing , Coexistence , transitions .

Structure familiale, transformations de logements et coexistence dans l'espace urbain désertique de l'Algérie une étude anthropologique de la ville de Ouargla

Résumé :

Les implications de cette étude anthropologique concernent la structure de la famille et ses transformations dans une ville du sud algérien, à savoir la compréhension des transformations des nouvelles structures sociales et leur relation à la transformation du logement et du logement à travers le suivi de stratégies, représentations et pratiques dans cet espace urbain désertique moderne à travers une approche anthropologique urbaine Nous permet de comprendre le mode de vie de la famille ainsi que sa réalité stratégique au sein de cette ville en formation , l'étude de terrain a imposé son approche qualitative, qui suit l'approche ethnographique au moyen de techniques et d'outils de recherche efficaces pour contrôler les variables et en faire un sujet strict des questions qui mènent à une recherche anthropologique, alimentée par une description et une analyse minutieuse des pratiques et des interactions produites par la famille dans son cycle de vie et de leur lien avec la vie urbaine. Moderne, en suivant l'évolution totale du niveau du logement et du tissu urbain dans son ensemble et en connaissant l'impact de ces transformations sur les systèmes de relations sociales dans cette société du désert, après le passage de la communauté agricole à la société de consommation moderne .

Le rôle de l'autorité traditionnelle dans la préservation de la propriété foncière, qui constitue une richesse par laquelle ces groupes sociaux s'unissent dans un destin commun, a renforcé le statut de la famille élargie en tant que capital économique humain par le passé en organisant et en consolidant les relations sociales sous la forme de liens et de structures sociales solides La famille moderne correspond aujourd'hui aux transformations sociales, économiques et culturelles à travers l'imposition de ses stratégies en matière de gestion de la zone urbaine moderne et le maintien des structures des systèmes Relations sociales traditionnelles .

Mots-clés : famille, logement , Coexistence , transformations.